DENGÊ KURDISTAN
صوت كردستان
مجلة سياسية فكرية ثقافية
العدد ٧٢ أيار ٢٠١٤

لنصعد النضال من أجل تحقيق حياة ديمقراطية حرة

- إما الحياة الحرة أو الإبادة العرقية
- التبعية الثقافية أكبر غزو على الثقافة الكردية
- حقيقة المرأة وسياسة الإبادة

الشهيد آواز

الشهيد جوان

الشهيد دليل

الشهيد ديلار

الشهيد باران

الشهيد برخدان

الشهيد جوان طه

الشهيد دفرم

الشهيد هوكر

الشهيد كادار

الشهيد قامشلو

الشهيد رسول

الشهيدة برخدان

الشهيد جوان

الشهيد أبو عقرب

الشهيد علي

DENGÊ KURDISTAN
صوت كردستان
مجلة سياسية فكرية ثقافية

العدد ٧٢ أيار ٢٠١٤

المحتويات

الافتتاحية	٢
رسائل قائد الشعب الكردي	٣
إما الحياة الحرة أو الإبادة العرقية	٦
لنصعد النضال من أجل تحقيق حياة ديمقراطية حرة	١٢
الوضع السوري الراهن وحقيقة الثورة في روج أفا	١٩
الإبادة الثقافية والحرب الخاصة	٢٣
التبعية الثقافية أكبر غزو على الثقافة الكردية	٢٩
تاريخ خركة حرية كردستان بطليعة حزب العمال الكردستاني	٣٧
حقيقة المرأة وسياسة الإبادة	٤٤
لمحة عامة عن إبادة القرن العشرين	٤٤
في ثالوث الأمة الديمقراطية	٥١
العلم قبلة المحتارين	٥٨
الإدارة الذاتية الديمقراطية والحياة الحرة	٦٣
الظاهرة الكردية.. الشعب الذي كوَّن النيوليتك	٦٥
اللغـــة الكـــرد يـــة	٦٩
في تاريخنا الفن والأدب	٧٤
طائر الحرية	٧٩

dengekurdistan72@gmail.com

الافتتاحية.....

الرعب والخوف هو جرثوم أكثر الأمراض قتلاً. المجتمع زرع جرثوم الخوف والرعب في صفوفه هو مجتمع مريض. نشر وباء الخوف - مثلما يظهر أثناء تناول الحقيقة الكردية - هو من أحدى الأساليب التي تستخدمها الدولة لفرض سيطرتها وخدمة مصالحها. فعندما تواجه الصعوبات في إدارة مصالحها تقوم بإنتاج الرعب وحقن المجتمع به. فإدارة المجتمع المريض أسهل من إدارة المجتمع الصحي أو السليم بكثير.

فالمرض كظاهرة اجتماعية معني في جوهره بتشويه وتحريف العواطف. فالأواصر والصلات الاجتماعية المنحلة والمتفككة تشكل أرضية المرض. بدء التفكك الاجتماعي هو الإصابة بالمرض. الخوف هو العاطفة الأكثر لفتاً للأنظار فهو يوجه الشخص نحو البحث عن كيفية النجاة. يرغب الإنسان المتعرض للخوف الهروب والابتعاد عن مجتمعه، لأن المجتمع الذي يصر على البقاء كما هو ذاته يكون هدفاً للتهديد أساساً. إلا أن هذا الابتعاد والهروب لا يؤمن الحماية الكافية للشخص المعتقد «بالنجاة الفردي». فكرة الخلاص من الخوف نهائياً تقود الشخص المصاب بمرض الخوف في نهاية الأمر إلى اللجوء للقوة الناشرة للخوف أو المسلطة للرعب. وبالتالي يقوم الحكام المستبدين والمتسلطين الذين يعرفون هذه الحقيقة بشكل جيد إلى ممارسة أبشع وأوحش أشكال المعاقبة والجزاء لأجل التخويف والترهيب كأسلوب من أساليب الحرب النفسية التي تخدم سياسة الابادة والصهر. فمن خلال هذه الممارسات يتم تحويل المجتمع إلى حقل تجارب للوصول إلى النتيجة المراد الوصول إليها.

إذ ليس هناك فرق بين المجازر التي يتم ارتكابها بحق الشعوب وعلى وجه الخصوص الشعب الكردي وبين التجارب التي يتم تنفيذها في المخابر بالنسبة للساعين إلى القضاء على الذاكرة الاجتماعية للمجتمع وانشاء ذاكرة جديدة وتغيير مميزات وشخصية إنسانه على أساس مبادئ العلم الوضعي. فهذا العلم يشرع كافة الأعمال والممارسات شرط أن تخدم الدولة القومية. الشيء الأساسي هو «أبدية الدولة القومية ووحدة الوطن الذي لا يتجزأ» أما الباقي تبقى مجرد تفرعات.

هل وصل مرتكبي هذه الممارسات والمجازر إلى أهدافهم؟ هل ساهمت في تراجع الكرد عن المقاومة والنضال في سبيل حريتهم وهل حطم ارادتهم؟ بالطبع لا بل زادهم عزماً في النضال والمقاومة. فمقاومة الكرد ضد القوى الاستعمارية الإنكارية هو نضال لحماية الهوية والثقافة واللغة بالإضافة إلى حماية وجوده القومي، لا يمكن للشعب الكردي أن يحافظ على حياة حرة وديمقراطية من دون الحفاظ على كيانه الوطني بهويته وصونه بشكل حر، وكذلك لا يمكن للذين لا يمتلكون هويتهم وثقافتهم أن يكونوا أصحاب لفكر ديمقراطي حر، وبكل تأكيد لا يمكن للذين قهرت إرادتهم (من أفراد وجماعات) مواجهة الانحلال الثقافي الذي يعتبر من أقذر أشكال الإبادة، وبناء مجتمع حر ديمقراطي ولا يمكن تنظيمهم بشكل حر والوصول بهم إلى حياة حرة ديمقراطية.

ازدادت الآلام والمعاناة بتطور الوسائل الثقافية للأنظمة الرأسمالية، وتحولت هذه الوسائل إلى كائن وحشي يلتهم الثقافة ويبيدها ويشكلها وفق ذهنيتها بشكل لا مثيل له في التاريخ، وبدأت الثقافة الحاكمة بالهجوم على الغنى الثقافي الآخر، ويلتهم النظام الرأسمالي خلايا بنية المجتمعات كورم سرطاني، وزادت كل من الدولة التركية والعربية والفارسية من حدة ممارساتها بحق الشعب الكردي تصاعداً مع تطوير الرأسمالية لهذه الوسائل، ظننا منهم قدرتهم على الاستمرار بسياستهم بالوسائل المتوفرة لديهم. ففي هذه الفترة يواجه الكرد اكبر خطر للإبادة من أي وقت مضى من تاريخها. فرغم تطويرهم لنضالهم السياسي والاجتماعي الحر، وحماية قيمهم الثقافية ووصولهم إلى بعد كبير في هذا المضمار، إلا أن خطر وتهديد سياسة الانحلال الثقافي مازال قائماً.

حيال هذه السياسات تلقى مسؤولية مناهضة الانصهار الثقافي، على عاتق الشعب الكردي وقواه الديمقراطية ومنظماته المناضلة في سبيل الحرية وكافة مؤسساته وأبنائه، وتطوير ثقافتهم ولغتهم وإعلان حرب الوجود تجاه هذه السياسة، وذلك اعتماداً على الثقافة الحقيقية وتجديد الثقافة الكردية ضد النظام الاستعماري الإنكاري والتصدي لهجمات الثقافة الامبريالية، عليها أن تبدي أعظم المقاومات في الخندق الثقافي، فهذا الخندق هو حماية المجتمعات من خطر الانحلال الثقافي وإنكار الهوية ومنع اللغة.

الخنادق الثقافية، هي التي تحمي ذاتها إلى آخر رمق ضد هجمات العدو، وبقدر استمرار هذا الخندق على الصمود فبإمكان الشعب أن يحيا ثقافته وهويته ولغته، ودون ذلك لا يستطيع الحفاظ على غناه الثقافي، ولن يشكل أرضية لتكوين حياة ديمقراطية حرة، ولا يمكن لأية سياسة اجتماعية أو ثقافية أن تبني تلك الحياة، فإن أردنا حماية وجودنا وتأمين مستقبلنا وسد الطريق أمام كافة المخاطر المهددة لوجودنا، علينا أن نبني خنادق الثقافة بشكل متين، فالنصر في مواجهة القوى الاستعمارية الهادفة إلى الإبادة الثقافية وكسب الغنى لإثبات وجودها استناداً على ثقافتهم، هامة للغاية.

يمكننا النجاح في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إن انتصرنا في الميدان الثقافي وحافظنا على استمراريتنا.

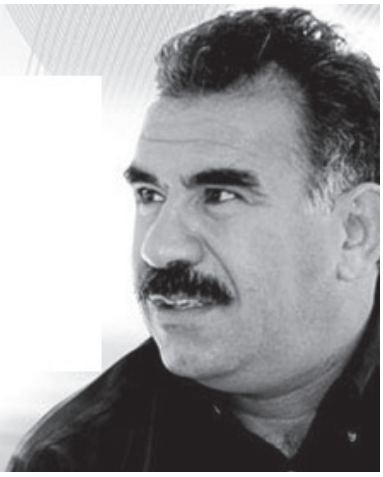

رسالة قائد الشعب الكردي

عبد اللّه أوجلان

بمناسبة الأول من أيار

إن الاشتراكية أصحبت ضرورية في هذه المرحلة بشكل لا يمكن مقارنتها بأي مرحلة أخرى في التاريخ، بالإضافة إلى هذه الضرورة فإن الابتعاد عن الإيديولوجية والعمل الاشتراكي تعكس مدى تفاقم أزمة الإشتراكية وأزمة الرأسمالية في نفس الوقت. أزمة الاشتراكية لم تكن نتيجة لعوامل موضوعية، بل كانت نتيجةً لعوامل ذاتية تتعلق بالجمود الفكري، والأخطاء التنظيمية والعملية. بالإضافة إلى أسباب خارجية تتعلق بهيمنة الإيديولوجية الرأسمالية، إلا أن العوامل الأهم هي افتقاد الإيديولوجيا والعمل الإشتراكي بالإضافة إلى النهج الانتقائي في الممارسة العملية.

في عصر الهيمنة الرأسمالية المالية، ليس عالم الكدح هو المستهدف فحسب، بل إن المجتمع بأكمله، بتاريخه وبيئته ومستقبله مستهدف، ووصل فيه إلى درجة أصبح هناك خياران لا ثالث لهما إما تحقيق الإشتراكية أو القبول بالبربرية والهمجية، أو بمعنى آخر إما المجتمع أو الفناء.

إن جينات الرأسمالية التي تطل برأسها من دهاليز التاريخ كفئران قارضة، تحولت في عصرنا الراهن إلى سرطان يفتك بالبنية الاجتماعية برمتها. ومما لا شك فيه أن احتكار المعلومات قد لعب دوراً أساسياً في ذلك. وعليه يجب أن تسير حرب المعلومات في سبيل التحرر الاجتماعي بالتناسق مع الحرب الاجتماعية والأخلاقية.

وعليه فمن الضروري مواجهة الأعمدة الثلاثة التي تحافظ على هذا النظام، وهي رأس المال الاحتكاري، التصنيعية والدولة القومية، وذلك من خلال الإشتراكية المستندة على الاقتصاد الاجتماعي والتصنيعية البيئية والأمة الديمقراطية. وبمعنى آخر يجب أن نواجه الحداثة الرأسمالية بالحداثة الديمقراطية كبديل.

لقد فشلت الأنظمة الاحتكارية للإشتراكية المشيدة والاشتراكية الديمقراطية وحركات التحرر الهجينة لأنها لم تستطع تجاوز النمط الاقتصادي الأحادي في مواجهة الحداثة الرأسمالية. مما أدى إلى تحول الرأسمالية إلى وحش هائج.

وطريق الخلاص يكمن في الحداثة الديمقراطية القائمة على أساس الأمة الديمقراطية، التصنيعية البيئية والاقتصاد الاجتماعي.

إن الأنظمة المهيمنة تعيش اليوم أضعف حلقاتها في منطقة الشرق الأوسط، حيث الأوضاع الراهنة تبدو كأنها بداية للحرب العالمية الثالثة، وكردستان هي مركز هذه المنطقة، كما أن الحركة التحررية هي التي تقود طليعة النضال المناهض للهيمنة، الذي تخوضه شعوب المنطقة ومختلف المجموعات الثقافية والقومية.

العمال والعاطلون عن العمل مجبرون على قيادة هذا النضال عبر التسلح بجوهر الإيديولوجيا والممارسة العملية.

يجب عليهم القيام بدور الطليعة لكافة فئات المجتمع في المدن والضواحي والأرياف، عبر استنباط الدروس والعبر من التجارب التاريخية والارتباط بتاريخ شعوب المنطقة.

حزب العمال الكردستاني سيعبر عن مهمته التاريخية بهذا الشكل، ويؤكد دعمه ومساندته الأممية لشعوب المنطقة وجميع شعوب تركيا وطبقتها العاملة، مع العزم والإصرار على الوفاء من خلال الممارسة العملية.

عاشت وحدة الطبقة العاملة ووحدة الشعوب

تسقط الهيمنة الرأسمالية

رسالة قائد الشعب الكردي إلى مؤتمر الإسلام الديمقراطي

إخوتي المؤمنين

تمر المراكز الأساسية للإسلام بتغيرات وتحريفات كبيرة، حيث تشهد التمرد على الإسلام وخيانته. ورغم إدراكي بأن استخدام مصطلحات من قبيل «كردستان» و»الديمقراطية» في هذه المرحلة الحساسة قد يؤدي إلى إدراكات خاطئة وناقصة، لكنني لم أتردد في استخدام هذين المصطلحين، وذلك لكي أسد الطريق أمام ارتكاب أخطاء أكبر وأفظع، ولكي أفتح الطريق أمام ظهور الحقائق الجوهرية المخفية.

إن التيارات السلطوية السلفية العروبية والشيعية الإيرانية، والتي فرضت نفسها حتى يومنا الراهن كأكبر مركزَين أساسيَّين للإسلام انطلاقاً من البنية الدولتية، قد ألحقت أضراراً جسيمة بالإسلام. وفي مواجهة ذلك فإنني أعتبر تصعيدَ النضال انطلاقاً من المصطلحات المتمحورة حول «المكان» و»الشعب» و»الديمقراطية» واجباً عليّ تعبيراً مني عن الالتزام بالحقائق الموجودة في جوهر الدين بعينه. كما أنني أعتبر البحثَ عن الجواب الإسلامي السديد والعثورَ عليه وتحويله إلى إرادة وقوة قرار ملموسة من أهم المهام التي تقع على عاتق مؤتمركم هذا. ويعد هذا تعبيراً عن جوهر الانطلاقات الديمقراطية المرتكزةِ إلى المكان الجغرافي، والمناهِضة للمركزَين السلطويَّين والدولتيَّين كأفضل ردٍّ أخلاقي وسياسي ومجتمعي تجاههما. وعلى هذا الأساس أحيي مؤتمركم.

إن هذين التيارَين المركزيَّين والسلطويين والدولتيَّين الأساسيَّين قد تطورا بالتزامن مع صعود الرأسمالية والإمبريالية، وتم استخدامهما بصورة خاصة من قِبل الإمبراطورية الإنكليزية التي ظهرت كقوة مهيمنة جديدة في العالم الحديث، والاستفادة منهما في دك أركان الإمبراطورية العثمانية التي كانت تشكل حلف السلطة المهيمن في عهدها. وما تزال هذه المراكز تستخدَم لهذا الغرض وبكثافة.

لقد عمل كِلا المركزَين بكل قواهما على استخدام جرثومِ العنصرية القومية ضد جوهر الدين الإسلامي. ولم يترددا أبداً في فرض نظام الدولة القومية على شعوبهما بأكثر الأشكال جوراً وطغياناً أثناء بناء دولتَيهما القوميتَين، على الرغم من أن هذا النظام يعد من أكثر مصطلحات وممارسات الإمبريالية الرأسمالية التي تتضمن العنف المركزيّ. مع العلم أن ذهنية الأمة الإسلامية لا تنسجم إطلاقاً مع مفهوم الدولة القومية من حيث الجوهر.

وبالأصل، فإن الإمبراطورية الإنكليزية قد عملت على ترسيخ الدولتية القومية وأيديولوجيتها الرئيسية المتمثلة في العنصرية القومية، وقامت بنشرهما في عقل ورحم الأمة الإسلامية بشكل واعٍ وممنهج بغية تشتيتها. وعليه، فقد قامت خلال القرنين الأخيرَين بإلحاقِ أضرار جسيمة بكل القيم الإسلامية الموجودة ضمن الأماكن التي تعد مهد الإسلام وكذلك بين صفوف الشعوب المسلمة، وتتسبب بتخريباتٍ جادة فيها بحيث يكاد يصعب تذليلها والتغلب عليها.

إخوتي المؤمنين

إن الإسلام يمثل حقاً آخِر الآفاق الكونية التي يمكن التحدث عنها باسم الدين. وقد اكتسب الإسلام الصفة العالمية بفضل لغته وفلسفته. هذه حقيقة لا تحتمل الشك. أما الجانب الآخر المثير برأيي في هذه الفلسفة التي أعتبرها مهمة جداً، فهو الحقيقة التي يعبر عنها الإسلام الحديث ويجسدها من خلال مصطلح «الوحدانية». حيث يعبّر الجانب الكوني عن نفسه بقوةٍ من خلال «وحدانية الله»، ويصل بها إلى الآفاق الكلية القصوى. فكونية الإسلام وتستمد قوتها من وحدانية الله. ولكن، لم يتم التركيز بنفس الدرجة من الأهمية على «الواحديات» المبنية على تلك الأرضية الكونية. بل أُهمِلَت وتخللتها العديد من الأخطاء والنواقص، مما تسبب في الكثير من التفسيرات المتضاربة والممارسات المتصادمة.

وعليه، فمن أولى مهامنا الرئيسية هو تناول الصفات الواحدية الانفرادية، ودراستها حسب المستوى الذي يليق بها من حيث الكفاءة وروح المسؤولية، وبما يماثل الأهمية التي تولى لصفات الله الحسنى المنزّهة عن المكان والزمان. بمعنى آخر، وبتعبير علمي أقول: يجب علينا النجاح في تطبيق المبادئ العامة على أرض الواقع بحرية وعدالة. وبشكل أكثر وضوحاً أقول: علينا تجسيد المواقف العادلة والحرة الكائنة في صُلب البُعد الكونيّ للإسلام فيما يتعلق بالكائنات الحية عموماً وبالمجتمعات البشرية بصورة خاصة. وهذا هو المقصود عندما يقال بضرورة النأي عن ظلم العباد وبعدم الدهس على نملة.

إن «حزب الله» و»تنظيم القاعدة» الفاسدَين المُفسِدَين المنبثقَين من المركزَين الظالمَين، يمثلان أساساً الفاشية المعاصرة التي فرضتها عقلية التهميش الرأسمالية كبلاء كبير مسلّط على الأمة الإسلامية. حيث يمارسان أفظع أشكال الفاشية عبر الإعدام وقطع الرؤوس ضد الشعب الكردستاني بالدرجة الأولى وضد جميع الشعوب المسلمة وغير المسلمة بالدرجة الثانية. لقد كانت ولا تزال الفاشية القومية والسلطوية والعلمانية تتجسد في الفاشية الدولتية التي تطبَّق اليوم بأعتى أشكال الجور والقمع، مثلما كانت عليه في الأمس. وبالمقابل، فإن فاشية النزعة الدينية التي يُزعَم أنها أكثر عصرية وراديكالية يتم ممارستها عن طريق هذين

التنظيمين المذكورَين.

الإخوة المؤمنين الأعزاء

إن حركة الحرية السائدة في كردستان لن تنجر أبداً إلى هذين الشكلين المركزيين الأساسيين من الشذوذ. أي أنها لن تنزلق نحو التيار القوموي العلماني السلطوي، ولا نحو التيار الذي يزعم بأنه ديني راديكالي. كما أنها ستتصدى لهما. وأنا على ثقة بأن حركة الحرية التي تمثلونها سوف تتصدى لجميع المفاهيم والممارسات السلطوية والذكورية والرأسمالية المشحونة بالعنصرية القوموية والدينوية والجنسوية والعلموية، وأنها ستمثل مهد الديمقراطية الراديكالية والمكان الذي يفوح بالحرية. إني أثمّن عالياً «وحدة الأمة» ضمن صفوف الأمة الإسلامية المعاصرة. لكن هذا لا يعني أبداً المناداة بخزعبلات «دولة واحدة، أمة واحدة، وعلم واحد». بل على العكس، فما أعنيه هو التعددية والديمقراطية والمساواة والحرية التي ينص عليها الإسلام حسبما جاء في الآية الكريمة «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وإنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا». فإن هذه الآية تعبر عن «اتحاد الأمم» والأقوام الأخرى. وكلي أمل وثقة بأن يعمل مؤتمركم على اتخاذ المواقف السديدة وفق البُعدَين الكونيّ والواحديّ للإسلام، بحيث يتناول موضوع «اتحاد الأمم الإسلامية»، ويعالج مشكلة «المذاهب الانفرادية» أيضاً بصفتها تعبيراً عن التعددية التي يحتوي عليها الإسلام.

من المهم أساساً عدم خنق حركتنا هذه بين طرفَي ثنائية «الدين – العلمانية» التي هي ثمرة من ثمار الهيمنة الإيديولوجية للغرب. وباعتقادي، فإنه من الخطأ أن يخنق الإسلام نفسه في ثنائية «الدين – العلمانية»، والتي تعني تشويه وإفساد التكامل الكليّ للحياة في الإسلام. كما أن تعريف المعايير الإسلامية انطلاقاً من نمط اللباس لا يعبر سوى عن وجهة نظر وضعيةٍ وضيقة. وإذا كان لا بد من تعريف عصري عام للإسلام، فباعتقادي أنه سيكون من الأنسب تسميته بـ»الإسلام الثقافيّ» نظراً لقابلية هذه التسمية في احتواء الجميع. والمقصود بـ»الإسلام الثقافي» هنا هو «المجتمع الإسلامي» المتحقق، والذي لا يزال يحافظ على معناه.

يجب ألّا ننسى أن شروط وأشكال العبادة لدى ولادة الإسلام كانت مغايرة كثيراً للمعاني التي يتم السعي إلى إضفائها عليها في يومنا الراهن. فالكلمة الأولى في القرآن الكريم كانت «إقرأ». أي أنها معنية بالمعنى والمعرفة. هذا هو الأساس، وهذا ما يمكن إسقاطه بشكل سلس على واقعنا الراهن. يتوقف معنى الإسلام وتعريفه بالنسبة لحاضرنا على مدى تطبيق معايير العدالة والديمقراطية والحرية ضمن المجتمعات الإسلامية التي تتميز بحقيقتها الاجتماعية والتاريخية. كما يتجسد أيضاً في سلوك الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، أي في الحياة المحصنة دائماً بسلاح النقد والنقد الذاتي. وبمعنى آخر، فإن معنى وتعريف الإسلام الحقيقي يتجسد في سيرورة ودائمية الصراع مع النفس الداخلية ضد قوى الشر الخارجية.

إخوتي المؤمنين المحترمين

وفق أهمية المعنى الذي حاولت صياغته بخطوطه العامة وإضفاءه على مؤتمركم، فمن المهم أكثر تأمين الاستمرارية لمؤتمركم هذا، وترسيخ البُعد المؤسساتي فيه من الآن فصاعداً. إنها مهمة كبيرة ملقاة على عاتقنا وعاتقكم. وكما الحال في عموم البلدان الإسلامية، فإننا بحاجة ماسة إلى مؤسسة إسلامية جديدة في كردستان أيضاً. وهذا بدوره ما يقتضي بالضرورة تجاوز الجماعات السلطوية الشيعية والسلفية والإخوانية التي لم تذهب أبعد من كونها مشتقات الرأسمالية العالمية.

وبالطبع، فالحل لا يكمن في الديانة الإسلامية الرسمية. فالديانة الإسلامية الرسمية هي «إسلام مخصي»، وإسلام كاريكاتوري مناقض لذاته ومفرّغ من محتواه أكثر بكثير مما هو عليه الإسلام غير الرسمي. كما إن الإسلام الرسمي يلعب دوره على نطاق واسع يمتد من الفاشية وحتى الليبرالية. بالتالي، فهو بمثابة الإسلام المضاد. إن الجماعات الرسمية و»اللاسياسية» على السواء، وكذلك الممارسات الإسلامية التي تم تجربتها مؤخراً في تركيا قد جعلت المجتمع وجهاً لوجه أمام أعتى أنواع الرأسمالية النهابة والسلطوية والمعادية للبيئة. لذلك فإن البديل الأمثل لهذا الواقع القائم يكمن في الإسلام العادل والحر والديمقراطي، والذي يتعين عليه أن يعرّف نفسه ويسعى إلى مأسسة ذاته بصورة دائمة. وهنا أعرب عن ثقتي الكبيرة بأنكم ستتوقفون بكل جدية وعزيمة وعمق على الأمور الضرورية، بدءاً من تحديد اسم المؤسسة الجديدة وحتى تبيان أسسها التنظيمية وآليات عملها.

وفي الأخير أود القول: إن بعض الأوساط تحاول تعريف حركتنا بمصطلحات غربية كأن تصفها بأنها «إلحادية» و»مادية» و»شيوعية». من الأفضل وصف تلك الأوساط بأنها «عبيد المصطلحات». ولكن أستطيع القول: إذا كان المجتمع الإسلامي حقيقة واقعية، فلا وجود حينها لشخص ملحد وآخر متدين. فمثل هذه التسميات هي مجرد اصطلاحات.

إنّ الشعب الكردي يعيش في أحلك الظروف، ويئن تحت حصار كل قوى الطغيان الرأسمالية العالمية التي تحاربه بأرقى أنواع الأسلحة الحربية وبأشد الهجمات شراسة، ويتعرض لشتى أشكال الاستغلال. كما ويعاني المجتمع الكردي من أفتك أنواع الظلم والاستغلال تحت اسم الإسلام. وعليه، فإنّ المقاتلين من أبناء هذا الشعب والمجتمع لا يليق بهم إلا مقارنتهم ومساواتهم ببطولةٍ من مستوى بطولة سيدنا علي رضي الله عنه. وبالتالي، فلا يساورني أدنى شك من أننا نمثل التقاليد الإسلامية الأكثر عدالةً وحرية وديمقراطية (في تاريخ المسحوقين والمضطهدين). كما لا أشك أبداً في أن حركتنا نموذجية من حيث جدارتها بلعب دور الطليعة العصرية في مشاطرة هذه الحقيقة مع الشعوب المظلومة الأخرى في كافة أرجاء العالم من جهة، وعلى صعيد قابليتها للتجديد والتغير اللذين يقتضيهما الحاضر والمستقبل.

أما التحول إلى تركيبة جديدة تجسد شخصية الحسين وشخصية صلاح الدين الأيوبي في آن معاً بصورة عصرية، فهو من أهم منابع الإيمان والإلهام بالنسبة لي. ومن هنا أدعوكم جميعاً للتشارك والعمل والتحول إلى إرادة وقوة قرار. كما أناديكم للالتفاف حول وحدانية الله الذي هو اسمٌ لكلّ ما هو حر وعادل ومجتمعي، وأناشدكم لتكونوا منبع الثقة من أجل تحقيق الوحدة. ومرة أخرى أحيي مؤتمركم.

إما الحياة الحرة أو الإبادة العرقية

عبد الله أوجلان

من المهم الاستيعاب جيداً أنّ النظرَ إلى المواقف الموضوعية الشيئية على أنها المصطلحُ الأكثرُ نزاهةً وشفافيةً في الأسلوب العلمي قد تَسَبَّبَ في كوارثَ مُهلِكة

لقد قامت الحضارة العبودية السومرية على أكتاف القيم الاجتماعية للعصر النيوليتي والتي طورتها الشعوب في منطقة الهلال الخصيب خلال عشرة آلاف عام، وامتلكت التكنولوجيا والعلم الخاص بالعصر النيوليتي عن طريق إقناع نظامها المنتج على الأغلب وعن طريق التجارة أحياناً والعنف في أحيان أخرى، وقامت بتمأسسها على أساس فروع مهنية ومسلكية وحولتها إلى غنى غير عادي ضمن كيانها، لقد جمدت الشعوب والاقليات العرقية للعصر النيوليتي مقابل تصاعد حضارة الرق السومرية، كما هو موقف الإمبريالية الأمريكية حيال الشعوب في عصرنا هذا. لقد قلبت الإمبريالية السومرية الشعوب رأساً على عقب ولا سيما في المرحلة الآشورية، إلى درجة أنه مازال يعاش تأثيرها في الشرق الأوسط وكل العالم، وتحول ذلك إلى إرهاب وإبادة جماعية من جهة، وتثبت بالأرض والخازوق من جهة أخرى، لتترك أثراً لا يمحى من الذاكرة الإنسانية. ولقد تواصلت ممارسات الاستغلال والهيمنة في المجتمع الطبقي على الإنسان حتى يومنا هذا.

وأن كان تمارس إبادة الإنسان في حاضرنا بشكل منظم ويتصاعد ذلك بشكل يوازي التطور التقني، فأن هذا الوضع ناتج عن التزام المجتمع الحاضر بالواقع العملي للحضارة الأولى، التي ترسخت في ذاكرة المجتمع وراثياً. قد يوجد للذاكرة الاجتماعية مورثات تتكون باستمرار مثل مورثات الإنسان التي تمهد السبيل أمام نفس الصفة، وتسكن هذه المورثات في ذاكرة المجتمعات اللاحقة وتحدث نفس التأثير. تعيش الطبقة المستغلة حالة ضعف وتراجع في الوقت الذي تتضخم فيه الطبقة الحاكمة. لقد خلق ديالكتيك الظلم والاستغلال بحيث لازال تشتيت هذه العجلة غير ممكناً. إن الإنسانية جزأت الذرة، ولكنها لا زالت بعيدة عن تشتيت عجلة هذا النظام.

الموضوعانية: المصطلح المفتاح لنظام الإبادة العرقية

لا بد من إعادةِ تعريفِ وشرحِ مصطلحِ «الموضوعانية» بعمقٍ غائر في الأسلوب العلمي. فتعريفُ كلِّ الطبيعة (بأحيائها وجمادها) علَى أنها «شيء موضوع» – بما في ذلك جسدُ الإنسان، وفيما عدا الفكر التحليلي – قد لَعِبَ دورَ المفتاح في استعمارِ الرأسمالية للطبيعة والمجتمع، والتحكم بهما. ذلك أنه من غير الممكن تحقيق التحوَل الذهني اللازمِ للعصر الحديث، بدون تجذيرِ وشرعنةِ التمييز بين الذات والموضوع.

بينما تكون الذاتُ العاملَ الشرعي الأكثر تداولاً وقبولاً في الفكر التحليلي، يُعتبَر الموضوعُ Nesne العنصرَ «المادي» الملموسَ الذي يمكن القيامُ بكلِّ أنواعِ المفارقات والإشاعات عبره. وبمعنى آخر، فهو يمثل «الموضوعيةَ» Objektivite. وقد نَشَبَت صراعاتٌ مريرة بسبب هذا التمييز. إذ يجب عدمَ تقييم الصراع بين الكنسية والعِلم كمجردِ نزاعٍ على «الحقيقة» المطلقة،

وتشديدُنا على كَونِ الواقعِ الاجتماعيِّ يعني مستوىً مختلفاً من الإدراكِ، هو بدافعِ استيعابِ الفوارق فيما بينه وبين العلومِ الأخرى بشكل أفضل. ذلك أنه، وبدونَ الإمساكِ بهذه الفوارقِ ووضْعِ اليد عليها، سوف نقع في نفسِ الخطأ الفادحِ الذي سَقَطَ فيه الوضعيون، ولن ننجوَ بالتالي من مَرَضِ «العلموية». أما حصيلةُ ذلك، فهي الإبادَةُ العِرقية التي آلت إليها الحداثةُ الرأسمالية. أما الإبادةُ العِرقية – أُكَرِّرُها ثانيةً – فهي الجُرمُ الشنيعُ والإثمُ الفادحُ الذي أَذهَلَ أدورنو لدرجةِ قولِهِ بأنَّ كلَّ السلوكياتِ الإلهيةِ والبشريةِ تَعجَزُ عن إيضاحِ بواعثه، وفَكَّرَ بضرورةِ رميِ كافةِ الكتب في النارِ لتلتهمها، وآلَ إلى نتيجةٍ مفادُها أنَّ الحياةَ تأسست على منوالٍ خاطئ. هذا ومن المهم تثبيت استحالةِ استذكارِ مغدوري الإبادةِ والتطهيرِ العرقي خارجَ نطاقِ هذه المعاني. لكنَّ الحياةَ العصريةَ، والمدرسةَ الوضعيةَ تعاندان في رفضِ هذه الحقيقة، بل وتعتقدان بإمكانيةِ العيش في هذه الحياة الاجتماعية، رغمَ كلِّ هذه الإباداتِ العِرقية. أو أنهما تَجرؤان على القول بإمكانيةِ العيش مع هذه التحريفات والتشويهاتِ الذهنية وقيمِ المدنية الماديةِ المؤدية إلى هذه الجريمة، دون القضاءِ على الجريمة بكافةِ ركائزها الأولية. وبسببِ هذه الجرأة، التي يجب ألا تتواجدَ في أيِّ كتاب، وبالتالي في أيِّ ذهنيةٍ أو عقل، يَرتَعِد أدورنو، وينعكفُ على الانزواء، ويموت.

ما أسعى لعمله هنا، هو تحويلُ منابعِ هذه «الجرأة» وأشكالِ تجاوزها المحتمَلَةِ إلى قضيةٍ إشكالية، وإبداءُ كفاءاتنا ومهاراتنا في الرد عليها وإيصالِها إلى المعاني والممارسةِ. ذلك أنه لا مجالَ أمامنا لِغَضِّ النظر عن الحداثة المستمرة في وجودها، والمؤديةِ إلى بروزِ بؤرِ الإبادة والتطهير العرقي المتمأسسةِ طردياً مع الزمن. فحقيقةُ عراقِ اليوم الباديةُ للعيان، وماهيةُ كافةِ أنظمةِ الشرق الأوسط في الإبادة العرقية – سواءً علناً أو استتاراً – ومشاركتُها جميعاً في الجرائم والآثام؛ واضحةٌ جلياً ورهيبة بِهَولِها، بحيث أنَّ راصديها يشعرون بها، فما بالك بالمحترقين بألسنةِ لهيبها والمنصهرين في بوتقتها. ورغم ذلك، ثمة بالمقابل نزوعٌ وميولٌ عظمى متطلعةٌ للحياة الحرة. ولكن، مِن المحالِ البتةَ العيشُ بشكلٍ مشترك ومتداخلٍ في نطاقٍ ثنائيةٍ: إما الحياةُ الحرة أو الإبادةُ الجماعية. إذ لا يمكننا العيشُ هكذا والمشاركةُ في جريمةٍ كهذه. فكيف حصلَ ووصلَت هذه الأراضي بتاريخها إلى هذه الحالة، بعدما كانت منبعَ أسمى معاني الحياة؟ ففي الطرفِ الأولِ تنشبُ حروبُ الأثنيات التي كانت مَهَّدَت الطريقَ لبروزِ أُولى معاني الحياة، وفي الطرفِ المقابلِ ثمةَ الحروب التي يقودها الإله الأخِير للحداثةُ! ما دام كذلك، فلا خيارَ لنا من التحامل على الموضوع تكراراً ومِراراً، والرَّدِّ على قضاياه، وإنجازِ العمليات اللازمة.

مِن المحالِ البتةَ العيشُ بشكلٍ مشترك ومتداخلٍ في نطاقٍ ثنائيةٍ: إما الحياةُ الحرة أو الإبادةُ الجماعية

فمثلما قال أدورنو «لن تبقى لجميع الآلهة السماوية – لرجالِ العلم الناطقين باسمها – أيةُ كلمةٍ تُقالُ بعدَ تشييدِ معسكراتِ الإبادة الجماعية».

لا تَنحَصِرُ المدنيةُ في كونها مراسيمُ «المذابح الدموية» (حسبَ هيغل) فحسب، بل هي أنكى، حيث تُعَرِّضُ معانيَ الحرية للإباداتِ العِرقية المتواصلة – رغم كونها الدافعُ الوحيدُ لحياةِ الإنسان – فلا يتبقى منها سوى حُثالةُ الحياةِ وخُثارتها.

المدنيةُ هي البقايا المتبقيةُ من إفراغِ معاني الحياة الحرةِ من فحواها.

عندما ننظر إلى نمطِ حياةِ أبسطِ الكائنات الحية، فما نراه ليس إلا المعنى الذي يُضفِيهِ على الحياة. إنه نمطٌ من المعاني التي تَمُدُّها بقدرةِ التكاثر إلى ملايينِ الأنواع، وتَوَغُّلِ الجذور حتى في أعتى الصخور، ومواصلةِ الوجود حتى في ثنايا القطب المتجمدِ عندما تتطلبُ الحاجة، والطيرانِ إنْ لَزِمَ الأمر، والقدرةِ على تطويرِ تقنياتٍ لا متناهيةٍ لا تطالَها اكتشافاتُ الإنسان ولا تَخطُرَ ببالِ بشر. أما المجتمعُ المديني، فأيُّ المعاني – أو عدميةِ المعاني – التي يمتلكها، فيما خلا قُدرته على إفراغِ وجودِ الحياة الأكثرِ رقياً من معانيها عبرَ الكذبِ والرياء والزيف وعبر العنفِ المنظَّم والممنهَج منذ بداياته، وإيصالِها إلى شفيرِ هاويةِ الانتحار في مراحلِهِ الأخيرة؟

لَقد غَدَت السوسيولوجيا الكلامَ المؤديَ إلى إعادةِ تعريفِ هذه القوة مجدداً للمدنية الأوروبية المِحوَر. وحسبَ التعبير المسيحي، أصبحَت الكلمةُ الفصل للرب. لذا، فالتخلي عن هذا الكلام ضرورةٌ من ضروراتِ احترام معاني الحياة التي تمتلكها أبسطُ الكائنات الحية. فالوجودُ الأرقى والأسمى للأخلاق لن يَقدِرَ على تفسير هذا الكَمِّ من انعدام الأخلاق بأيِّ شكلٍ وبأيِّ شيءٍ كان. ولنستذكر ثانيةً أنه: ما مِن كلام تقوله الآلهة.

وإزاء الفقدان الكَبير للمعنى، فنحن مُطَوَّقون ضمن حصارِ المدنية المادية في أرقى مراحلها. فكيف لنا

حيث تستتر نضالاتٌ وكفاحاتٌ اجتماعية عظمى تحته. إنه ضربٌ من ضروبِ النزاع والصراع بين المجتمع القديم المشحون بالأخلاق، والمجتمع الرأسمالي العاري الساعي لنزع الستار الأخلاقي عن ذاته. أي أنَّ المسألةَ ليست مجردَ نزاعٍ بين الكنيسة والعِلم فحسب. وبشكلٍ أعم، أنه صراعٌ بينَ النظام الذي حافظ عليه وجدانُ المجتمع طيلةَ مسيرته التاريخية، وحَظَر استغلالَه، ولَعَنَ ذلك، واعتبرَه جرماً لا يُغتفَر؛ وبين المشروعِ الاجتماعي الرأسمالي الجديدِ الساعي لفتحِ الأبواب على مصاريعها أمام استعمارِ المجتمع واستغلالَه والتسلطِ عليه، دون الاعترافِ بأيِّ حظرٍ أو جُرم أو لعنة. و»الاتجاه الموضوعي» هو المصطلح المفتَّاح لهذا المشروع.

حالةُ حربِ الكل ضد الكل

تتخفى تحت مفهوم «الموضوعانية» Nesnellik لـ»الفكر التحليلي» فكرةٌ مفادها: ما من «قيمةٍ» لا يمكن إخضاعها للعملية. إذ يمكن استغلال كلِّ ما في الطبيعة من حيٍّ وجماد، والتحكم بها وتملُّكها، بحيث لا يقتصرُ الأمرُ على كدحِ الإنسانِ فحسب، بل ويمكن البحث والتنقيب فيها، والتَمتع بحقِّ استغلالها بكافةِ الأشكال. وفيما عدا الذواتِ المنتقاة، يحق النظر لكلِّ شيءٍ على أنه ميكانيكيٌّ آلي، وبالتالي، التحكم به واستغلاله بلا رحمةٍ أو شفقة. أما الفرد، والمواطِن، ومجتمعُ الدولة القومية، المنظَّمون كـ ذواتٍ أساسية في مواجهة الطبيعة والمجتمع، فيُعتبَرون «اكتشافاتٍ جديدة» ذاتَ طاقةٍ جنونيةٍ قادرةٍ على الإبادات الجماعية، وإيصالِ البيئة لحالةٍ لا تُطاق، باعتبارِ أنهم الآلهةُ الجديدةُ غيرُ المقنَّعة. وكأنّ «اللوياثانَ» القديمَ بات مسعوراً. وكأنه ما من شيءٍ Nesne لا يستطيع التحكمَ به أو تمزيقه إرباً إرباً. من المهم الاستيعاب جيداً أنّ النظرَ إلى المواقفِ الموضوعية الشيئية على أنها المصطلحُ الأكثرُ نزاهةً وشفافية في الأسلوب العلمي قد تَسَبَّبَ في كوارثَ مُهلِكة، وانحرافاتٍ كبرى، بل ومجازرَ مرَوِّعةٍ بما يضاهي محاكمَ التفتيش المتبقيةِ من العصور الوسطى. يجب التشديد، وبعناية، على أنّ الموقفَ الموضوعي ليس مصطلحاً علمياً نزيهاً على الإطلاق.

تحولَت السلطةُ في الحداثة إلى ساحةِ حربٍ دائمة، سواءً داخل المجتمع، أو فيما بين المجتمعات، كأمرٍ واقع (إذ لم يَعُدْ ثمةَ معنى للتفريق بين الدولة والمجتمع). وعبارةُ هوبز «إنها حالةٌ من حربِ الكل ضد الكل»، والتي قالها في مجتمعٍ ما قبلِ الرأسمالية، تصبح أكثر تأثيراً وشيوعاً في ظلِّ الحداثة الرأسمالية. وما الإبادات العرقية سوى ذروةُ هذه الحروب.

لن نتجاوز حدودنا بالزعم بأننا نحن الذين نبتدئ بالأسلوب وبالنظام العلمي مجدداً. ولكني عملتُ في كلِّ المواضيع التي حاولتُ تناولها، على الإشارة إلى وجودِ بعض الأمور التي تجري في مسارٍ خاطئ، والتنويهِ بالتالي إلى أنَّ السببَ في ذلك ذو منبعٍ براديغمائي. وأُشَدِّدُ بأهميةٍ بالغة على عدمِ النظر إلى محاولاتي في التفسير والتطبيق وكأنها تأسيسٌ لنظامٍ جديد بديلٍ من الجذور، ولا رؤيتِها على أنها تفنيدٌ كاملٌ (النهليستية – العدمية) لما انتقدتُه. وفي نهايةِ المآل، من المُهِمِّ بمكان انتقادَ الحداثة الرأسمالية المتسبِّبة بالملايين من المآسي والحوادث المشابهة لوضعي أنا (المجازر والإبادات العرقية والحروب التي لا تحصى). وأخص بالذكر ضرورةَ شرحِ جميع المؤثِّرات والعوامل الواجبِ اعتبارَها المسؤولةَ الأولى عن المرحلة الأكثرِ ظلماً ومأساويةً في التاريخ، والتي يمر بها الشعب والمنطقة اللذين أنتمي إليهما (الكرد والشرق الأوسط). فشرحُها بجدارةٍ وبما يليق بالشعب والمنطقة، إنما يُعدُّ من أبسط الشروط وأدناها لأنْ يكونَ المرءُ متنوراً.

كَم هو مؤسفٌ أنَّ الحداثةَ ليست سوى صورةُ حياةٍ مُنشأةٍ على أساسِ الظواهرية. أستَخدِمُ لفظَ «صورة» عن وعي. ذلك أنَّ الحداثةَ متعلقةٌ بأكثرِ أشكالِ الحياة سطحيةً، لا بجوهرِها. وما مقولةُ أدورنو «الحياةُ الخاطئةُ لا تُعاش بصواب»، والتي ذكرَها وعَجزَ عن تحليلها؛ سوى محصلةٌ لخيبةِ الأمل والقنوطِ الذي أَلَمَّ به تجاه الإبادةِ العِرقية لليهود. في هذه العبارة يكمنُ مِربَضُ الفرس، إلا أنها تفتقرُ للإيضاح. أين هو الخطأ الأوليُّ في الحياة؟ مَن المسؤولُ عن الحياةِ الخاطئة؟ كيف أنشِئت؟ وما صلاتُها بنظام المجتمع المهيمن؟ ما مِن ردودٍ على مِثلِ هَذه التساؤلات، بل اكتفَوا فقط بإرجاعِ جذورِها إلى مرحلةِ التنوير والعقلانية، في حينِ أبقَوا على الموضوع – أي، شكلِ الحياةِ الخاطئة – يكتنفه الغموضُ ويَلُفُّهُ الظلام.

لم يُوَلِّد أيُّ مجتمعٍ فرداً يماثلُ ما عليه ذهنيةُ الفردِ في المجتمعِ الذي انتصرَت فيه الرأسماليةُ. والمتسمةُ بهذا القدرِ من اللامبالاةِ. الانجرارِ الجَشِعِ وراءَ المصالحِ. الظلمِ. الإبادةِ العرقيةِ. الصهرِ. والديكتاتورية.

محال البتةَ العيشُ بشكلٍ مشترك ومتداخلٍ في نطاقٍ ثنائيةٍ: إما الحياةُ الحرة أو الإبادةُ الجماعية.

وثمةَ ما تَعَلَّمناه من العلوم بحالتها المشتَّتةِ والمُجَزَّأة، رغمَ انتقاداتنا لها.

النفاذُ والانعتاق من طوق وحصار قُوى رأس المال – العِلم – السياسة؟ إنّ هذا السؤالَ، الذي طالما بَحَثَ فلاسفةُ الحرية عن جوابٍ له، بدءاً من نيتشه إلى ميشيل فوكو ، ليس من النوع الممكن الإجابة عليه بهذه السهولة. علينا تفهُّم هؤلاء الفلاسفة الذين لَم يحتملوا الحداثة («المجتمع المخصيّ» و»موت الإنسان»)، فقضت عليهم. فمعسكراتُ الموت، القنبلةُ الذرّية، حروبُ التطهير الأثني، دمارُ البيئة، البطالةُ الجماعية، تضييقُ الخناق على الحياة بشكل متطرف، تفشي السرطان وغيره من الأمراض كالأيدز؛ إنما تدل على صحةِ تلك الأحكام، بل وتجعل من البحوث عن الحقيقة المضادة مَهَمَّةً ضرورية ومُلِحّةً.

الإله الدولتي القومي

لم تُطَوِّر الرأسمالية العلمَ، بل استثمرَته. ولا يقتصر ذلك على تَمَخُّضِها عن أشنع الأوضاع أخلاقياً، بل يُعَمِّمُ ظواهرَ هيروشيما ، ويَقضي على الحياةِ القَيِّمة. فهل الحياةُ الإعلاميةُ والتشابهُ والتقليدُ انتصارٌ للعلم؟ أم أنها انتهاءُ المعاني في الحياة؟ لا أتحدثُ هنا عن التكنولوجيا والاكتشافاتِ والاختراعات العلمية، بل أسعى لتبيانِ عدمِ كونِ المدرسةِ الوضعية علماً، باعتبارها دينٌ علموي.

من هنا، وبدون الخلاصِ من هيمنةِ وسيادةِ العلمية الوضعية، لا يمكن النجاةَ من نفوذِ وتسلطِ أيةِ سلطة، وفي مقدمتها الدولة القومية. فالمدرسةُ الوضعية هي الدينُ الوثني الحقيقي لعصرنا.

يُمكِنُ تعريف ذهنيةِ الرأسمالية من عدةِ نواحي. وأولُ ما علينا عملُه هو تعريفُها بكونِها تعني الليبراليةَ والوضعية، من جهةِ كونها توفيقيةٌ متمفصلة، تَأخُذُ شكلَ كلِّ القوالب، محفوفةٌ بخطرِ الخداع، فهي دوغمائيةٌ وثوقيةٌ أكثرَ من العقائدِ والقوالبِ الدينية الأكثرَ صرامةً، وأكثرُ هذياناً من الفلسفاتِ الأكثرِ تَجَرُّداً، مضاربةٌ، ووثنيةٌ ضحلةٌ سقيمةٌ لدرجةٍ لم تَقَع فيها حتى الوثنيةُ بذاتها. وبينما تُخصي العِلمَ وتغتصبه عبر المدرسةِ الوضعية، فتُبرزُه مقابلَ عالَمِ العقائد والأخلاق، فهي، ومن خلالِ الليبرالية، تُصَيِّرَ الدولةَ القوميةَ إلهاً ينخر المجتمع، ويُصَعِّدُ من الفرديةِ لدرجةِ ارتكاب الإبادة. لم تُوَلِّد أيةُ ذهنيةٍ دينيةٍ الحروبَ والقمعَ والتعذيبَ المبرح، بقدرِ ما فَعَلَت ذهنيةُ الرأسمالية. ولم يُوَلِّد أيُّ مجتمع فرداً يماثلُ ما عليه ذهنيةُ الفردِ في المجتمعِ الذي انتصَرَت فيه الرأسمالية، والمتسمةُ بهذا القدرِ من اللامبالاةِ، الانجرارِ الجَشِعِ وراءَ المصالحِ، الظلمِ، الإبادةِ العرقية، الصهرِ، والديكتاتورية.

الدولةَ القومية في عصرِ الحداثة الرأسمالية هي مجموعُ أجهزةِ السلطة المستفحلة ضمن الوجودِ الكلي للمجتمع برمَّته. واتحاد الأفراد المُسَمّين بالمواطنين ضمن الإطار الحقوقي

والرأسمالية، باعتبارها النظامُ الاحتكاري المؤسَّسُ على دعائم دنيا المالِ والسلع، تُنشِئُ الذهنيةَ الماليةَ المعاصرة، لِتُقَيِّدَ المجتمعَ البشريَّ بقوالبَ ذهنيةٍ لا يمكنُ أنْ تَخطرَ على بالِ أيِّ نمرودٍ أو فرعون؛ وبينما تَزُجُّ الإنسانيةَ العالمية للسجود أمام أوطأِ الأوثانِ سفالةً، فلا يمكننا حينذاك سوى الحديثُ عن الإفلاسِ الذهني وفسادِه وتفسخِه.

إنّ اصطلاحَ الربح – الأجرةِ على الصعيدِ الاقتصادي، واصطلاحَ البرجوازيِّ – البروليتاري على الصعيدِ الاجتماعي، يُعتَبَران أولَ خطوةٍ لإضفاءِ الطابعِ العلميِّ على الطرازِ الوضعيِّ لنظام يَصهَرُ في بوتقتِه كلَّ المدخراتِ والتراكماتِ التاريخيةِ للبشريةِ الممزَّقةِ إرباً إرباً على يدِ الرأسمالية، لِيَعُمَّ في نهايةِ المطافِ أرجاءَ المعمورةِ برمتِها عبر وحشيتِه المروعةِ في الإباداتِ الجماعيةِ والنووية. أنّ الصناعوية – وعلى عكسِ ما يُعتَقَد – هي الوسيلةُ الأكثر أساسيةً في الهجوم على الاقتصادِ والمجتمع. كما وهي قوةُ تدميرِ الصناعَةِ الحقةِ أيضاً. فنزعةُ النماءِ الصناعيِّ المُسَيِّرةُ وفق جشعِ الرأسماليةِ في الربحِ الأعظميّ، تَؤُولُ بالبلدانِ إلى الدمارِ والفقر، لا إلى الرفاهِ والثراء. وهي تُصَيِّرُها أطلالاً، أكثر مما تَتركُها تتخبطُ في الأزمة. فوضعُ الدمارِ المُفجِعِ الذي أُسقِطَت فيه أفغانستانُ مع الاستمرارِ بصناعةِ الحشيشِ فيها، والذي أُقحِمَت فيه العراقُ مع تَطويرِ صناعةِ النفط؛ إنما يَكشفُ الحقيقةَ بعلانيةٍ صارخة. ما يُدَمَّرُ ويُصَيَّرُ أطلالاً هنا ليست البلدان فحسب، بل وهو المجتمعُ التاريخيُّ والثقافةُ أيضاً. يعاني النظامُ الرأسماليُّ العالميُّ في ظلِّ هيمنةِ الاحتكارات المالية العالمية من الأزماتِ المشتَرَكةِ الخاصةِ بالتمويل، بقدرِ معاناته من أزمةِ نظامِه العامة. أي أنّ أزماتِ النظامِ العامةَ (تنبع من تضادِّها مع الاقتصاد) والأزماتِ الخاصةَ بالتمويلِ والمالِ (المال الذي يتم تمثيله بمختلفِ الأدواتِ الوَرَقِيَّةِ الافتراضيةِ المنقطعةِ عن الإنتاج والذهب، بل وحتى عن الدولار) تسيران بشكلٍ متداخلٍ وفي مرحلةِ الحضيض من تاريخها. كان النظامُ قد تَخَطّى أزماته أساساً بطريقَين حتى الآن. أوَّلُهما؛ عبر أجهزةِ العنفِ الماديِّ للسلطة والدولة القومية المتكاثرةِ باستمرار. وهي تَشمَلُ شتى أنواعِ الحروب والسجونِ

ومشافي المجانين والمستشفيات والتعذيب والغيتوهات وأخطر أشكالِ الإبادات العرقيةِ والإباداتِ المجتمعية. ثانيهما؛ عبر التمفصلِ والإرفاقِ المتواصل مع أجهزةِ الهيمنةِ الأيديولوجيةِ الليبراليةِ المُتطوِّرة. فعلى الصعيدِ الأيديولوجي، هي في المركز مع مُلحَقاتِها القوميةِ والدينَويةِ والعلمويةِ والجنسوية. أما على الصعيدِ الأداتي، فهناك المدارس، الثكنات، أماكن العبادة، أجهزة الإعلام، الجامعات، ومؤخّراً شبكاتُ الإنترنيت. هذا وينبغي إضافة تصيير الفنِّ صناعةً ثقافيةً إلى ذلك أيضاً.

هذا ويُنشَأ الاحتكارُ الصناعويُّ واحتكارُ رأسِ المالِ الماليِّ على أرضيةِ الاقتصادِ بالتداخلِ والدعمِ المتبادَل مع احتكارِ الدولةِ القومية. وبتأسيسِ الاحتكارِ القوميِّ في الحقلِ الأيديولوجيّ، يَكُونُ قد اكتَمَلَ السياق، وتَحَقَّقَ المجتمعُ المتجانسُ المأمول. وهذا ما مفادُه بالتالي انتصارَ الفاشية. أما اختزالُ الفاشيةِ إلى ممارساتِ هتلر وموسوليني، واعتبارُها وكأنها ظواهرٌ فريدةٌ للفاشية؛ فهو أحدُ أهمِّ تحريفاتِ الأيديولوجيا الليبرالية.

المجتمعُ النمطيُّ مجتمعٌ مارٌّ من الإبادةِ الجماعية.

لقد تمَّ القيام بالعديد من تحليلاتِ الفاشية، لكنّ جميعَها تضليليةٌ بمنتهى السوء، بما فيها تلك التي قام بها الماركسيون، الليبراليون، المحافِظون، والفوضويون. فجميعُها لا نيةَ أو لا قدرةَ لديها على إيضاحِ ما حَدَثَ بصدقٍ وكمالٍ مُشبِع. علاوةً على أنّ مُفكِّري اليهود المذهلَين أيضاً – ضحايا الإبادات العرقية – يحتلون الصدارةَ في هذا التضليل. ذلك أنّ هتلر هو قذارةُ تَنَوُّرِهم المشترَك جميعاً، و»القيءُ» المشترَك لممارساتِهم السياسية. ألا يُقال أنّ «فرخ الغُراب في عينِ أمه كَطَيرِ العنقاءِ الزمردية»؟ أهناك أيديولوجيا أو ممارسة عملية تقول «لقد تقيَّأتُ القذارة»؟

كما أرى حُكمَ الفيلسوفِ الألماني أدورنو وإنْ لم يَكُن حرفياً قَيِّماً وذا معنى، والذي قال ما مفاده مقارِبٌ لذلك باختصار.

الحملةُ الكبرى الثالثة للعولمة (عولمة عصر التمويل)، هي عمليةُ مراقبةِ الأزمةِ والسيطرةُ عليها بعد تعميمها على الزمان والمكان حتى الأعماق. ومع انهيارِ النظام السوفييتي رسمياً في ١٩٨٩، يَكُون قد تَمَّ الاعتراف بماهيته كدولةٍ قومية، وبدوره في الأزمة الدائمة. والولاياتُ المتحدة الأمريكية، باعتبارها القوةَ المهيمنةَ الجديدة بعد ١٩٤٥، والمنتصرةَ في الحرب الباردة، قد أعلَنَت منطقةَ الشرق الأوسط ساحةَ حربٍ استراتيجيةٍ، نظراً لكونها منطقةَ الأزماتِ الأساسيةِ الطويلة المدى للنظام القائم. وإلا، فإلامَ يَرمز إعدامُ صدام، رئيس الدولة العراقية، باعتباره لويس السادس عشر للدولة القومية في الشرق الأوسط؟ إنّ هذا يقتضي نقاشاً شاملاً.

إذا ما صِغنا تعريفاً أشمل، فسيَكُون بالمقدور القول أنّ الدولةَ القومية في عصرِ الحداثة الرأسمالية هي مجموعُ أجهزةِ السلطة المستفحلَة ضمن الوجودِ الكلي للمجتمع برمَّتِه، واتحاد الأفراد المُسَمّين بالمواطنين ضمن الإطار الحقوقي. المصطلحُ المحدِّد هنا هو ظاهرةُ السلطة المستشرية في المجتمع بأكمله. فشرعيةُ جميع الدول التي قبلها كانت مؤطَّرةً بمؤسساتها وكوادرها. لكنّ هذا الإطار يتم خرقه في الدولة القومية. يتجسد صُلبُ الدولة القومية في تدويلِ الأفراد الذين تسعى الدولةُ لتكوينهم بما يتواءم ومصالحَها الأيديولوجيةَ والمؤسساتية والاقتصادية، والذين يسمون بالمواطنين، وكأنّ كلَّ واحدٍ منهم عضوٌ يتمتع بحقوقِ الدولة وواجباتها، له ما لها، وعليه ما عليها. يحتلُّ تكوينَ المواطِن مرتبةَ الصدارة بين المواضيع التي تهتم بها الدولةُ القومية بعناية. ولهذا الغرض، فهي تسعى للاستفادة من الكثير من العناصر كالأيديولوجية، السياسية، الاقتصادية، الحقوقية، الثقافية، الجنسية، العسكرية، الدينية، التعليمية، والإعلامية.

الإبادة العرقية

المجتمعُ النمطيُّ مجتمعٌ مارٌّ من الإبادةِ الجماعية. فبالتنميطِ يُبتَرُ المجتمعُ من تاريخِه الحقيقيّ، ويُقضى على جميع الثقافاتِ المختلفةِ فيه عبر تصوراتٍ أيديولوجيةٍ وهميَةٍ جوفاء (دين تصوريٌّ أجوف). هكذا، وفي الحينِ الذي يُطَبَّقُ فيه قانونُ الربحِ الأعظميِّ على ميدانِ الاقتصاد، يَكُونُ احتكارُ الدولةِ القوميةِ قد طُبِّقَ على السلطةِ أيضاً. ما تحقَّقَ مع الحربِ العالميةِ الثانية، هو بسط هيمنةِ إنكلترا وأمريكا وروسيا تجاه هيمنةِ ألمانيا واليابان وإيطاليا. أي إنه تَغلُّبُ أحدِ القطبَين المهيمنَين الاحتكاريَّين على الآخر، وليس انتصاراً للديمقراطيةِ ضد الفاشيةِ مثلما

ادَّعَت الليبرالية. حيث هُزِمَ المعسكرُ الألمانيّ، لكنّ الفاشيةَ باعتبارِها شكلَ سلطة، قد وَلَجَت عصرَ توسُّعِ سيادتِها عالمياً. يَكتملُ عصرُ ازدهارِ الحداثةِ الرأسماليةِ وهيمنتِها مع عصرِ رأسِ المالِ الماليِّ المتأخر (السيادة المُحكَمَة على الاقتصادِ بعد سبعينياتِ القرن العشرين)، والذي يكتملُ بدورِه مع عصرِ تسليطِ الدولةِ القوميةِ على المجتمعِ المُنَمَّط (المارّ من الإبادةِ الجماعيَة).

بمقدورِنا النجاحُ في ذلك بتحليلِنا لمصطلحِ الإبادةِ الجماعيةِ بالوصولِ إلى جوهرٍ أكثرَ انتظاماً وأعَمَّ نطاقاً. تُولى العنايةُ الفائقةُ لِلفظِ «الفريد» إشارةً إلى الإبادةِ الجماعيةِ بحقِّ اليهود. بينما الحقيقةُ عكسُ ذلك. أي، ما من إبادٍ جماعيةٍ «فريدة». بل ثمة إباداتٌ جماعيةٌ بين صفوفِ كلِّ مجتمعٍ أو شعبٍ أو دولةٍ قومية، قليلةً كانت أم كثيرة. حيث تُنَفَّذُ في بعضِها جسدياً، بينما تتحققُ بالأغلبِ ثقافياً وبنحوٍ مستور. أما فرضُ التجرُّدِ من التاريخ والاقتصادِ والإدارةِ والذهنية، فهو مؤثرٌ وتعسفيٌّ جائرٌ بقَدرِ الإباداتِ الجسديةِ والثقافيةِ بأقلِّ تقدير.

يُعَبِّرُ الصَّهرُ عن العلاقةِ أو الممارسةِ الأحاديةِ الجانب، والتي تلجأُ إليها احتكاراتُ السلطةِ ورأسِ المالِ في مجتمعاتِ المدنية، وتُطَبِّقُها على المجموعاتِ الاجتماعيةِ التي أخضَعَتها لنيرِ العبوديةِ بغرضِ إسقاطِها إلى مستوى امتدادٍ أو مُلحَقٍ بها. إنّ الأمرَ الأساسيَّ في الصهرِ هو تكوينُ عبيدٍ بأقلِّ التكاليفِ من أجلِ آليةِ السلطةِ والاستغلال. حيث يُعمَلُ على تجزيءِ الهويةِ الذاتيةِ وكسرِ شوكةِ المقاومةِ لدى المجموعةِ المَصهورة، بُغيةَ الحطِّ منها إلى مستوى حشدٍ من العبيدِ الأنسب لخدمةِ النخبةِ الحاكمة. الوظيفةُ الأساسيةُ التي تَقعُ على كاهلِ العبدِ المصهور، هي التشبُّهُ المطلقُ بسيدِه ومُحاكاتُه، وإثباتُ الذاتِ ببذلِ شتى أنواعِ الجهودِ في سبيلِ التحولِ إلى مُلحَقٍ وامتدادٍ له، وتأمينُ مكانٍ لذاته داخلَ النظامِ القائمِ بناءً على ذلك. ولا خَيارَ آخر أمامه إطلاقاً. الخَيَارُ الوَحيدُ المعروضُ أمامه للتمكنِ من العيش، هو التخلي لحظةً قبلَ أخرى عن هويتِه الاجتماعيةِ القديمة، وتكييفُ ذاتِه بأفضلِ الأشكالِ مع ثقافةِ أسيادِه. لذا، فالمجتمعُ المارُّ من الصهر، يتألفُ من مسوداتِ أناسٍ عديمي الضميرِ والأخلاقِ والذهنية، ويتبارَون ليكونوا الأكثر طاعةً وخنوعاً وعملاً وخدمة. وما مِن قرارٍ يتخذه أو ممارسةٍ يفعلُها بحرية. بل فُرِضَت عليه خيانةُ كافةِ قِيَمِ هويتِه الاجتماعية، واختُزِلَ إلى حيوانٍ بَهيئةِ إنسانٍ لا يهرعُ سوى وراء إشباعِ بطنه. هذا وتستخدمُ النخبةُ الحاكمةُ سلاحَين أساسيَّين لفرضِ اللاهويةِ هذه على المجتمعِ المصهور: أولُهما؛ العنفُ الجسديُّ المَحض. أي، التلويحُ بسيفِ الإبادةِ والهَلاكِ لدى أبسطِ تمردٍ أو انتفاض. ثانيهما؛ تركُه وجهاً لوجهٍ أمام المجاعةِ والبطالة. حيث يُعمَلُ على تنفيذِ هذا القانونِ الفولاذيّ: إذا أصَرَّيتَ على هويتِكَ الثقافية، وإذا لم تصبحْ خادماً كما يشاؤُه سيدُك؛ فإما أنْ يَذهبَ رأسُك، أو تبقى جائعاً!

الممارسةِ الأحاديةِ الجانب، والتي تلجأُ إليها احتكاراتُ السلطةِ ورأسِ المالِ في مجتمعاتِ المدنية، وتُطَبِّقُها على المجموعاتِ الاجتماعيةِ التي أخضَعَتها لنيرِ العبوديةِ بغرضِ إسقاطِها إلى مستوى امتدادٍ أو مُلحَقٍ بها

الآليةُ الأوليةُ التي تُطَوِّرُها النخبةُ الحاكمةُ في سبيلِ ذلك، هي سدُّ جميعِ طرقِ التطورِ البنيويِّ والعقليِّ والثقافيّ، بغرضِ عجزِ مَن يَهتمونَ أو يَنشغلون بكلِّ ما هو معنيٌّ بالثقافةِ المصهورةِ – أياً كانوا – عن إيجادِ أيةِ فرصةٍ للعيشِ في المجتمعِ الرسميّ. ومهما كانت درجةُ الكفاءةِ والمهارةِ لدى الشخصيةِ أو المجموعةِ أو المؤسسةِ التي تَعقِدُ العلاقةَ مع الثقافةِ المصهورةِ وتَرمي إلى إحيائِها، فإنّ جميعَ أبوابِ الدولةِ تُوصَدُ في وجهِها، مثلما تُتَّخَذُ مختلفُ أنواعِ التدابيرِ اللازمةِ لأجلِ طردِها من ميادينِ المجتمعِ الخارجِ عن إطارِ الدولة، سواءً بالأساليبِ السريةِ أم العلنيَة، المرنَةِ أم القاسية. أما الشخصياتُ والمؤسساتُ المهتمةُ بالثقافةِ المصهورةِ بمنوالٍ هاوٍ وغِرٍّ في البداية، ولدى إدراكِها مع مُضِيِّ الوقتِ أنَّ الأمرَ لا يقتصرُ فقط على إغلاقِ كافةِ الأبوابِ في وجهِها، بل وقد يتعرضُ وجودُهم الجسديُّ للخطرِ أيضاً في حالِ إصرارِهم على خُطاهم؛ فإما أنْ تنخرطَ بين صفوفِ مجتمعِ الدولةِ القوميةِ المهيمنةِ والصاهرة، أو أنْ تُغَيِّرَ أساليبَها بحثاً عن الخلاصِ في الشخصيةِ المتصديةِ والتنظيمِ المقاومِ بفعالية. وثمة عددٌ لا يُحصى في هذا المضمارِ ضمنَ جميعِ كياناتِ الدولةِ القوميةِ للحداثةِ الرأسمالية. لا تُطَبَّقُ هذه الآليةُ على الجماعاتِ الأثنيةِ والشعوبِ المسحوقةِ فحسب، بل إنّ المجموعاتِ الأثنيةَ المختلفةَ والطبقاتِ المسحوقةَ من الأمةِ التي تنتمي إليها النخبةُ الحاكمةُ أيضاً تنالُ نصيبَها من الصهر، وتبقى وجهاً لوجهٍ أمام فُقدانِ لهجاتِها الأثنيةِ وقِيَمِها الثقافيةِ الصامدةِ حرةً.

لنصعد النضال

من أجل حياة ديمقراطية حرة

مصطفى قره سو

تعميق وتوسيع ثورة غربي كردستان بكل جوانبها وتتويجها بسوريا ديمقراطية من خلال توسيعها لتشمل كامل سوريا ستحقق النصر لثورة غربي كردستان، فثورة غربي كردستان ستكون أساس لثورة سوريا.

قام الحزب الديمقراطي الكردستاني بتوحيد الأحزاب المرتبطة به من ناحية ومن الناحية الاخرى بدأ بفرض حصار من خلال حفر الخنادق على الحدود مع غربي كردستان كجزء من مخططه لتصفية ثورة غربي كردستان

في الوقت التي تُظهر التطورات التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط التوجه الديمقراطي للشعوب، فأنها من الناحية الأخرى تشير إلى مدى تعمق الأزمة التي تعيشها النظم. وكلا الحالتين توفران الأرضية المناسبة لتصعيد نضال الشعوب من أجل الديمقراطية والحرية. وهذه الأرضية هي السبب الأساسي لبحث نظام الدولة السلطوية عن التوافق. لذلك ينبغي عدم تقييم الالتفاف أو اللجوء إلى الشدة والعنف من أجل إلحاق الهزيمة بالجهة المعارضة فحسب. بل أنها تدل في الوقت نفسه على البحث عن الحل أيضاً. فمنطق الهزيمة والخسارة ضمن الصراع المستمر وضع غير مقبول في عالمنا اليوم، لذا يتم السعي لإيجاد حلول تكتيكية للتناقضات التي يواجهها النظام في المنطقة. وهذا ما يوحي للسعي إلى التوافق حتى وأن كان عن طريق الصراع، وهذا ما يحصل في كل من سوريا ومصر وأوكرانيا أيضاً. فالتناقضات ضمن حقيقة القطب الثنائي في الماضي كانت تتطور على أسس استراتيجية والقضاء على المعارضين، فحتى لو كانت هذه الحقائق تظهر سياسة الاستفادة من التناقضات ولكنها تبين عدم صحة الاستراتيجيات المستندة على التناقضات.

حتى الآن لم يتم ايجاد حل للقضية التي تعيشها كل من سوريا ومصر منذ فترة طويلة في منطقتنا، بل توسعت لتضم العراق أيضاً وبشكل فعّال. بدأ يتضح وبشكل قوي قدرة نظام الأسد على الفوز بالحرب في سوريا أكثر من أي وقت مضى، وحتى إن لم ينتصر أظهر قوته في حماية وجوده، وهذا ما سيساهم في ايجاد مرحلة يتم على أساسها البحث عن توازنات جديدة في المنطقة. ففي الماضي كان هناك تقرب يرفض الأسد

إن قام الكرد بالدور الطليعي في احلال الديمقراطية في كل هذه الأجزاء ستحول هذه الحقائق الكرد في القرن الحادي والعشرين إلى شعب مثالي يقتدى به

بالكامل، ولكن الآن قوى الغرب التي كانت تقدم المساعدة للمعارضة تتهمها باستخدام الأسلحة الكيماوية. كما أن كل من روسيا والصين تقدمان المساعدة والدعم لنظام الأسد أكثر من أي وقت مضى. ويبدي العلويين مقاومة كبيرة. وكل من إيران وحزب الله يحاربان إلى جانب سوريا. وفي الطرف الآخر يمكن رؤية أن كل من إيران والنظام يقدمان المساعدة للدولة الإسلامية في الشام والعراق بشكل مباشر وغير مباشر لحماية التوازن في سوريا. كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بمساعدة القوى التي تُدعى بالجبهة الإسلامية المعادية للدولة الإسلامية في الشام والعراق. كما تتبع كل من سوريا وإيران هذه السياسة لتعيق استهداف هذه الجبهة لها ومن جهة أخرى تتبع هذه السياسة لعدم ارتياح كل من إيران وسوريا للمكاسب التي حققتها ثورة غرب كردستان ولجرّ ثورة غرب كردستان لطرفها.

في الفترة التي تسعى فيها كافة القوى لكسب ثورة غرب كردستان لطرفها، تقوم بعض القوى المندرجة ضمن محور الحزب الديمقراطي الكردستاني، تركيا والولايات المتحدة الأمريكية بتضييق الخناق على هذه الثورة. لهذا السبب يتم استهداف ومهاجمة ثورة غرب كردستان من كافة الجهات. ولإفشال المخطط المشترك للدولة التركية والحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يستهدف الضغط على ثورة غرب كردستان. لابد من القيام بخطوتين تستندان إلى الدفاع المشروع فأولهما: هي تشكيل ثورة غرب كردستان لجبهة ديمقراطية تشمل سوريا بأكملها، وتطوير حركات وقوى ثورية من أجل شمال سوريا وغربي كردستان، أما الخطوة الثانية: ارتباطاً بالأولى هي تطبيق نهج سوريا ديمقراطية ضمن الممارسة العملية. فالمقاومة التي يتم ابداءها في غربي كردستان وكافة الفعاليات التي تساهم في استمرارية الثورة يمكنها فقط اعطاء النتائج بهذه الطريقة. ومن هذا المنطلق فأن تعميق وتوسيع ثورة غربي كردستان بكل جوانبها وتتويجها بسوريا ديمقراطية من خلال توسيعها لتشمل كامل سوريا ستحقق النصر لثورة غربي كردستان، فثورة غربي كردستان ستكون أساس لثورة سوريا.

قام الحزب الديمقراطي الكردستاني بتوحيد الأحزاب المرتبطة به من ناحية ومن الناحية الاخرى بدأ بفرض حصار من خلال حفر الخنادق على الحدود مع غربي كردستان كجزء من مخططه لتصفية ثورة غربي كردستان. فمقابل الولادة الميتة للحزب الديمقراطي الكردستاني في غربي كردستان والمقاومة التي يبديها الشعب تظهر السياسة العدائية من خلال رأي نيجيرفان البرزاني في الحاجة لتحليل وتقييم الوضع بشكل مشترك مع الحكومة التركية ولهذا السبب توجه إلى تركيا. حتى وأن كانت هذه الزيارة تبرر وكأنها زيارة لمناقشة مسألة البترول، ولكنها في الحقيقة كانت لمناقشة طبيعة السياسة المشتركة الواجب اتباعها لإفقاد تأثير ثورة غرب كردستان وتضييق الخناق عليها. فمديح نيجيرفان البرزاني لحزب العدالة والتنمية بعد اللقاء والقائه كلمة تضمن العداء لثورة غربي كردستان تعبير واضح على ذلك. إن مهاجمة ثورة غربي كردستان ليست منفصلة أو مستقلة عن استهداف الحزب الديمقراطي الكردستاني لحركة الحرية الكردية في كل الأجزاء.

فكيف أن تجاوز قضايا إنشاء النظام في غربي كردستان ضد هذه الهجمات ستوضح للجميع ماذا تعني الانطلاقة البديلة فهي في نفس الوقت ستفشل كافة ألاعيب الحزب الديمقراطي الكردستاني والقوى المؤيدة للنظام. فالحزب الديمقراطي الكردستاني لا يقوم بتسيير نضال شامل فقط في غربي كردستان فحسب، أنما يقوم بتسييرها ضد حركة الحرية في الأجزاء الأربعة من كردستان أيضاً. حيث حول النضال ضد حركة الحرية الكردية في الاجزاء الأربعة إلى سياسة أساسية ويطبقها ضمن الممارسة العملية. ويرى كل الاساليب والطرق مباحة من أجل تحقيق هذا الهدف. فهناك علاقة بين هجمات الدولة الاسلامية في الشام والعراق وهجمات الحزب الديمقراطي الكردستاني سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

يستمر التوتر السياسي في العراق وجنوب كردستان ويزداد عمقاً. فالحزب الديمقراطي الكردستاني يستخدم التوتر الموجود مع الحكومة المركزية كأداة دعائية للانتخابات العراقية. حيث يسعى السنة الذين يراد تركهم

خارج السياسة إلى فتح ساحة للتعبير عن ذاتهم أكثر مع تزايد هجمات الدولة الإسلامية في الشام والعراق ضمن الأراضي العراقية. ومن الناحية الأخرى فأن الموقف الواضح الذي اتخذه مقتدى الصدر بحق المالكي في الفترة الأخيرة له تأثير على محيطه وخاصة الشيعة الفقراء. دخل الانتخابات باللائحة التي شكلها بطليعة شخص آخر له علاقة وطيدة مع إيران «عمار الحكيم» الذي حقق نجاحاً في آخر الانتخابات المحلية. رغم أن الشيعة لم تحقق النجاح المطلوب بالرغم من المساعدة التي قدمتها الولايات المتحدة الامريكية في الانتخابات السابقة دخل اياد العلاوي الانتخابات ضمن لائحة ذات أغلبية سنية هذه المرة ضمن اللائحة الوطنية. كل هذا يظهر الحرب الأهلية التي تواجهها انتخابات العراق وعلى هذا الأساس تحولت إلى جزء من هذه الجبهة المتشكلة.

لا يملك السنة الفرصة أو الحظ المواتي مقابل الشيعة من حيث عدد السكان. لكن طارق الهاشمي الساعي إلى تحديد سياسة سنة العراق من خلال علاقته مع الدولة التركية واقامته في اسطنبول ومن خلال علاقته بالدولة الاسلامية في الشام والعراق يظهر قدرة السنة على أن يكونوا فاعلين. فالبحث عن تسوية بصدد موضوع رئاسة الجمهورية من خلال اللقاء الذي جمع بين علاوي ومسعود البرزاني في الفترة الأخيرة تظهر بأنه مع الانتخابات التي جرت في الثلاثين من نيسان يسعى الشيعة الدخول في البحث عن تسوية مع الكرد والسنة إلى خلق أرضية مستقرة. إن تحول الانتخابات إلى جزء من الحرب الأهلية من ناحية فهي من الناحية الأخرى تشكل أرضية للحل من أجل العراق المفتقد إلى الاستقرار.

تشكل السياسة المذهبية التي يتبعها المالكي حالياً تهديداً خطيراً لمستقبل العراق. فلا يمكن لأي سياسة تقوم باستبعاد السنة بتحقيق الاستقرار في العراق. وفي الطرف المقابل لا تملك أية قوة وفي مقدمتها السنة أي مشروع لتحقيق الديمقراطية. فالشخصيات التي تكون في حالة صراع مذهبي فيما بينها دعك من وضعهم لطرح مشروع للحل جانباً فهي على العكس تعمق الصراع أكثر. وهذا يساهم في ازدياد أهمية الكرد في موضوع احلال الديمقراطية في العراق. ولكن اتباع الشعب الكردي في الجنوب لسياسة النعامة التي تقوم بطمر رأسها في الرمال تبقيهم محليين جداً. حيث يتمحور عمل جنوبي كردستان بشكل فعلي حول مركزين منفصلين (هولير والسليمانية). مما لا شك فيه أن الحياة الذاتية النسبية ضمن خاصية مناطق جنوبي كردستان ليست خاطئة. الشيء الذي قصدناه هو السياسة المجزئة المتبعة ضمن جنوبي كردستان وخارجها. لقد آن الأوان للنظر إلى نضال دمقرطة العراق من زاوية ثالثة والظروف مهيئة لذلك. فالسياسة الصحيحة هي، أن يتخلى الحزب الديمقراطي الكردستاني عن السياسة الابتزازية التي يتبعها من خلال قوله «سنقيم دولة كردستان مستقلة» وعن التقربات التي تخفي وراءها حقيقته، ومن خلال تفعيل دور الكرد في دمقرطة العراق يحتاج الكرد لسياسة تؤهلهم ليكونوا فعالين ليس في العراق فحسب أنما في عموم منطقة الشرق الأوسط. فإذا ما اتبع الكرد السياسة الصحيحة لكان لديهم الفرصة ليكونوا فعالين في سياسة كل من العراق، وتركيا وسوريا، وكذلك إيران. إن قام الكرد بالدور الطليعي في احلال الديمقراطية في كل هذه الأجزاء ستحول هذه الحقائق الكرد في القرن الحادي والعشرين إلى شعب مثالي يقتدى به. هذه السياسة ستمنح الكرد مكاسب أكثر قيمة من المكاسب التي ستمنحها اقامة دولة قومية في جنوب كردستان. من هذا المنطلق فأن الانفتاح الكبير الذي ستحققه القوى السياسية في جنوبي كردستان ستكون السياسة التي ستحقق وحدة ودمقرطة جميع المذاهب والمجموعات الأثنية في العراق. وأي سياسة غير هذه السياسة ستعبر عن مأزق ليس فقط لجنوبي كردستان أنما من أجل العراق ككل.

إن انقضاء شهور على عدم تشكيل الحكومة الجديدة

السياسة المرنة وخبرة الحياة المشتركة بين الجماعات المختلفة الموجودة في تاريخ ايران ممكن فقط عن طريق تجاوز قومية الدولة

في جنوبي كردستان توضح ماهية السياسة التي يتبعها الحزب الديمقراطي الكردستاني. فهو لا يتخلى عن عقلية الهيمنة ويريد حكومة ووسط سياسي يكون هو الحاكم فيه. ويسعى لجعل الأحزاب الأخرى مطيعة لسياساته فقط. هذا الوضع يبين مدى أهمية النضال الديمقراطي وبناء المؤسسات الديمقراطية في جنوبي كردستان. ينبغي رؤية العلاقة الموجودة بين عدم تشكيل حكومة ذات طابع ديمقراطي مع ثورة غربي كردستان، لأن الحكومة ذات الطابع الديمقراطي والتي لا يسيطر عليها الحزب الديمقراطي الكردستاني ستتقرب بحيوية وحماس من ثورة غربي كردستان. ولأن كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والدولة التركية لا يريدان ذلك لا يتم تشكيل الحكومة الجديدة. ورفع علم الحزب الديمقراطي الكردستاني في معبر سيمالكا مؤخراً يوضح وبشكل جلي وجود اتفاق بين الدولة التركية وهذا الحزب.

يتم إدارة جنوبي كردستان عن طريق حزب واحد كما في الدولة التركية. حتى وأن كانت هناك عمليات انتخابية فلا يوجد سوى نظام سياسي لحزب واحد. حتى وأن كان الاتحاد الوطني الكردستاني، الاسلاميون، وحركة كوران غير راضين عن ذلك ولكنهم في نفس الوقت لا يشكلون معارضة مؤثرة. إن وضع الحزب الديمقراطي الكردستاني وسعي حركة كوران التي تعتبر كمعارضة راديكالية للوصول إلى تسوية مع هذا الحزب للحصول على بعض المكاسب تظهر هي الأخرى مدى حاجة جنوبي كردستان إلى تطوير حركة ديمقراطية راديكالية جذرية في جنوب كردستان. علينا أن ندرك أن قوة لوحدها لا يمكنها تطوير موقف ديمقراطي بل أن انضمام عدة قوى للحركة الديمقراطية ستكون ذو فعالية أكبر في عملية الدمقرطة التي هي حاجة بالنسبة إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني أيضاً. كما أن هذا الحزب سيكون المتضرر الأكبر إذا خلق العوائق أمام تطبيق الديمقراطية إن لم يتحرك مع حركة الحرية الكردية بشكل مشترك بصدد عقد المؤتمر الوطني. لقد أشار قائد الشعب الكردي عبد الله أوجلان إلى أنه يجب على الحزب الديمقراطي أن يظهر مواقف بنّاءة ومشوقة ليلعب الدور الايجابي وليس السلبي. فدخول الحزب ضمن خط ايجابي يحوز على الأهمية بالنسبة للكرد وخاصة في قيامه بتحطيم التوازنات القديمة في منطقة الشرق الأوسط وخلق توازنات جديدة، ووصول الحزب الديمقراطي الكردستاني مع كافة القوى الوطنية إلى سياسة واستراتيجية مشتركة من خلال عقد مؤتمر على الارضية التي طورها نضال الحياة الحرة الديمقراطية في الأجزاء الأربعة من قبل الشعب لها أهمية تاريخية. ينبغي على كافة القوى السياسية الكردية تحمل مثل هذه المسؤولية ولأن قائد الشعب الكردي يولي الأهمية لهذه الحقيقة قام ببذل الجهود بصدد عقد المؤتمر الوطني.

بدأت إيران بإظهار ميولها لإيجاد حل لقضيتها مع الغرب عن طريق الحوار مع تسلم روحاني سدة الحكم. وهذا التقرب ليس سوى مماطلة لتطبيق سياستها الداخلية والخارجية. ويمكن تحليل مشروع روحاني على أنه تكتيك مرحلي. ولهذا السبب يرى من الصعوبة قيام الثقافات والهويات المتعددة التي تحتل مكانة ضمن الخلفية التاريخية لإيران بالانفتاح من خلال اتباع سياسة مرنة للوصول إلى الأمة الديمقراطية. لأن السياسة المرنة وخبرة الحياة المشتركة بين الجماعات المختلفة الموجودة في تاريخ ايران ممكن فقط عن طريق تجاوز قومية الدولة القومية. وهذا يمكن تحقيقه من خلال وصول نظام آية الله إلى مرحلة تصغي فيها للديمقراطية أو عن طريق نضال الوحدة الديمقراطية المشتركة للشعوب. ولكن تطور ميول قومية الحداثة الرأسمالية في إيران خلال القرن الماضي وكذلك لتقوم الثورة الإيرانية بإنقاذ نفسها من هذه القومية، دفعت بإيران لتعيش حالة الانسداد فيما يتعلق بموضوع ايجاد حلول لقضاياها الداخلية. لذلك فنضال الدمقرطة في إيران وكافة الميول القومية في البلاد سيكون صعباً وميؤساً منه.

ينبغي رؤية النضال الذي تخوضه الولايات المتحدة الامريكية والغرب مع ايران على أنه بحث لإيجاد تسوية

أظهرت الإدارة الذاتية الديمقراطية ومن خلال الممارسة العملية والقدرة على إدارة نفسها بنفسها أنها تتجاوز نظام الاشتراكية الديمقراطية

ضمن النظام. حيث تسعى كل من ايران والولايات المتحدة الامريكية عن طريق هذه التسوية إلى خدمة مصالحها. فعملية وقف اطلاق النار الذي اعلنه حزب الحياة الحرة الكردستانية منذ عام هي في الاساس جانب من النضال السياسي. وأنها توضح هذه الحقيقة وهي: أن القوى السياسية تستطيع تسيير النضال ليس بالحرب إنما تستطيع ادامتها بالسبل السياسية أيضاً. وهذا الطابع المتداخل لنضال القرن الواحد والعشرون يتضح يوماً بعد يوم. فوفق البراديغما الجديدة لحركة الحرية الكردية فأن الحياة الحرة والديمقراطية للكرد لا تتم عن طريق الوصول إلى الدولة القومية إنما عن طريق الانضمام إلى نضال تطبيق الديمقراطية في المناطق. كيفما يتم اتباع سياسة تطوير نضال الدمقرطة وتقوية أرضية حل القضية الكردية في تركيا عن طريق مشروع حزب الشعوب الديمقراطية، ففي ايران أيضاً سيخلق اتباع سياسة ديمقراطية من اجل ايران ككل مكاسب وفرص أكثر بالنسبة للشعب الكردي. أن تقوية علمية تطبيق الديمقراطية في ايران سوف تخلق فرص أكبر لحل القضية الكردية.

عاش كل من شمالي كردستان وتركيا وخلال الفترة القليلة الماضية مرحلة الانتخابات. حيث حققت حركة التحرر الكردية نجاحاً هاماً في الانتخابات رغم الحيل والألاعيب حتى ولو لم تكن كما كانت تريدها. مما لا شك فيه هناك جوانب يجب انتقادها ضن عملية الانتخابات تلك، وهناك أعمال يجب تصحيحها أيضاً. ولكن يجب عدم استخدام الاسلوب السلبي الذي هو عمل قوى استعمارية للحرب الخاصة تم تطويره ضد حركة التحرر الكردية. لذا فالتقرب الأصح هو تجاوز النواقص الموجودة بدون التطرق إلى هذا النمط من الاسلوب. حيث أن التقرب وكأن الانتخابات جرت في جو تركيا ديمقراطية وكردستان حرة، وكانت انتخابات عادلة ومنصفة، ولم تقم الدولة التركية التي تسيير الحرب الخاصة ضد الكرد بأية مداخلة، تعني غض النظر عن الحقائق وحتى أنها تعني عدم التعرف على القوى المناضلة. فكما يقال أن الابتعاد عن مفهوم وحقيقة العدو يعني الوقوع في الغفلة. علينا أن نولي الأهمية لهذا الوضع عند القيام بالتحليل. فكل تقرب لا يعير الأهمية لذلك هو تقرب يفتقد إلى فهم الحرب الخاصة والحرب النفسية التي يتم ممارستها ضد الكرد. وتعني عدم رؤية طابع الدولة التركية الاستعمارية والتي تفرض الإبادة الثقافية على الكرد. فرغم كل ما ذكرناه فقد جرت الانتخابات بنجاح.

مما لا شك فيه أن الإدارة الذاتية هي التي فازت في هذه الانتخابات. ومن هذا المنطلق يجب تنظيم بلدياتها بشكل مختلف بحيث تخلق أرضية لتطوير وتقوية الإدارة الذاتية الديمقراطية. فمن الخطأ حصر الإدارة الذاتية الديمقراطية ضمن الأعمال التي ستقوم بها الإدارة المحلية لأن ذلك يعبر عن حالة التحريف. أظهرت الإدارة الذاتية الديمقراطية ومن خلال الممارسة العملية والقدرة على إدارة نفسها بنفسها أنها تتجاوز نظام الاشتراكية الديمقراطية. فدخول الانتخابات بالرئاسة المشتركة وتحقيق النجاح بهذا المستوى حاز على الأهمية البالغة فيما يتعلق بتطبيق النظام وإضفاء الطابع المؤسساتي عليه. لهذا السبب فأن تطبيق نموذج الإدارة الذاتية المستندة إلى الرئاسة المشتركة بجوهرها وكافة جوانبها ضمن الممارسة العملية لها أهمية بالغة ليس فقط من أجل الإدارة المحلية الصحيحة إنما من أجل التنشئة الاجتماعية لنضال الحرية وتطوره أيضاً.

أظهرت هذه الانتخابات المساعي الهادفة إلى تطبيق سياسة الإنكار والإمحاء التي تطبق على كردستان منذ عهد الاتحاد والترقي بقيادة حزب العدالة والتنمية. أي أن الاستعمار يسعى إلى صون وجوده في كردستان عن طريق حزب العدالة والتنمية ضمن إطار سياسة الحرب الخاصة. كما أنه لم تتوضح سياسة حزب العدالة والتنمية المماطلة والساعية إلى التصفية وصون استمرارية سلطته والساعية إلى إبراز مرحلة الحل التي سعى قائدنا إلى تطويرها ضمن إطار السياسة الديمقراطية على أنها مشروعه. هكذا ظهر تصور وكأن حزب العدالة والتنمية هو الذي بدأ بمرحلة الحل وأنه يعمل على تسييرها، وهذا ساهم في احتفاظ حزب

تتطلب المرحلة المقبلة تصعيد النضال وتطوير تنظيم سليم للإدارة ضد تحركات الدولة ضمن محور الحرب النفسية الهادفة إلى التصفية

العدالة والتنمية بأصواته في مرحلة الانتخابات. ليس من الخطأ القول بأن نسبة هامة من الاصوات التي كسبها حزب العدالة والتنمية في تركيا وفي كردستان كانت لمشروع الحل الذي طوره القائد ابو. ومن الناحية الأخرى تعقب ما ستسفر عنه لقاءات إمرالي وكيف سيكون رد حزب العدالة والتنمية في الفترة التي كان مشروع القائد آبو نضال القوى الديمقراطية. حالة التأمل هذه أعاقت مهام النضال، كل هذه تحولت إلى عوامل تعيق تطوير النضال. ومن الناحية الأخرى ساهمت في اضعاف المشروع الذي طرحه القائد ابو ومكانته السياسية. وهذا يوضح أنه لم يبذل النضال الكافي ضد سياسة الحرب الخاصة التي اخفاها حزب العدالة والتنمية تحت ستار الحل. فعدم تناول السياسة الديمقراطية والمرحلة التي طورها أو طرحها القائد ابو وسياسات العدالة والتنمية، كانت ذو تأثير على ظهور تصور أنه هناك مرحلة حل وسلام. رغم أن حركة التحرر الكردية أبدت مواقف وتقربات تشهر بسياسات العدالة والتنمية، إلا أنها لم تستطيع أن تفقد تأثير التصور والاعتقاد الخاطئ الذي خلق من خلال الدعاية التي قامت بها العدالة والتنمية. يجب تحليل سياسات العدالة والتنمية بالشكل الصحيح والتشهير بها بشكل قوي. كما يجب إدراك المرحلة التي بدأها القائد أبو والمهمات التي ألقيت على عاتق القوى الديمقراطية والتحررية. فمن دون إدراك وتطبيق هذه الأمرين من الصعب تطوير الحركة الديمقراطية الكردية ونضاله التحرري. كل هذه الحقائق تفرض علينا القيام بإجراء تحليلات سياسية وسوسيولوجية شاملة لنتائج الانتخابات.

عند إلقاء نظرة على نسبة الأصوات التي حققها حزب الشعوب الديمقراطية يتضح أن نهج المعارضة الحقيقية هو الذي حقق الفوز والمتمثل بحزب السلام والديمقراطية وحزب الشعوب الديمقراطية. فالهجمات التي طورتها الدولة ضد حزب الشعوب الديمقراطية والتحليلات التي نشرت ضمن الجبهة الكردية والمعتمدة على نشر عدو الثقة توضح مدى صحة مشروع حزب الشعوب الديمقراطية. بالتأكيد أن مصدر التقرب السلبي المستهدف لحزب الشعوب الديمقراطية هي الدولة، حيث أن كل من الدولة التركية والقوميين المتواطئين مع الدولة الذين لا يريدون حل القضية الكردية عن طريق النضال الديمقراطي للشعوب يقومون بخلق محيط سلبي ضد حزب الشعوب الديمقراطية. وهكذا يسعون إلى فرض سياسة اللاحل على الكرد. أن كلا السياستين تعادي نضال حرية الشعب الكردي وحل القضية الكردية. وتتخذ من عدم حل القضية الكردية أساساً لها. فالدولة التركية والقوى الكردية المتواطئة المساندة لها لا تريد حل القضية الكردية. حتى وأن كانت كل واحدة منها لا تريد الحل على حدى بسبب ذهنيتها وسياستها إلا أن توحدهم مع بعضهم في مسألة عدم الحل تعتبر حقيقة. لذا ينبغي تسيير نضال سياسي ايديولوجي ضد هذه الهجمات من أجل حل القضية الكردية. فهذه السياسة وحدها قادرة على تأهيل القوى الديمقراطية لامتلاك المبادرة في منطقة الشرق الاوسط وتحقق حل القضية الكردية. لذلك على حزب الشعوب الديمقراطية التقرب من مشروعهم بشكل استراتيجي ويكونوا اصحاب قرار في هذا الموضوع.

إن المعادين لهذا المشروع يصرون على عدم حل القضية الكردية وإبقاء حركة التحرر الكردية بدون سياسة وترك المجتمع معرضاً للقومية والحرب العمياء. لهذا يجب خوض نضال ايديولوجي ضد هذا التقرب، فمشروع حزب الشعوب الديمقراطية لا يضعف الكرد بل يساهم في تقوية كافة المناطق ويجعل منها قوة فاعلة وهو المشروع الذي سيوصل الشعب الكردي إلى نموذج يحتذى به. إن كل تقرب بعيد عن هذا المشروع يهدف إلى ترك الكرد في حالة صراع وعداء مع شعوب المنطقة والقضاء عليه وخلق أرضية لسياسة الإبادة بحق الشعب الكردي في الشرق الأوسط بأكمله. لا يمكن لحزب الشعوب الديمقراطية أن يخلق حركة ديمقراطية راديكالية ذو منهج من دون انضمام القوى اليسارية إليه، فهو مشروع يشمل الجميع يجب أن يكون للجماعات الدينية أيضاً مكاناً ضمن هذا المشروع. لابد من ضم المسلمين الديمقراطيين لهذه الحركة لأن التقرب

الذي يساهم في خلق التوتر بين القيم الاسلامية والقيم اليسارية تقرب خاطئ وغير صحيح. على العلويين وكافة الجماعات الدينية والأثنية أخذ مكاناً ودوراً فاعلاً ضمن هذا المشروع بهويتها وخاصيتها. باختصار، ينبغي رؤيته كحزب لمجتمع ديمقراطي يشمل جميع الشخصيات الاجتماعية. قد يصف البعض هذا الحزب بأنه «يقوم بإبعاد المحافظين» وهذا تحريف للوقائع. فمن الخطأ اعتبار كل المسلمين محافظين وأن حزب الشعوب الديمقراطية لا يشمل كافة المجتمع. بالطبع لن يكون حزب المحافظين بل سيكون حزب ديمقراطي راديكالي ولن يكون للمحافظين السياسيين مكاناً فيه.

إن الهيمنة الموجودة في تركيا ليست هي الهيمنة القديمة، وتلاقي صعوبة في خلق الهيمنة الجديدة لأن الشعب لا يريد هيمنة جديدة، وهذه حقيقة. تقوم القوى الديمقراطية بخلق فرص النضال من خلال الاتفاق حول برنامج ديمقراطي وستقوم بزيادة فرص وإمكانيات إنشاء أو خلق تركيا جديدة. هنا لا بد من وجود مداخلة للمرحلة السياسية ضمن هذا الوسط. فلا يمكن أن يكون انتظار قيام القوى الاستعمارية بالإبادة الثقافية وإنشاء هيمنتها موقفاً تتخذه القوى الديمقراطية والتحررية أساساً لها. فالقيام بعقد اتفاق ديمقراطي في هذه المرحلة والالتقاء في نقطة واحدة وعدم الانضمام لنضال دمقرطة تركيا يعتبر لا مسؤولية تاريخية.

تتطلب المرحلة المقبلة تصعيد النضال وتطوير تنظيم سليم للإدارة ابتداءً من الإدارة المحلية ضد تحركات الدولة ضمن محور الحرب النفسية الهادفة إلى التصفية. فمن خلال رؤية التطورات في العالم والبلاد والمنطقة تقدم فرص وامكانات لظروف تقوية الموقف الديمقراطي ونجاحها ينبغي إبراز نهج النضال والتقرب المؤمن بتحقيق النصر عن طريق نضال ديناميكيتها الجوهرية والثقة بالذات. فإنتظار الحل من حزب العدالة والتنمية والدولة التركية هي كأن يتم انتظار الولادة من البغال. المهمة الأساسية في المرحلة المقبلة هي إيصال النضال إلى سوية له القدرة على دمقرطة تركيا وحل القضية الكردية.

من هذا المنطلق ينبغي وخلال فترة قصيرة تجاوز النهج والأسلوب الاستباقي الذي يساهم في عدم فهم المشروع الذي طرحه القائد ابو ويبعد المجتمع عن إدراك حقيقة العدو والذي يفرض على المجتمع الدخول في حالة انتظار الحل. تقوم الحكومة والدولة بتسيير سياسة لتصفية حركة التحرر الكردية باسم مرحلة الحل. ويفرض على الكرد وكافة القوى الديمقراطية وبشكل اساسي الشعب التخلي عن النضال. لذا يجب خوض النضال تحت شعار «الحقوق لا تمنح إنما تُسترد» لإفشال هذه الالاعيب. بدأت مرحلة نضال جديد مع نداء القائد ابو في عام ٢٠١٣. ولكن هذا النداء يفهم وكأنه أن تنتظر كل شيء من الدولة والتخلي عن النضال. اسفرت هذه المرحلة ومما لا شك فيه عن ولادة هدنة ووقف لإطلاق النار. إلا أنه لا وجود لمفاوضات أو وضع سياسي يخلق السلام. فرؤية أو اعتبار اللقاءات والحوار مع القائد على أنها مرحلة سلام وحل يعتبر خداع للذات. فالمرحلة الممتدة لعام اظهرت وبكل وضوح ممارسات وسياسات العدالة والتنمية والدولة لإفشال موقف وإرادة القائد في الحل. إن الاصغاء للقاءات في امرالي والتخلي عن النضال الاساسي لا يعني تقوية الولاء للقائد والسياسة التي اتبعها على العكس تقوم بإضعافها. وأن ترك كل شيء على كاهل القائد يعتبر تقرب رخيص وبسيط. انطلاقا من ذلك يجب رؤية خطأ المفهوم المستند إلى التحرك وفق ما ستسفر عنه اللقاءات مع القائد على الدوام والتي تقوم بخدمة عدم ادراك نهج القائد واحلال المشروعية للتخلي عن النضال والتي تقوم بخدمة سياسات الدولة التركية وحزب العدالة والتنمية، ولابد من إبداء موقف سياسي وايديولوجي لتجاوز هذا التقرب الخاطئ.

الوضع السوري الراهن وحقيقة الثورة في روج آفا

« آلدار خليل

الوعي المجتمعي الذي ينجم عنه ظاهرة خروج الشعب إلى الساحات لتحقيق غاية مباشرة هي «التغيير» يُعتبر فعلاً ثورياً بكل ما للكلمة من معنى، وذلك لكون الشعب كان الغائب الأكبر والأساسي في الفعل السياسي السوري العام، وبوصفه المجتمع المدني الغائب والمغيب لما يناهز لنصف قرن مضى. حيث ظهرت بوادر ودلالات للفعل الثوري قبل الانتفاضة الجمعية السورية على شاكلة انقلابات عسكرية فئوية وذاتها التي تولت السلطة بعد رحيل الاستعمار الظاهري، فلم يكن الشعب السوري حاضراً للمشاركة بل كان حضوره خلال مرحلة الاستقلال احتفالياً ومجسماً أكثر منه حضوراً حقيقاً وفاعلاً، وهذا يعيدنا إلى التساؤل عن طبيعة التحرر الذي ناله الشعب السوري والشعوب الشرق أوسطية خلال تلك المرحلة.

وحقيقة الأمر فما حدث في سوريا قبل أكثر من ثلاثة أعوام كانت ثورة جماهيرية من أجل التغيير واحداث التحول الديمقراطي وحل كافة القضايا المجتمعية وعلى رأسها قضية الكرد في سوريا، ولكن ما حدث في الشهور الأولى من عمر الثورة السورية بدأ يخبو ثورانه و يتوقف حراكه بعد انزياح مُعد له بدقة متناهية، وأبرز معترضات الثورة السورية هي العسكرياتية بدلاً من المجتمعية؛ والاسلاموية بدلاً من النهضوية، وفوضى السلاح المعوّم من قبل التدويل ولعبة الأمم بمصائر الأمم، وهذا بالطبع متناصف مع اصرار سلطة الاستبداد وزُمر الدولتية البعثية القومية في إنكار مطالب الشعب وإصراره بالمجابهة العسكرية منعاً للتغيير وتعويماً للفوضى واستجلاب عناصر غريبة من أجل تصوير الوضع على أنه مؤامرة دولية، أو كما يصفها الفيلسوف عبدالله أوجلان في علم الإجتماع؛ محاولة خلق فضاء فوضى خلاقة مستحدثة تبنى فيه قواعد جديدة للعمل العسكرياتي. وخلافا لذلك واستمراراً للانتفاضة السورية كانت في روج آفا قراءة مغايرة لما حدث؛ قراءة جديدة لما سيحدث، وفق هذه القراءة وقفت حركة المجتمع الديمقراطي في طريق ثالث؛ استمرت بثورتها تجاه سلطة الاستبداد من أجل التغيير، وفي الوقت نفسه خالفت ما شرعت بها المعارضة الخارجية والتي

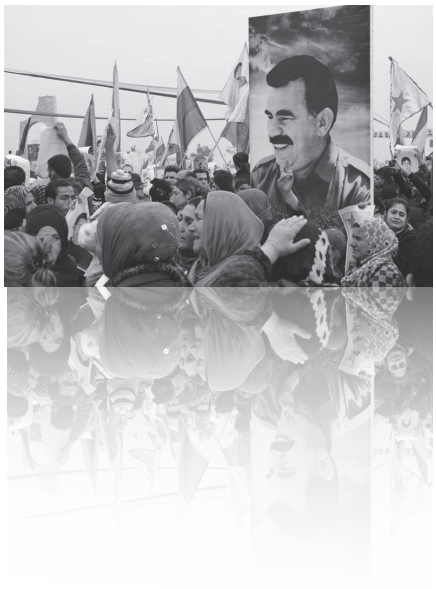

جعلت لنفسها دور هدّام وتتحمل مسئولية ما وصلت إليه من شرخ مجتمعي وتعنيف بين العناصر الوطنية السورية، الثورة في روج آفا نجمت عن النهج الثالث ونجم عنها بدورها كل الإنجازات التي تم تحقيقها حتى إعلان الإدارة الذاتية الديمقراطية في الواحد والعشرين من كانون الثاني من العام الحالي، والتي تبنتها كافة القوى والمكونات المجتمعية الفعَّالة والتي تقبل بالحل الرشيد الديمقراطي على المنحيين السوري والكردي كمكون أساس؛ وعلى اعتبار حل القضية الكردية في غربي كردستان مدخلاً أساسياً للحل الديمقراطي السوري نفسه، وعلى أساس هذا المبدأ الأساسي وعلى أسس التشاركية والتعددية وإحقاق العدل والسلام والأمن المجتمعي نستدل اليوم على عمق وصوابية النهج الوطني الثالث والمخالف لرأي بعض من الأحزاب والتنظيمات الكردية التي وقفت وما تزال في الجانب الخاطئ لما يحصل في روج آفا، ونقولها علانية أن هذه الأحزاب مارست ومنذ اليوم الأول من تأسيس الهيئة الكردية العليا اقصاءاً لما هو مطلوب منهم لدعم الجبهة الوطنية الديمقراطية مما أحدث بدوره شللاً نصفياً في جسم الهيئة : قسم فاعل وقسم وبسبب مشاكله وتناقضاته كان يعجز في أغلب الآحايين عن اتخاذ موقف فاعل. ولأن بناء الأوطان وقضايا الشعوب يجب أن لا تقف عند زوايا فئوية ومستندة إلى تحقيق مكاسب حزبية، فقد دعت الحاجة إلى العمل وترسيخ الإدارة الأفقية المجتمعية، والوقوف بحزم إزاء ما حيك وما يحاك ضد إرادة الشعب في روج آفا من قبل المجموعات الظلامية والتي ثَبتت الوقائع صلاتها مع دول اقليمية جعلت أراضيها مراتع ومراكز تدريب وعبور وهجوم على كانتونات الإدارة الذاتية وبالتزامن مع حالة الحصار التي تمارسها هذه الدول وبالتزامن مع بناء جدار العار من السلطة التركية وبالتزامن أيضاً مع حفر خندق الغدر والهزيمة التي تكرس بدورها اتفاقيات الفصل بين كردستان وما لم تقم بها أنظمة الاستبداد بدأ بعض من (الأخوة) بتنفيذه وزيادة الحصار على روج آفا وكل ذلك لتقويض وإفشال مشروع الإدارة الذاتية الديمقراطية، فمن أجل احتلال كوباني قامت هذه الكتائب بالهجوم على كوباني وكانت مدعومة من عدة جهات داخلية وإقليمية هدفها احتلال كوباني والانطلاق من بعدها إلى عفرين ومن ثم الجزيرة، ونعتقد أن الحزب الجديد والمؤلف من أربعة أحزاب المتناقضة في البرامج والأهداف وفي أنظمتها الداخلية، وبرعاية وعناية من بعض قياديي حزب الديمقراطي الكردستاني وبعض من استخباراتيها بهدف مزدوج؛ أولاهما النيل من الإدارة الذاتية، وثانيها إفشال المجلس الوطني الكردي والذي يُعتقد أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة، وفي الوقت نفسه نعتقد أن ما يقوم به هؤلاء من أفعال على أرض الواقع كبناء الخندق هو بمثابة الهجوم على روج آفا والهجوم على كل المكتسبات و الانجازات الوطنية من خلال بعض من مرتكزاتهم الحزبوية، والخندق هو بمثابة شرعنة الهجمات الداعشية وشرعنة الحصار ومحاولة بائسة منهم لجر كانتونات الإدارة الذاتية إلى حرب واقتتال بين المكونات التي أدركت بدورها حقيقة ما تقوم بها هذه الفئات المعادية لإرادتها وإرادة الشعوب الحرة.

الثورة في روج آفا نجمت عن النهج الثالث ونجم عنها بدورها كل الإنجازات التي تم تحقيقها حتى إعلان الإدارة الذاتية الديمقراطية في الواحد والعشرين من كانون الثاني من العام الحالي

الصراع بين الذهنية الثورية في روج آفا وذهنية الارتماء في أحضان مجسمات تتدعي بالمعارضة هي في ذروتها، ويكون من الخطأ أن يتم توسيم هذا الصراع أنه مستجد؛ إنما قديم وتاريخي يستوجبه ممكنات وجوده والغايات والأدوار الملقاة على عواتق المتصارعين، الذهنية الثورية هي التي قرأت دقائق الواقع واختارت الزمان الصحيح وبنت المكتسبات في المكان الصحيح أيضاً، ومن خلال هذه الذهنية نمى عامل الدفاع المشروع والذي استوجبه الخط الثالث موازاة بكافة المواثيق والعهود الباحثة عن السلام الحقيقي، ومن خلال هذه الذهنية ستكون بمثابة خلق كل شيء يجب وجوده؛ ووفقه فقد تم تفعيل منسقية تشاركية بين الكانتونات الثلاثة فيما يخص مسائل الدفاع المشترك والمسائل المعاشية والاقتصادية والدبلوماسية أيضاً، لتؤسس لاتحاد أو اندماج طبيعي بينها بحيث تكمل بعضها بعضاً لتتحرك ككيان واحد متكامل، وعلى العكس من هذه الذهنية نلاحظ ذهنية النكوص والاستسلام والاتكالية والتي تبحث عن كل

شيء مستحدث ومقولب ومعلب وما على أصحاب هذه الذهنية سوى أقلمة ذواتهم وأتباعهم وتكييفها لأجل كل حالة غير سويّة فرضت عليهم من أمكنة بعيدة عن روج آفا وبزمان هم يختارونه، وعلى الأغلب سيختارون اللحظة النهائية أيضاً وينهون بها أدوارهم المعتلة، وهذا ليس حدس وإنما قراءة للتاريخ المعاصر والقديم وكذلك الأحداث التي مر بها الشرق الأوسط وكردستان جزء منه.

الأوضاع في سوريا تمر بوتيرة متسارعة ربما يُراد لها خاتمة أو تصور لمدخل خاتمة مردها الخوف من عدم ضبطٍ للنتائج، لا سيّما أن التكلفة البشرية والتي فاقت أكثر من مئة وخمسين ألف من فقدوا حياتهم وأغلبهم من المدنيين الأبرياء، ناهيكم عن الخسائر في البنية الاقتصادية والتي تقدر بأكثر من أكثر من عشرة مليارات دولار، ومع هذه الأوضاع المخلة تبرز خلافات بينية تؤثر على بنيوية الحل والحسم، الخلاف السعودي – القطري على رأسها وتداعيات هذا الخلاف وركون؛ بل وهشاشة الجيش الحر مقابل هيمنة التنظيمات المتطرفة وهذا بدوره أفقد الائتلاف كل المساحات « المزعومة» مما جعله أكثر استلاباً وأكثر تبعية، وإذا ما لاحظنا سيرورة ذلك على الاتفاق الحديث المزعوم بين الائتلاف وبين الإدارة الامريكية والتي نجمت عنها مكاسب شخصية و»غزوة» تقدر قيمتها ب ٢٧ مليون دولار دون أن يؤثر ذلك على تغيير على أرض الميدان، وربما كان ذلك تكلفة الانسحاب من حمص وما يزعم به النظام أن حمص في هذه الأوقات خالية من كل التنظيمات العسكرية المعارضة، وفي الوقت عينه نلاحظ أن اتفاق علنياً بموازاة التبعية الائتلافية لأمريكا؛ اتفاقاً نجم بين الفيدرالية الروسية والنظام بإعداد وتفعيل صفقة سابقة تتضمن شراء الأخير لتسع مقاتلات Yak-١٣٠، من أصل ٣٦ طائرة، سدّد النظام قيمتها بمبلغ ١٠٠ مليون دولار، كجزء من قيمة العقد الإجمالية التي تبلغ ٥٥٠ مليون دولار، ومن ناحية ثالثة ما يحدث في شبه جزيرة القرم وتبعيات ذلك بين روسيا وبين غريمتيها التاريخيتين أوربة الغربية وأمريكا كان له أيضاً تداعيات على ما يحدث في الميدان السوري، وعلى منحى الملف الكيماوي السوري أيضاً، وبالطبع لا ننسى أن أربعة دول في الشرق الأوسط تشهد انتخابات؛ من المفترض أن تكون حاسمة، في لبنان، في العراق، وانتخابات تركيا القادمة، وأخيراً انتخابات الرئاسة في سوريا والتي تفتقد إلى أدنى معامل الأخذ بها، كيف ستجرى انتخابات رئاسية ونصف سورية مدمر؟ ونصف الشعب السوري مُهَجّرٌ؟ وكل سورية مهددة بشكل متقدم من الأفغنة واللبننة والصوملة؟ لم نسمع في التاريخ أن انتخابات رئاسية جرت دون وجود مسوغات قانونية وسياسية و اقتصادية وحتى على المستوى الاجتماعي وحالات التعنيف المجتمعي التي تمر بها سورية.

إن سورية القضية السورية، وسورية القضية الكردية هي من الأولويات التي تعتمدها حركة المجتمع

الديمقراطي في روج آفا وكجزء من المجموع الذي شكل الإدارة الذاتية نفسها، ومن أجل ذلك قدمنا قبل مدة مشروعاً وطنياً يتضمن لملمة المعارضة الوطنية السورية على ضوء مبادرة نحو التَغيير الثوري الديمقراطي على أساس الوحدة والتنوع، وكنه المشروع متحدد بالمسؤولية التاريخية والتي يجب أن ينظر من خلالها أن المرحلة التي تمر بها سورية هي بالغة الخطورة والدقة. ولعلنا لن نخطئ حينما نصفها بأنها حرب عالمية ثالثة مركز هذه الحرب هو الشرق الأوسط، وسيكون لهذه الحرب تبعيات وتداعيات خطيرة على الدول الاقليمية والعالمية أيضاً، وخاصة إذا ما تُرك للعنف عنان المرحلة، وهذا كنه مبادرتنا من أجل التحول السلمي بعد إيقاف كل مظاهر العنف وإيجاد آليات مجتمعية وإقليمية ودولية لتشكيل جبهة عالمية حرة لصد الارهاب الدولي والذي مال مستقره مؤخراً في الشرق وفي سوريا، وبالأخص في روج آفا. إن حق الدفاع المشروع والذي يتبناه الشعب في روج آفا وبكل مكوناته وعن طريق إدارته الذاتية الديمقراطية ينطلق عمقاً صوب الداخل السوري ومن خلال مبادرتنا يُعتبر أن مشروع الإدارة الذاتية الديمقراطية هو حل مناسب وناجح لعموم سوريا، لا سيّما أن الهجمات الظلامية من قبل التنظيمات المتطرفة، وعقلية الانتقام التي عشعشت في أذهان البعض المتربص بالإدارة الذاتية وبعد فشل كل محاولاتها في الحصار والتجويع وشرعنة هجمات تلك التنظيمات المتطرفة. بدأت تنتقل إلى مرحلة أشد خطورة وهي التفجيرات الانتحارية التي تتعمدها بين الفينة والأخرى وبشكل همجي غير إنساني من أجل ترهيب الشعب في روج آفا بعد حصاره، ومن أجل تفريغ مناطق روج آفا بعد تجويعه، ومن أجل إفشال مشروع الحل الديمقراطي والموسوم بالإدارة الذاتية بعد فشل مشاريعها وفشل رؤاها وظهور استبدادها وسلطويتها.

إن أبرز المهمات الوطنية التي لا بد من إنجازها هو العمل من أجل تشكيل الهوية الوطنية والمواطنة الحرة، والانتقال إلى مرحلة بناء ديمقراطي عصراني حتى الوصول إلى الأمة الديمقراطية، والتي لا بد أن تتوحد من أجلها كافة الجهود ومن كافة ألوان الطيف السوري، للوصول إلى مجتمع ديمقراطي واقتصاد تشاركي يضمن الاكتفاء الذاتي وهذا هو الجوهر الذي لا بد أن نصل إليه.

التاريخ الذي يسجل الآن دقائق التفاصيل لن يرحم أحداً، ومستقبلنا جزء من تاريخنا؛ وتاريخنا أيضاً جزء من مستقبلنا، وفي المستقبل كما في التاريخ؛ دماء الشهداء هي التي تسطر معاني الوطنية والحرية والديمقراطية والتغيير. وأن شعباً بحوزته آلاف القادة المعنويين (مجتمع الشهداء)؛ سيجتاز كافة المحن وسيذلل كافة العراقيل الموضوعة أمام حركية التاريخ، علماً أنه لا قوة تستطيع أن توقف عجلة التاريخ خاصة إنْ كان محركها الشعب والإرادة المجتمعية.

الخندق هو بمثابة شرعنة الهجمات الداعشية وشرعنة الحصار ومحاولة بائسة منهم لجر كانتونات الإدارة الذاتية إلى حرب واقتتال بين المكونات التي أدركت بدورها حقيقة ما تقوم بها هذه الفئات المعادية لإرادتها وإرادة الشعوب الحرة

الإبادة الثقافية والحرب الخاصة

«الإبادات الثقافية التي هي ثاني أسلوب في الإبادة، غالباً ما تُطَبَّقُ على الشعوب والمجموعات الأثنية والجماعات العقائدية التي هي في وضع واهنٍ ومتخلفٍ مقارنةً مع ثقافة الدولة القوميةً والنخبة الحاكمة. وبالإبادة الثقافية التي تُعَدُّ آليةً أساسية، يُرامُ إلى تحقيق التصفية التامة لتلك الشعوب والمجموعات الأثنية والدينية ضمن بوتقة ثقافة ولغة النخبة الحاكمة والدولة القومية، ويُسعى إلى القضاءِ على وجودِها بإقحامِها في مكبَسِ كافةِ أنواعِ المؤسساتِ الاجتماعية، وعلى رأسِها المؤسساتُ التعليمية. الإبادةُ الثقافيةُ شكلٌ من أشكالِ التطهيرِ العِرقيِّ أكثر مخاضاً مقارنةً مع الإبادةِ الجسدية، وتمتدُّ على سياقٍ طويلِ الأمَد. والنتائجُ التي تُفرزُها أفظَعُ مما عليه الإبادةُ الجسدية، وتُعادِلُ أكبرَ أنواعِ الفواجعِ مما قد يَشهدُه شعبٌ (أو مجموعةٌ ما) في الحياة. ذلك أنّ الإرغام على التخلي عن وجودِه وهويته وعن جميع المُقَوِّمات الثقافية المادية والمعنوية الكائنة في طبيعة مجتمعِه، يُعادِلُ الصَّلبَ الجماهيريَّ الممتدَّ على مرحلةٍ طويلة المدى. يستحيل الحديث هنا عن العيش في سبيل القيم الثقافية المُعَرَّضة للإبادة، بل لا يُمكنُ الحديث سوى عن التأوُّه والأنين.»

مرافعة مانيفستو الحضارة الديمقراطية -المجلد الخامس-عبدالله أوجلان.

« حسين شاويش

الإبادة هي عنوان مؤسسة الدولة وتشمل جميع ممارساتها القمعية الفظة والتدريبية والاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية. وهي تهدف إلى إنهاء وجود المجموعات والمكونات الاجتماعية والثقافية التي تعيش خارج إطار الدولة وتحاول ممارسة خصوصياتها ومميزاتها وهوياتها بحرية.

ليس خافياً على أحد على أن أكثر المجموعات والمكونات الاجتماعية والثقافية التي تعرضت للإبادة في بداية القرن العشرين بشكل خاص هو المكون الكردي والأرمن في الشرق الأوسط. الكرد هم ضحية سياسة الإبادة الثقافية في المنطقة على يد الأنظمة القوموية الشوفينية التركية – العربية - الفارسية والإسلام السياسي المنسجم مع سياسة الدولة القومية. إلى جانب الكرد يجب الإشارة إلى أن الأرمن والسريان والآشور والكلدان أيضاً تعرضوا للإبادة على يد نفس القوى كأقدم شعوب ومكونات هذه المنطقة.

الإبادة الثقافية هي عبارة عن ممارسة وجريمة بحق الإنسانية إكمالاً لسياسة الصهر القومي والمذابح الجسدية العرقية. ولكن هناك فرق شاسع فيما بين الإبادة الجسدية والإبادة الثقافية من حيث النتيجة والممارسة. فالإبادة الجسدية تقضي على وجود المكونات والمجموعات الثقافية والقومية المتنوعة جسدياً وجغرافياً عبر الوحشية. بينما المذابح الثقافية تعبر عن الاستمرارية في الوصول إلى أعلى مستوى من

الصهر القومي والتهجير والتغيير الديموغرافي.

الإبادة الثقافية تجاه الكرد في الشرق الأوسط: تهدف إلى تغيير الهوية التاريخية والثقافية والقومية للكرد وتحويلهم إلى مادة خامة في بناء هوية شوفينية مصطنعة على يد الدول القومية في المنطقة. تحولت ممارسات الإبادة الثقافية إلى حرب خاصة ضد الكرد في عموم أجزاء كردستان. لقد تم منع اللغة والثقافة والفلكلور والأسماء والإشارات والموسيقى والمناسبات الكردية من قبل الدول الاستبدادية والشوفينية في المنطقة.

تصفية الذاكرة

من أحدى الوسائل المعتمدة لدى دوائر الحرب الخاصة في كل من تركيا وسوريا وإيران والمستخدمة ضد الشبيبة الكردية هي القضاء على الذاكرة الاجتماعية - التاريخية والثقافية للشبيبة كجزء مهم من الإبادة الثقافية على يد عصابات الأرغنكون والميت والمخابرات السورية والاطلاعات (الاستخبارات) الإيرانية. والهدف هو القضاء على كل آمال الحرية لدى المجتمع الكردي. دون أدنى شك تلعب دائرة الحرب الخاصة التركية المرتبطة بالموساد والمخابرات الأمريكية الدور الريادي في تشجيع المخابرات السورية والاطلاعات الإيرانية على هذه المسألة. ففي الآونة الأخيرة تحاول هذه الأجهزة المعادية لأبعد الحدود لوجود الشعب الكردي، على اختراق صفوف الشبيبة الكردية وخصوصاً الفتيات بهدف تحويلهم إلى أدوات لفرض الانحلال الخلقي وتجارة الجنس في المنطقة. وهم يستهدفون بذلك فتح القلعة من الداخل، لأن المرأة هي الأساس في تربية المجتمع الكردي المتمتع بالخصوصيات الطبيعية والمستمدة من المجتمع القروي الزراعي (النيوليتي). نعم أنهم يستهدفون قلب المجتمع الكردي وسمعته وكرامته وشرفه. هذه الأجهزة الهدامة والعنصرية تجيد وسائل لم يتم استعمالها من جانب أية قوة أخرى في أي مكانٍ على وجه الكرة الأرضية. ولكن الوسيلة الأكثر تأثيراً هي تصفية الذاكرة.

ما هي تصفية الذاكرة؟ هي تصفية الخيال الذهني والتصور الاجتماعي والارتباط الثقافي والتاريخي والجغرافي إلى جانب العالم الروحي والعاطفي تماماً، وخلق عالم وهمي وافتراضي (مزيف) بعيداً عن الواقع لدى الإنسان. ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف تستخدم هذه الدول أساليب الإرهاب والقتل والاعتقال إلى جانب فتح الطريق أمام الإغراءات المادية والشهوانية. فالدولة البعثية العنصرية في سوريا تحاول في السنوات الأخيرة سد الطريق أمام الاحتفال بعيد نيروز من جانب الشبيبة. والمجتمع الكردي عموماً عبر وسائل القتل والاعتقال كما حصل في نيروز ٢٠١٠ في مدينة الرقة ونيروز ٢٠٠٩ في مدينة قامشلو. وفي نفس الوقت تفتح المجال لبعض المجموعات الكردية المشبوهة لكي يمارسوا اللعب واللهو والطرب في هذا اليوم المقدس، والهدف هو إفراغ نيروز من محتواه وتحويله إلى يوم للنزهة ليس له أي معنى تاريخي وثقافي كما حصل في مسألة عيد العمال العالمي (١ أيار) مع مرور الزمن. بالنسبة إلى العصابات التركية المخابراتية (الأرغنكون) فأنهم يحاولون خطف الفتيات الكرديات الصغيرات من المدارس الليلية الحكومية واغتصابهن وتصوير عمليات الاغتصاب بالفيديو واستعمالها كأداة للضغط والابتزاز ضد الفتاة وعائلتها لكي يقبلوا بالعمالة للدولة. وقد انتشرت هذه الممارسة في عهد حكومة أردوغان «الإسلامي» ومثلما حصل في سيرت وبرواري ووان وماردين في الآونة الأخيرة. وقد وعد أردوغان بنشر المدارس التركية ذات الطابع القومي الشوفيني والإسلامي المزيف في كل أنحاء كردستان، والغاية الأساسية من ذلك هو نشر اللغة والثقافة التركية الدولتية الهدامة فيما بين الشبيبة الكردية وخصوصاً الفتيات. كما أن سوريا التي تحولت إلى ولاية عثمانية مدارة من جانب «بشار باشا العثماني» تترجم المسلسلات التركية والشوفينية إلى اللغة العربية وتحاول نشر الثقافة التركية واللغة العربية (تعريب وتتريك) فيما بين الشبيبة. ومن أجل سد الطريق أمام مشاهدة الجماهير الكردية واستماعهم إلى نشرة الأخبار

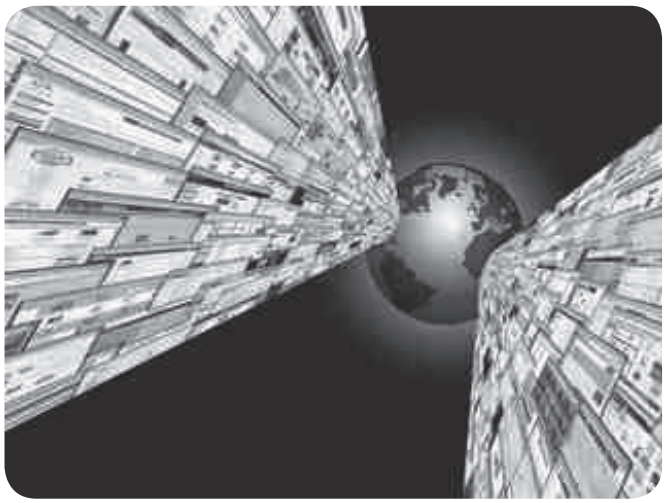

لفضائيات الكردية في المساء. فأن أجهزة النظام البعثي ـ الأردوغاني عمدت على نشر المسلسلات التركية الهدامة في نفس الساعة.

إن محاولة الدولة التركية في تصفية الذاكرة الكردية دخلت في حيز التنفيذ منذ سنوات على يد حكومة البعث السوري في غربي كردستان أيضاً. وأما في جنوبي كردستان (إقليم جنوب كردستان) فإننا لا نستغرب المظاهر الاستعراضية لفنانين تابعين للدولة التركية ويتاجرون بالفن والثقافة، فأي زائر لمدينة زاخو أو دهوك أو هولير، يستطيع أن يرى صورة سيبل جان، وإبراهيم تاتليسس وجيلان في كل مكان، بينما لا نلاحظ أية مظهر استعراضي فني أو ثقافي للفن الكردي الشعبي الأصيل مثل أياز يوسف أو تحسين طه أو حسن زيرك أو محمد شيخو، لأن حكومة إقليم كردستان تدعم هذا التوجه الثقافي والفني الهدام وكأنها جزء من حكومة تركيا العثمانية ـ الاسلامية. لا شك بأن أمريكا وإسرائيل وانكلترا بشكل خاص، يدعمون هذا التوجه الثقافي ذات الصبغة الإسلامية المعتدلة والجذور الأوربية الحداثوية الرأسمالية. لأنهم يريدون تصفية أسس ثقافة المقاومة والروح الاجتماعية الأخلاقية والكومونالية لدى مجتمعات الشرق الأوسطية. وأكبر مثال على ذلك هو دعم أمريكا وانكلترا لرئيس الطريقة النورسية التركي فتح الله كولن من أجل فتح المدارس الدينية التركية في هولير والسليمانية وكركوك ودهوك وآسيا الوسطى وفلسطين وسوريا.

أمام هذه اللوحة الثقافية والفكرية الهدامة والهادفة إلى تصفية الذاكرة الاجتماعية ـ التاريخية ما هي مهامنا ومسؤوليتنا؟ قبل كل شيء علينا أن لا نخدع أنفسنا، لأن هذه الحرب الخاصة أخذت مسافة لا يمكن الاستهانة بها. ولنعطي مثالاً على ذلك، فالشاب الكردي والشابة الكردية تتذكر لون قميص إبراهيم تاتليسس أو كوجوك جيلان في حفلة تلفزيون قبل سنوات عديدة، بينما لا تتذكر مظلوم دوغان الذي أحيى ذكرى عيد نيروز بدمائه في سجن ديار بكر (آمد) وكما لا يتذكرون ذكرى استشهاد قاضي محمد ولا يعرفون من هو أحمد خاني وفقه تيران. وهم يتابعون الحياة الخاصة المتفسخة لـ مادونا بينما لا يعرفون مآسي محمد شيخو والفنان الشهيد سرحد و آياز والفنانة الشهيدة مزكين.

إذاً هناك غزو ثقافي وحرب ثقافية علينا أن نواجهها من خلال تدريب الشبيبة وأحياء روح الوطنية الصادقة والديمقراطية فيها، وكما يجب علينا توجيه الشبيبة نحو ثقافة المقاومة لشهدائنا ونشر اللغة الكردية والأدب الكردي والموسيقى الكردية الأصيلة والشعبية فيما بينهم وخلق البديل الثقافي واستعادة الذاكرة الشعبية والاجتماعية عبر الندوات والاجتماعات وبكل الوسائل المسموعة والمكتوبة والمرئية. وكما يقول القائد آبو «الشبيبة والمرأة هما القوة الأساسية الرائدة في بناء المجتمع الديمقراطي ـ الكومونالي». اذاً نحن مكلفين بتحمل مسؤولياتنا أكثر من أي وقت مضى وبأسرع خطوات ممكنة لأننا تأخرنا في هذه المواجهة الحيوية.

الإبادة ضد الشبيبة

الرياضة كظاهرة تلعب دوراً كبيراً في تربية الإنسان جسدياً وروحياً، حتى هناك الكثير من الأمراض الجسدية والروحية يمكن معالجتها بالرياضة. ولكن عندما ننظر إلى مستوى هذه الظاهرة في العالم الراهن، فإننا نرى بأن الرياضة خرجت من هذا الإطار الإيجابي ولم تعد تلعب مثل هذا الدور بل تحولت إلى آلة للحرب ضد المجتمع وخصوصاً الشبيبة. فالمعارك الدموية الحاصلة في ملاعب كرة القدم دليل كافي على ذلك. إن روح الشوفينية القومية التي تلازم مباريات كرة القدم وتحاول تغذية روح العداوة بين الشعوب، أفرغت الرياضة من جوهرها (كونها أداة للصداقة بين الشعوب). كما أن تغذية الروح الإقليمية والمنطقية عبر الرياضة، أدت إلى انقسام الشبيبة على نفسها ودخولها في صراع مصطنع ضد بعضها البعض بعد أن كان موجهاً ضد النظام في الستينات والسبعينات من القرن الماضي. كما أن تنظيم الشبيبة على أساس فرق كرة القدم وانشغال هذه الطاقة الخلاقة بحروب الرياضة أبعدتها عن هموم المجتمع والسياسة والبيئة وما شابه من الأمور الأساسية. وأكثر من هذا كله. فأن تخريب نفسية الشباب ومعنوياتهم الرومانسية عبر خلق طراز من الشخصيات الذي يحاول النظام تقديمها كشخصية نموذجية ـ مثالية، أفرغت الشبيبة من جوهرها كشخصية تملك الخيال والعطاء والرومانسية الثورية فالفرق الرياضية تحولت إلى مذاهب دينية لبعض فئات الشبيبة، وملأت روحها وعقلها وأبعدتها عن الحقيقة التي يعيشها العالم. وكأن

هناك غزو ثقافي وحرب ثقافية علينا أن نواجهها من خلال تدريب الشبيبة وأحياء روح الوطنية الصادقة والديمقراطية فيها

المشكلة الأساسية للشبيبة تكمن في انتصار فريق ريال مدريد على برشلونة أو بالعكس. وكما تحول روبرتو كارلوس ورونلادينو وأمثالهم إلى أنبياء ورسل للشبيبة الواقعة تحت تأثير النظام. فكلما ندخل بيتاً نرى فيه صورة لـ روبرتو كارلوس أو رونالدينو، بينما لا نشاهد صور الأبطال الذين استشهدوا في سبيل الحرية، مثل مظلوم دوغان وكمال بير وغيرهم.

الفن بشكل عام لم يتطور من قبل الدولة البرجوازية الحديثة ونظامها العالمي. بل الفن موجود وبشكل مرتبط بحياة المجتمع وأخلاقياته الإنسانية منذ ظهور الإنسان العاقل (هوموسابيانس). كل ما فعله الرأسمالي الحرامي، هو السيطرة عليه وتحويله إلى بضاعة استهلاكية (كما فعل بالرياضة) واستخدامها كأداة للانحلال الخلقي وسقوط المجتمع.

إن ثقافة مادونا ومايكل جاكسون الأمريكية التي تغزو كل أسواق الثقافة الاستهلاكية في العالم وتهدف الشبيبة بشكل خاص لها أهداف سياسية. فشخصية مايكل جاكسون هي قبل كل شيء شخصية ممسوخة، لأن مايكل أصله زنجي، ولكنه مر بسبعة عمليات تجميل لكي يظهر نفسه بأنه ليس زنجي بل من العرق الأصفر. إن إنكار الأصل ومحاولة تقمص شخصية أخرى لا يرضي أحدا على وجه الأرض. بينما مادونا ومن على شاكلتها، فهم لا يبدعون الفن، بل يحاولون التحول إلى شخصيات نموذجية لا روح لها حسب رغبة النظام الرأسمالي العالمي. كل الشبيبة المتأثرة بهذه الثقافة يقلدون مايكل ومادونا، من ناحية اللباس وتسريحة الشعر ونمط الحياة.

إلى جانب هذا كله، فإن هذه الثقافة الفنية الاستهلاكية، تحاول قطع الشبيبة عن الفلكلور الشعبي الأصيل وتحاول تحويله إلى قرد لا يستطيع التفريق بينما ما هو أصيل ومزيف، وبينما يصفق ويرقص ويضحك لكل شيء. أما من ناحية السينما، فإننا لا ننكر خدمة هذا الفن الإنسانية. ونحن نشيد بالسينما في شخص شارلي شابلن وغيره من المبدعين. ولكن ما يحصل غير ذلك. لأن سيطرة هوليود على السوق والإنتاج السينمائي، حولت كل شيء أمريكي أو أوربي أو على هذا النمط (هندي، عربي، تركي .....الخ) إلى نموذج تحتذي به الشبيبة المتأثرة بهذه الثقافة. فإلى جانب صور مايكل ومادونا على صدر الشبيبة فإننا نرى صور نجوم ونجمات هوليود على صدرهم. هؤلاء النجوم الذين يحرفون الحقيقة في أفلامهم. فكثيرا ما نضحك ونستهزئ بالجندي الأمريكي الذي ذهب إلى فيتنام أو العراق وقتل كل «الأشرار» ببندقيته الأسطورية ورجع إلى أمريكا أما سليما أو بجروح طفيفة. ولكن ثقافة هوليود، تحاول تصوير هذا الجندي أو العميل الأمريكي، كمحور للإنسانية، بينما تصور الطرف المقاوم كعدو للإنسانية (أي إرهابي). إن قلب الحقائق في ذهن الشبيبة هو الهدف من وراء هذه السياسة الثقافية.

طبعاً نؤكد وبشكل قاطع بأن الفن ظاهرة إنسانية اجتماعية ومعنوية. ولكن بعد تحوله إلى سلعة استهلاكية في السوق من جانب الرأسمال المالي العالمي، تغير دوره في تطوير معنويات المجتمع وتغذية روحه. وذلك بعد أن ابتعد عن الأخلاقية الاجتماعية للإنسانية. فالفن ليس سلعة ولا بضاعة، بل هو قيمة معنوية لا يقاس بأية شيء مثل القيم لا إنسانية الأخرى.

هنا سوف نحاول إلقاء الضوء على السينما والفيديو والإنتاج المرئي بالترابط مع الجنس.

الجنس ظاهرة طبيعية في حياة الإنسان ومرتبطة بحاجته في الاستمرار على نوعه كجنس. ولم تكن في بدايات التطور الاجتماعي (العصر الحجري الوسط والحديث) غريزة وحشية وهجومية من قبل جنس الرجل ضد المرأة، وكما أن الجنس لم يكن غالباً في العلاقة بين الجنسين في تلك المراحل. بل كان أداة لاستمرارية الحياة. حتى أن المرأة كانت تدخل في تلك العلاقة مع الرجل لإنجاب عدة أطفال وبهدف ذلك. هذه العلاقة كانت ضرورة اجتماعية من أجل الاستمرارية وليس أكثر لذا كانت تصف بالقدسية والخصوبة بسبب تغلب هذا الجانب الإنساني والاجتماعي على هذا الظاهرة. لأن العلاقات بين الجنسين أيضا كانت تسيطر عليها المساواة والاحترام المتبادل والحب الاجتماعي وتعاونه.

بعد ظهور الدولة وسيطرة جنس الرجل (كمهيمن على الدولة) على المرأة، تحولت مسألة الجنس إلى بضاعة تباع وتشترى (ومعها المرأة أيضاً) مثل أية سلعة أخرى. وقد زالت قدسية هذه العلاقة وذابت في

مستنقع السوق الثقافي الاستهلاكي للرأسمالية.

إن أكثر الفئات المعرضة إلى هذا الغزو الثقافي الجنسي الاستهلاكي هم الشبيبة. فالأفلام الخلاعية الهوليودية والتي ليس لها هدف سوى إثارة العلاقة الجنسية غير الهادفة، والمئات بل الآلاف من المحطات التلفزيونية التي تبث الأفلام الخلاعية ومئات الآلاف من بيوت الدعارة الرسمية والخاصة، كلها تهدف إلى تخريب المجتمع وخصوصاً الفئة الشابة منها. لأن الشبيبة كما ذكرنا سابقاً، تملك العنفوان والنشاط والقوة والجمال؛ تستطيع من خلالها القيام بتغيير جذري في المجتمع، والنظام يدرك ذلك جيداً، لذا يحاول توجيه نشاط الشبيبة وجمالها نحو مسألة بيولوجية غير أساسية. إن الجنس كما يقول أوجلان: «تحول إلى دين جديد للنظام الرأسمال المالي ومعها المواد المخدرة المقدمة بسهولة للشبيبة. هكذا يريدون تصفية روح غيفارا وماهير جايان وكمال بير وحقي قرار بهذه الطريق اللعينة وتحت اسم الحداثة والتحديث».

دور الإسلام السياسي في هذا المجال

كل المسلمين في كل الأصقاع يعترفون بدور الشعب الكردي وعلى رأسهم صلاح الدين الأيوبي في حماية الكيان الإسلامي في الشرق الأوسط في مواجهة المد الغربي من الناحية التاريخية. وعندما نسأل مسلماً سياسياً ونقول لهُ ما رأيك بالمسألة الكردية وحقوق الشعب الكردي؟ فسيقول لنا: كلنا مسلمون وأخوة ولا يوجد فرق بين عربي وكردي إلا بالتقوى.

لكن عندما أرتكب صدام مجزرة حلبجة لم يتفوه أي مسلم ولو بكلمة واحدة لإدانة صدام ونظامه البعثي، والأكثر من ذلك حصلت المجزرة في ١٦ آذار ١٩٨٨ وانعقد اجتماع المؤتمر الإسلامي في ١٩ آذار من العام نفسه وفي العاصمة الكويتية التي لا تبعد عن حلبجة إلا ساعات قليلة ولم يتوقف المؤتمر الإسلامي على هذه المجزرة ضد الشعب الكردي المسلم. حيث توقف المؤتمر على كل القضايا في العالم الإسلامي ما عدا القضية الكردية. كما أن الدولة التركية بكل حكوماتها وأحزابها استغلت مواقف منظمة المؤتمر الإسلامي والشخصيات الإسلامية مثل يوسف القرضاوي وحسن نصر الله في حربها الوحشية ضد الشعب الكردي. حتى يومنا هذا لم تتفوه أي شخصية إسلامية بكلمة واحدة لإدانة المجازر التركية والأردوغانية ضد الشعب الكردي. أول استخدام للسلاح الكيماوي ضد الشعب الكردي في الشرق الأوسط كان من جانب الحكومات العربية والتركية المدعومة إسلامياً.

نشاهد اليوم معارضة من قبل الأخوان المسلمين لحقوق الشعب الكردي في سوريا مثل البعث تماماً حيث لا يختلف عنهُ وهما وجهان لعملة واحدة. فالمنظمات الإسلامية في سوريا تحالفت مع حكومة أردوغان ضد مصالح الشعب الكردي مثلما سبقَ وتعاونت الحكومة البعثية مع أردوغان ضد النضال التحرري الكردستاني على أساس اتفاقية أضنة. أما في تركيا فإن الجماعات الإسلامية وعلى رأسهم فتح الله غولان رئيس الجماعة النورسية يفتشون في الأحاديث النبوية لكي يعثروا على حديث غير مسند يشرعوا فيه المذابح واستعمال السلاح الكيماوي ضد الكرد. أما بالنسبة إلى إيران فإن آيةُ الله خميني أنكر وجود الشعب الكردي وحقوقهُ تحت أسم الدين وحتى وصل الأمر بأحمدي نجاة إلى إعدام الشباب والشابات الكرد تحت ذريعة مناهضة الشريعة الإسلامية. أما في العراق فأن المنظمات الإسلامية المعارضة للحكومة والمتمثلة في البرلمان يحاولونَ بشتى الوسائل تصفية المكاسب التي حصل عليها الكرد بعد انهيار نظام صدام. هذه هي حكاية الإسلام السياسي مع الشعب الكردي بشكل مختصر ومفيد.

الفن ليس سلعة ولا بضاعة، بل هو قيمة معنوية لا يقاس بأية شيء مثل القيم اللاإنسانية الأخرى

منذ اندلاع الانتفاضات الشعبية الديمقراطية والسلمية في سوريا وغربي كردستان, كان هناك اتجاهين أساسيين، اتجاه يعطي الأهمية لتنظيم الشعب وتوجيهه حول شعار تغيير النظام السياسي نحو الديمقراطية بهدف دمقرطة البلاد وتحقيق الاعتراف الدستوري بالشعب الكردي والوصول إلى الإدارة الذاتية الديمقراطية للمجتمع الكردي والابتعاد عن سياسة الأجندات الخارجية وخصوصاً الأجندات التركية ذات التأثير ضمن المعارضة السورية عبر المجلس الوطني الإسطنبولي. أما الاتجاه الآخر فقد سعى دائماً إلى توجيه الشارع الكردي نحو إعاقة الاتجاه الأول بأي ثمن ولو كان على حساب الأهداف النبيلة والاستراتيجية للمجتمع الكردي بشكل خاص والسوري بشكل عام.

لقد حاول هذا الاتجاه بكل الوسائل الممكنة والمستحيلة, فرض سياسة المجلس الوطني السوري الإسطنبولي على الجماهير الكردية في غربي

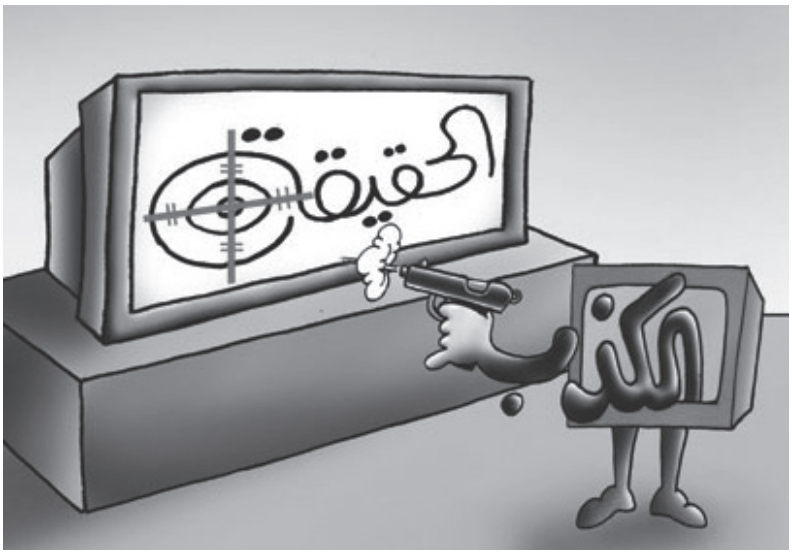

كردستان. هكذا تحولت المدن الكردية إلى أسواق المزاد العلني للتنسيقيات وتحت مسميات كثيرة ولكنها حملت نفس اللوحة والرقم الصادر من غرفة عمليات الاخوان والاتجاه الأردوغاني في المعارضة السورية.

استندَ هذا الاتجاه في دعايته على الإمبراطوريات الإعلامية الضخمة مثل العربية والجزيرة بهدف تشهير حزب الاتحاد الديمقراطي بتهمة التعامل مع النظام السوري البعثي. أحدى أهم حجج هذا الاتجاه الذي ضَمَ مجاميع الأحزاب الكردية الكلاسيكية كانت كالتالي: لماذا كان صالح مسلم محمد سكرتير حزب الاتحاد الديمقراطي ملاحقاً قبل اندلاع الانتفاضات ولم يتم اعتقاله بعد رجوعه؟ نعم كان السيد صالح مسلم محمد ملاحقاً سياسياً من قبل أجهزة الأمن السوري منذ ما بعد ٢٠٠٤ بسبب موقفه السياسي الواضح من النظام, ولكن زعماء هذه الأحزاب كانوا يسرحون ويمرحون بكل حرية في جميع المدن الكردية والسورية بشكل عام, فهل كانوا عملاء ومتعاملين مع النظام خلال هذه السنوات كلها؟!

الحملة الأولى للتشهير كانت هدفها تلطيخ سمعة حزب الاتحاد الديمقراطي من قبل هذه الرموز التي تحولت إلى أبواق لبث الأكاذيب والدعايات على طاولات المطاعم لكي يجعلوا هذا الشعب لا يفكر بهم وبتقربهم وحياتهم الخاصة القائمة على ارضاء النظام موضوعياً أو ذاتياً.

الحملة الثانية تجسدت في محاولاتهم لتحويل الشارع الكري إلى ميدان لصراع فيما بين سياسة أردوغان المتجسدة في المجلس الوطني الإسطنبولي المذهبية والداعية إلى الصدام المسلح والتدخل التركي وسياسة الدولة السورية البعثية. بمعنى تحويل الشارع الكردي إلى ميدان للصراع على السلطة وليس في سبيل النضال من أجل الديمقراطية والحرية والحقوق المشروعة للشعب الكردي. هكذا كانوا يريدون تجريد الشارع الكردي من هويته الوطنية من خلال فرض العزلة على القوى الديمقراطية والثورية الحقيقية المتمثلة في حركة المجتمع الديمقراطي.

الحملة الثالثة تجسدت في الاتصال بالإمبراطوريات الإعلامية العالمية بهدف إضفاء الشرعية على دعاياتهم في تلطيخ سمعة حزب الاتحاد الديمقراطي وأنصاره وتجريد هذه الحركة الشعبية عالمياً وعربياً.

حتى أن موقفهم ضد هيئة التنسيق لم يكن له أية علاقة بسياسة هيئة التنسيق الرافضة للتدخل الخارجي والعنف والطائفية والمناهضة للنظام والمجلس الإسطنبولي معاً, بل لأن حزب الاتحاد الديمقراطي دخل في هيئة التنسيق وبشكل فعال, لذا اتخذوا الموقف العدائي من الهيئة على مبدأ أن «صديق عدوك هو عدوك».

الحملة الرابعة هي محاولة هذه الأحزاب في توجيه مجموعات شبابية غير مسيسة وغير واعية ضد قيم ورموز وشهداء حركة حزب العمال الكردستاني وفتح الطريق أمام اقتتال الأخوة في الشارع الكردي بدعم مباشر من بعض التيارات في اقليم جنوب كردستان ودعم أعلامي من الإمبراطوريات الإعلامية التابعة للنظام العالمي الحاكم.

الحملة الخامسة هي إبعاد حزب الاتحاد الديمقراطي عن مؤتمر الأحزاب الكردية بإجماع مدعوم بشكل مباشر من هولير وواشنطن لإرضاء أنقرة وإثبات عدائهم التاريخي والأبدي لنهج وفلسفة قائد الشعب الكردي عبدالله أوجلان ولثورة شمال كردستان.

بالمقابل قام حزب الاتحاد الديمقراطي وحركة المجتمع الديمقراطي في غربي كردستان (بحملة إعادة الهوية الكردية للشارع الكردي وبناء المؤسسات التعليمية والثقافية في المناطق الكردية وبناء المجلس الشعبي لغربي كردستان بالانتخابات بالإضافة إلى بناء المجالس الشعبية المحلية بالانتخاب الحر في كل المدن والقرى والبلدات في المناطق الكردية ومناطق تواجد الشعب الكردي).

التبعية الثقافية

أكبر غزو على الثقافة الكردية

« مزكين دليلة

الثقافة هي ذهنية وفكر ولغة المجتمع، وكافة نتاجات القيم المادية، عندما نذكر القيم المادية نقصد هنا كافة الوسائل الجميلة التي تلبي حاجات المجتمع في الغنى الفكري، الاتصال والتواصل، الحماية وكافة أشكال العبادة وما شابه ذلك.

يعبر الاختلاف والتشابه في وسائل الذهنية الثقافية عن مستوى الحياة الثقافية، وبالتالي فهو تعبير عن شكل الحياة الاجتماعية بكل شمولية، وكذلك تعبر عن مستوى الغنى أو الفقر الموجود في حياة المجتمع، ويبين المستوى الثقافي عن مستوى التطورات الاجتماعية، وترتبطان بعلاقة فيما بينهما.

أثبتت جميع الابحاث بأن كردستان هي الجغرافية الأولى التي ولدت عليها الذهنية الاجتماعية وتطورت صياغتها ووسائلها وديناميكياتها الحياتية. وموزبوتاميا العليا هي المنبع الأول لظهور الثقافة الاجتماعية الآتية من الثقافة النيولوتية، وأحدثت الثقافة النيولوتية أو الثورة الزراعية قفزات نوعية في صياغة الحياة الاجتماعية، وتكوّن المجتمع بتحول الكلان القبيلة إلى عشائر، كما أحدثت انعطافات هامة في اللغة الرمزية، وأغنت الحياة الثقافية والاجتماعية بتطوير وتعدد الوسائل الثقافية، ويمكن الإدعاء بأنها أكبر ثورة في التاريخ. إن التحول الاجتماعي أي التحول الثقافي هو تحديد الإنسان مصيره بنفسه من خلال الثقافة ووسائلها والوصول إلى تكوين حياة جديدة، وتعبر هذه الثورة عن أكبر التطورات الثورية، قياساً بالثورات العصرية المسماة بالثورة الصناعية والتكنولوجية والرقمية التي تبهر الابصار، وبناء عليه فأن هذه الجغرافيا هي الخلية الأم لتكوين جذور اللغة والثقافة الانسانية، بالإضافة إلى كونها الخلية الأساسية للقيم الانسانية، وأعطت الإجابة حول ماهية الانسان وقيمه الإنسانية من بين الأحياء الأخرى.

لا ندّعي الأمر كوننا أكراداً، بل لأننا أصحاب مسؤولية عظيمة حيال حماية القيم الإنسانية الثقافية، ونهدف إلى تطويرها والحفاظ على الخلية الأم للإنسانية واضافة جهودنا إلى هذه الأرض التي تشكل منبع الإنسانية والحفاظ على الثقافة الكردية وقيمها لا تعني الحفاظ على الكرد فحسب، بل هو الحفاظ على القيم الانسانية وجذورها التاريخية، وحينها لابد لنا من الإشارة لمنبع الجمال الإنساني الموجود، وأن لا نقيمها كمفهوم قومي أو عرقي.

المجتمعية والديمقراطية هما أولى أشكال الحياة الانسانية، وبالتالي فإن القيم الكومينالية الديمقراطية موجودة في ثقافة هذه المنطقة منذ غابر الأزمان، انطلاقاً من ذلك تحتوي الثقافة الكردية على قيم اجتماعية

تعرضت الثقافة الكردية للاضمحلال والإذابة وأصبحت ملك للغير في ظل سياسة الاستعمار السياسي والعسكري

وديمقراطية، وبالتالي فأن احياء الثقافة الكردية يعني احياء القيم الكومينالية الثقافية. ومن الهام التقرب بمسؤولية لإحياء الثقافة الكردية تجسيداً للثقافة الكومينالية الديمقراطية. لكن مع الأسف تحجّمت وانحطت الثقافة الكردية ذات الدور الأكثر تأثيراً من بين ثقافة موزوبوتاميا العليا المكونة للخلية الانسانية الأولى في القرن الأخير.

اتَبعت كل من الدولة التركية والفارسية والدول العربية سياسة امحاء الهوية واللغة والثقافة الكردية، واتخذوا من كردستان منطقة لاستيطان الترك والعرب والفرس، خاصة بعد ظهور الحداثة الرأسمالية وتصاعد تأثير القومية وتيارات الدولة القومية، ومارست الطبقات الحاكمة في القومية التركية والعربية الشوفينية هذه السياسة بمنهجية.

حاولت الدولة القومية التركية - بعد الامبراطورية العثمانية - استرجاع ما خسرته من أراضي باتخاذ كردستان منطقة لتوسيع نفوذ القومية التركية وغزو الثقافة الكردية وارتكاب الإبادة العرقية بحقها، وحاولت القضاء على الثقافة الكردية (المنبع الأساسي للثقافة الانسانية) أمام مرأى الانسانية جمعاء، واتبعت الاستعمار العسكري والسياسي تحت شعار «اللغة الواحدة، الثقافة الواحدة، الوطن الواحد والقومية الواحدة» في كردستان، وتعرضت الثقافة الكردية للاضمحلال والإذابة وأصبحت ملك للغير في ظل سياسة الاستعمار السياسي والعسكري، وأحرزت نتائج هامة من سياسة امحاء الثقافة واللغة الكردية.

بذلت الدولة القومية العربية والفارسية جهود كبيرة لإذابة الثقافة الكردية واكتسبت هذه الممارسة بعداً كبيراً، والإبادة الثقافية التي ارتكبتها الدولة التركية بحق الثقافة الكردية في شمال كردستان لا مثيل لها في العالم وتهديد لوجود الكيان الكردي، لو قارنا مابين الأجزاء الكردستانية الأربعة يجب أن نشير إلى الاختلاف التالي: حاز الاستعمار التركي نجاحات في صهر اللغة والثقافة الكردية، وشكلت تهديداً على الوجود والهوية الكردية، وانتهج الاستعمار العربي والفارسي نفس سياسة تركيا الاستعمارية، من قبيل سياسة انحلال الثقافة واللغة والهوية الكردية بشكل متأخر، وصولاً إلى اتباع سياسة الإبادة العرقية من قبل الأتراك والعرب والفرس بشكل مخطط ورؤيته كحق مشروع لهم، يفعلون ذلك من أجل تطوير ثقافاتهم وترفيعها والنظر للثقافة الكردية كثقافة رجعية ومتخلفة ليغترب الكرد عن حقيقتهم الثقافية ويتوجهوا صوب ثقافات أخرى، واتخذوا من هذه السياسة أساساً لهم، لذا سخرت هذه الدول كافة امكاناتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية لتوسيع وتشجيع ثقافاتهم واستبعاد الكرد عن ثقافتهم وهويتهم ولغتهم، واتبعت هذه الدول من خلال سياستها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية استراتيجية صهر الثقافة واللغة والهوية الكردية في بوتقة أنظمتها الدولتية الحاكمة.

واليوم لا يمكننا القول بأن الترك والعرب والفارس تراجعوا عن سياساتهم هذه، بل يستمرون بها بأشكال مختلفة، أدت سياسة الانحلال الثقافي الممارسة بحق الشعب الكردستاني إلى تصعيد المقاومة من قبل الكرد لحماية وجوده الوطني بحماية ثقافته، بالطبع أرادوا ارتكاب الإبادة الجسدية إلى جانب الانحلال الثقافي، في كل فرصة تسنح لهم لتوسيع وتوطين نفوذهم، والهدف الأساسي من سياسة الانحلال الثقافي بحق الكرد هو فصلهم عن هويتهم وثقافتهم ولغتهم وإذابتهم ضمن ثقافاتهم وهويتهم ولغتهم، وكذلك استغلال الثقافة الكردية بإبرازها على أنها ثقافة أخرى، وهذه من أهم ممارساتهم في تطبيق هذه السياسة.

من الهام التقرب بمسؤولية لإحياء الثقافة الكردية تجسيداً للثقافة الكومينالية الديمقراطية

يمكننا تعريف مقاومة الكرد ضد القوى الاستعمارية الإنكارية بأنها نضال لحماية الهوية والثقافة واللغة بالإضافة إلى حماية وجوده القومي، لا يمكن للشعب الكردي أن يحافظ على حياة حرة وديمقراطية من دون الحفاظ على كيانه الوطني بهويته وصونه بشكل حر، وكذلك لا يمكن للذين لا يمتلكون هويتهم وثقافتهم أن يكونوا أصحاب لفكر ديمقراطي حر، وبكل تأكيد لا يمكن للذين قهرت ارادتهم (من أفراد وجماعات) مواجهة الانحلال الثقافي الذي يعتبر من أقذر أشكال الإبادة، بالطبع لا يمكن بناء مجتمع حر ديمقراطي من أفراد وجماعات مسلوبة الإرادة، ولا يمكن تنظيمهم بشكل حر والوصول بهم إلى حياة حرة ديمقراطية.

أبدى كل من الشعب الكردي والثوار الاكراد والديمقراطيون والمقاتلون الأحرار الحرب ضد

التسلح الثقافي، هو الذي يحمي ذاته إلى آخر رمق ضد هجمات العدو، وبقدر استمرار هذا الخندق على الصمود فبإمكان الشعب أن يحيا ثقافته وهويته ولغته.

الهجمات التي ا ستهد فتهم ، ويجب أن نقيم نضال ومقاومة الشعب الكردي المكثف ومواقفه اليومية كدفاع عن النفس ضد كافة الهجمات التي تستهدفه، لأنه لم يتم فرض سياسة الإبادة العرقية في أي وطن من أوطان العالم مثلما جرى فرضه بحق الكرد، وارتكبت أكبر التراجيديات على هذه الجغرافيا، بسبب وجود خطر الوجود الكردي كوجود اجتماعي شكل المنبع الأساسي للثقافات في تاريخ الانسانية، وتواجه الثقافة الإنسانية خطر الانحلال بانحلال الثقافة الكردية وعلى مرآى من العالم وهذه هي إحدى أكبر التراجيديات في ماضي ومستقبل الانسانية.

ازدادت الآلام والمعاناة بتطور الوسائل الثقافية للأنظمة الرأسمالية، وتحولت هذه الوسائل إلى كائن وحشي يلتهم الثقافة ويبيدها ويشكلها وفق ذهنيتها بشكل لا مثيل له في التاريخ، وبدأت الثقافة الحاكمة بالهجوم على الغنى الثقافي الآخر، ويلتهم النظام الرأسمالي خلايا بنية المجتمعات كورم سرطاني، وزادت كل من الدولة التركية والعربية والفارسية من حدة الإبادة العرقية بحق الشعب الكردي تصاعداً مع تطوير الرأسمالية لهذه الوسائل، ويظنون أنه بإمكانهم متابعة السياسة الاستعمارية باستخدام التكنيك الموجود والوسائل الثقافية المتوفرة بين أيديهم، حيال تصاعد نضال ومقاومة الشعب الكردي تجاه هذه الدول القومية ويواجه الكرد خطر الإبادات الثقافية وتهديدها أكثر من أي وقت مضى في تاريخهم، فرغم تطويرهم لنضالهم السياسي والاجتماعي الحر، وحماية قيمهم الثقافية ووصولهم إلى بعد كبير في هذا المضمار، إلا أن خطر وتهديد سياسة الانحلال الثقافي مازال قائماً، فالقوى الاستعمارية لا تستخدم وسائلها في حرب الصهر الثقافي، بل يلتجئون إلى وسائل الثقافة الرأسمالية العالمية، لإبعاد الكرد عن ثقافتهم بشكل كلي والتحكم بهم.

حيال هذه السياسات تلقى مسؤولية مناهضة الانصهار الثقافي، على عاتق الشعب الكردي وقواه الديمقراطية ومنظماته المناضلة في سبيل الحرية وكافة مؤسساته وأبنائه، وتطوير ثقافتهم ولغتهم وإعلان حرب الوجود تجاه هذه السياسة، وذلك اعتماداً على الثقافة الحقيقية وتجديد الثقافة الكردية ضد النظام الاستعماري الإنكاري والتصدي لهجمات الثقافة الامبريالية، عليها أن تبدي أعظم المقاومات في الخندق الثقافي، فهذا الخندق هو حماية المجتمعات من خطر الانحلال الثقافي وإنكار الهوية ومنع اللغة.

التسلح الثقافي، هو الذي يحمي ذاته إلى آخر رمق ضد هجمات العدو، وبقدر استمرار هذا الخندق على الصمود فبإمكان الشعب أن يحيا ثقافته وهويته ولغته، ودون ذلك لا يستطيع الحفاظ على غناه الثقافي، ولن يشكل أرضية لتكوين حياة ديمقراطية حرة، ولا يمكن لأية سياسة اجتماعية أو ثقافية أن تبني تلك الحياة، فإن أردنا حماية وجودنا وتأمين مستقبلنا وسد الطريق أمام كافة المخاطر المهددة لوجودنا، علينا أن نبني خنادق الثقافة بشكل متين، فالنصر في مواجهة القوى الاستعمارية الهادفة إلى الإبادة الثقافية وكسب الغنى لإثبات وجودها استناداً على ثقافتهم، هامة للغاية.

يمكننا النجاح في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إن انتصرنا في الميدان الثقافي وحافظنا على استمراريتنا، لا يمكننا القول بأن أكراد كردستان بأجزائها الأربعة وفي المهجر أبدوا الاهتمام المطلوب في الحفاظ على وجودهم الثقافي بشكل كافي ضد الهجمات الثقافية التي تعرضوا لها، فأبناء الشعب الكردستاني القاطنين في المستوطنات وفي مدن أوربا لم يحافظوا على ثقافتهم ولغتهم، وأن جاهدوا في سبيل ذلك، فأن جهودهم ستذهب أدراج الرياح بسبب تكبلهم بسياسة الانصهار الثقافي، ويعانون مخاطر جمة.

هناك فئة من الأكراد تتكلم باللغة الكردية وهويتهم كردية، ولكن نمط حياتها وثقافتها بعيدة كل البعد عن الحقيقة الكردية، وبدوره أدى إلى ظهور مجموعة عجيبة كردية في الشكل ومغتربة عنها في الجوهر، ويتعدى هذا إلى المناطق الكردستانية ولا ينحصر في المستوطنات فقط. وكلنا على علم اليقين بوجود مقاومة حيال سياسة الصهر التي تقوم بها الدول الاستعمارية في كردستان، وأن لم تكن كافية وبالسوية المطلوبة، نتيجة عدم ايلاء الاهتمام وابداء روح المسؤولية في هذا المضمار.

توجد تقربات ومفاهيم تخلق الأرضية لتعريض الهوية واللغة الكردية لتأثير النظام التركي وثقافته ولغته ونمط حياته، وهناك مفاهيم تدل على الاغتراب عن الثقافة واللغة والهوية الكردية في كل من سوريا وايران (وإن لم تكن بالسوية الموجودة في تركيا)، والسلطات الاستعمارية تستخدم الصلاحيات وجميع الوسائل

التي بحوزتها، ولا تعطي المشروعية للممارسات، بل العكس من ذلك لابد من تصعيد النضال في ظل الحركة الديمقراطية الحرة ضد الانحلال الثقافي في شمال وجنوب وشرق كردستان، ونشير إلى أهمية هذا النضال مرة اخرى.

يجب دراسة ومعالجة الاغتراب الثقافي الذي يعيشه الكرد، ونقف في وجهها وخاصة في جنوب كردستان والمخاطر المحدقة بهم، وتوضيح أساليب النضال، ففي الجنوب تحطم الاستعمار السياسي والعسكري، وخلقت الفرصة لسد الطريق أمام الانحلال الثقافي، ولكن لدى النظر لذاك الجزء سنلاحظ حاكمية زمرة من الأغوات والبكوات والطبقة الغنية الكردية من الناحية السياسية والاقتصادية ويمكن تسميتهم بالاوليغارشية، ولا يمتلك الشعب القوة وحق الحكم في المجالات السياسية والاقتصادية، ويعيشون في فقر مدقع. فسابقاً كان يعيش خارج السياسة واليوم أيضاً هو بعيد عن دائرة السياسة، أي أن الحكومة الفيدرالية الكردية لم تعمل على خطو خطوات نحو ديمقراطية المجتمع الكردي وتقويته اقتصادياً وهو بحد ذاته موضوع جدل ونقاش.

لا يمكن القبول بالرضوخ للانحلال الثقافي من قبل شعب بقي وجهاً لوجه أمام سياسة الانصهار، في منطقة لم تعد ترضخ الاحتلال العسكري والاستعمار السياسي، وهذا يوضح عن تراجيديا عميقة في الجنوب، وينم عن اللامبالاة حيال تعاظم سياسة الاستعمار التركي والعربي والفارسي في كردستان من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولا يمكن القبول بالتراخي أمام المخاطر الكبيرة وخاصة على المستوى الثقافي وانحلالها في الحياة الاجتماعية مع مرور الزمن.

تشكّل جيل متلهف لثقافة الغرب في جنوب كردستان، وعن معرفة يحاولون خلق جيل بعيد عن الثقافة والهوية الكردية وتخديرهم بنمط حياة الغرب بدلاً من نمط الحياة الكردية، ورؤية حياة الغرب كحياة رفيعة والاغتراب عن المجتمع، وقد يكون هذا الجيل فئة معينة ولا تمثل المجتمع بأكمله، ولكن تكلف هذا الجيل بمهمة تغيير الثقافة والهوية الكردية بثقافة غريبة عن كردستان، فهم يتداولون اللغة الكردية ويعبرون بها عن أنفسهم، ولكن نمط الحياة والثقافة والعواطف بعيدة كل البعد عن الحقيقة الكردية.

عدم تجسيد الثقافة الأولى المتكونة في هذه الجغرافيا، مهد الحضارات بكل قيمها الرائعة والاستخفاف بها وتآكل قيمها الاجتماعية، إلى جانب الإعجاب بثقافة تنتهك الثقافة الكردية بمثابة، هي بمثابة مرض جرثومي يستهلك ويتطفل على القيم الاجتماعية الجوهرية، والذين يستثمرون هذه القيم ويلعبون دور العملاء والتابعين لسياسة الانحلال الثقافي ضد الكرد، يرغبون بفرض سياسة الانصهار والقبول بها بطواعية من قبل الشعب الكردي في هذه المرة، بشكل مغاير عن الأساليب السابقة التي سارت بالاحتلال العسكري والاستعمار السياسي والاقتصادي. وتفشي المفهوم الفردي والانانية بهذا المستوى في المجتمع الكردي يعني الهجوم على الثقافة الكردية الاجتماعية.

بنيت بعض المستوطنات (Gato) في جنوب كردستان، ولا تشبه المستوطنات المبنية في أوربا للفقراء والمساكين وذوي الهويات المختلفة الأخرى، بل على العكس فقد بنيت للحكام والارستقراطيين الأكراد وللاوليغارشيين المنقطعين عن المجتمع الكردي، فلا يمكننا مشاهدة انقطاع الحكام عن مجتمعاتهم بهذا القدر في العالم بالشكل الشبيه في كردستان، وحدث شرخ عاطفي وفكري عميق بين البنية السياسية الحاكمة والشعب، وتجاوزوا اغتراب زوجة ليون السادس عشر بعد الثورة الفرنسية والتي قالت لأبناء شعبها الجائعين: «كلوا الكعك بدلاً من الخبز»، ويدل عن عزلتهم من الناحية السياسية والاقتصادية الكردية وعدم معرفتهم بأحوال المجتمع الكردي، كيف يعيش وماذا يأكل وماذا يشرب؟ أنه اغتراب بسوية القول القائل «من لا يملك خبزاً فليأكل الكعك».

الاغتراب الحاصل ناتج عن اختيار وترجيح ثقافة أخرى، فقد تكون لغته كردية ولكن يقلد الغرب في الملبس والموسيقا ونمط الحياة، فسابقاً كان العرب والفرس والترك يظهرون ثقافتهم بأنها متطورة ومتقدمة ويشجعون الكل على قبول ذلك، وحينها هرع قسم من الأكراد وراء سياسة التتريك والتعريب والتفريس، أما الآن فيهرعون وراء الثقافة الاوروبية ويقلدونها، لأنهم يجدونها عصرية، وهذا بدوره يخلق أرضية لاستهلاك الثقافة الكردية.

فمن جانب تنخر الثقافة الغربية ومن جانب آخر ثقافة الأرابيسك كالسرطان في خلايا الثقافة الكردية، خاصة لدى اختيار وتجسيد أبناء الطبقة الكردية الحاكمة في جنوب كردستان الحياة الاوروبية وتقليد موديلاتها إلى جانب تشجيع الشبيبة الكرد إلى ذلك وجذبهم لذاك النمط، لا يوجد وضع مأساوي وتراجيدي وخطر بقدر هذا الوضع، لذا فهم مضطرين إلى اتباع سياسة تهجين المجتمع -وفي المقدمة فئة الشبيبة والنساء- بالثقافة الكردية، رغم وجود حقيقة قومية على أرض الواقع

يحاولون خلق جيل بعيد عن الثقافة والهوية الكردية وتخديرهم بنمط حياة الغرب بدلاً من نمط الحياة الكردية. ورؤية حياة الغرب كحياة رفيعة والاغتراب عن المجتمع

ضد الذين يتبعون سياسة الانحلال الثقافي في بحقه، ومن الواجب احياء الثقافة الكردية والابتعاد عن الثقافة الاوروبية وثقافة القومية الحاكمة والسمو بقيم الثقافة الكردية من قبل فئة الشبيبة.

أرادوا القضاء على الثقافة الكردية عن طريق سياسة الانحلال الثقافي. وقاوم الكرد حفاظاً على قيمهم الثقافية، وتشبثوا بخندق الثقافة اعتماداً على جوانبهم الثقافية القوية، وأن تلقوا الخسائر في الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية، وهذه المقاومة شكلت أرضية للنضال التحرري للشعب الكردي في كافة الأجزاء الكردستانية، ولولا تلك المقاومة لما كان بمقدور الكرد ابداء نضالاً تحررياً ديمقراطياً في كافة الأجزاء الكردستانية، فلا نستطيع الاستخفاف بالحقيقة الثقافية الموجودة وأن طبعت بجانب المأساة والتراجيديا، ولا نقبل الاستخفاف بها أو اتباع سياسة ثقافية تنتهك وتميع الحياة الثقافية الكردية، وحتى أنها تعتبر خيانة بحق تاريخ المجتمع الكردي.

لدى النظر إلى المفهوم والتقرب الثقافي في جنوب كردستان وخاصة مع تصاعد مفهوم الشبيبة الثقافي المصبوغ بالثقافة الخارجية، سنتأكد من وقوف الثقافة الكردية أمام الانحلال وجهاً لوجه، وتولد فينا الشكوك والمخاوف، فهناك قلق من تمكن القوى الامبريالية والأنظمة الدولتية من النيل من الثقافة الكردية في الجنوب، رغم فشلها سابقاً في فرض الانصهار عليها، فالقوى الامبريالية التي فشلت في امحاء القومية الكردية، تسعى إلى القضاء على الثقافة الكردية، بعد انزياح الاستعمار العسكري والسياسي بنسبة مهمة في جنوب كردستان. ويريدون قتل الكرد بالكرد.

فالأغاني المؤلفة باللغة الكردية بعيدة كل البعد عن الموسيقا والروح الكردية، وبها يريدون قتل القيم الكردية الجميلة، فالجانب الثقافي لدى الكرد هو الأقوى لديهم ويمتد بجذوره إلى التاريخ، وتمكنوا من الحفاظ على وجودهم من خلال ثقافتهم الكومينالية الديمقراطية أمام جميع الضغوطات والهجمات، واكسبتهم القوة للحفاظ على وجودهم ومجتمعيتهم، وولدت لديهم فكرة وجودهم الاجتماعي وحمايته فبالرغم من كافة الهجمات على الكرد، إلا أنهم حافظوا على وجودهم بحماية ثقافتهم، وأن عدم رؤية الانحلال الثقافي ناتج من عدم المعرفة والإدراك، لذا يستوجب الخلاص من تسريب الثقافات الأخرى الغربية عن الثقافة الكردية إلى المجتمع واعاقة الهجمات على الثقافة الكردية.

لا يمكن القبول بالهجمات المتصاعدة على الثقافة الكردية في جنوب كردستان، وكذلك التهجم على القيم الكومينالية الديمقراطية، ولا يمكن القبول باستخدام اللغة الكردية ضد الكردية، وعلينا مواجهة هذه المفاهيم بكل قوتنا، وعلينا رفض تسريب الثقافة الغربية إلى جنوب كردستان والشرق الأوسط، وعدم السماح بالقضاء على الثقافة الكردية واستهلاكها ولعب دور العمالة والتبعية الثقافية فيها، ويشغل هذا الموضوع قائمة المواضيع الهامة والمتوجب التوقف عليها بشكل سريع، ويجب التصدي للانحلال واستعادة الثقافة الجوهرية التابعة للشعب الكردي والنابعة من جوهره الثقافي الديمقراطي الاجتماعي. تقع مسؤولية التصدي لهذه الهجمات الثقافية على عاتق المثقفين والشبيبة الكرد، بالقيام بحملة كبيرة ضد هذه الهجمات وتوضيح حقيقتها المناهضة للثقافة الكردية، فلنتخلى عن النظر لها بأنها رفيعة ومتطورة، بل يجب النظر لها أنها السبب في تراجع الحياة الاجتماعية الكردية، فمثلما خلقت هذه الثقافة حياة بعيدة عن الحياة الكردية، فالمجسدين لهذه الثقافة بعيدون كل البعد عن القيم الاجتماعية والكردية الإنسانية.

على الكرد معرفة الجوانب القوية لديهم وتطويرها بشكل أكبر، فالأرضية الثقافية للكرد هي من أقوى الجوانب لديهم، كما أن ظاهرة الثقافة هي من أكبر الظواهر التي تعرف الرفعة إلى جانب الظواهر الأخرى. لذا فعلى الكرد أن يكونوا مثالاً يحتذى به لمجتمع ديمقراطي حر في الشرق الأوسط بالاعتماد على ثقافتهم، فهي تمتلك الثقافة الكومينالية الديمقراطية في نواة ثقافتها، وتشكل قوة ديناميكية لحماية الإنسانية من براثن الفردية التي تنهش بها. تتفشى الرأسمالية الفردية كالسرطان بين صفوف المجتمع للقضاء عليها، وهذا يُكسِب الثقافة الكردية المعنى القوي والقيمة الكبيرة، فهي تحمل قيمة للإنسانية. وترويج الثقافة الغربية ومناهضة القيم الكومينالية الديمقراطية بالفردية في المجتمع الكردستاني هو عمل عدواني تشبه عدوانية الرأسمالية السرطانية في المجتمع.

هناك الآلاف من الذين انقطعوا عن قيمهم وهويتهم وثقافتهم في كردستان في يومنا، ويزدادون يوما عن يوم، قد يكون عددهم قليلا بالنسبة إلى نسمة المجتمع بشكل

عام، ولكنهم يجبرون فئة الشبيبة (شباب وشابات) على تقليد موديلاتهم، لأنهم يعتبرون أنفسهم نموذجاً متطوراً وعصرياً في المجتمع الكردي، ويحتقرون ويستخفون بالذين لا يصبحون مثلهم، ويعتبرون أنفسهم مبدعي أعمال جميلة ذات اعتبار في المجتمع، لقد انقلبت القيم النبيلة في جنوب كردستان، فانحطت القيم المستوجب السمو بها، ورفعت من مكانة القيم المستوجب رفضها، وتقدمت البعض منها للأمام في حين يتوجب أن تتقدم القيم الأخرى إلى الأمام، وإن لم يتم تصحيح هذا الوضع فلا يمكن حماية الكيان الكردي ليس في الجنوب فحسب، بل في كافة الأجزاء الكردستانية الأخرى أيضاً. لا يمكن للشعب أن يتصدى لأية هجمات خارجية عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، إن لم يحيا المجتمع بثقافته وهويته ويبني حياة حرة وديمقراطية وفق هذه الأسس، والمجتمع الذي انفصل عن قيمه الثقافية محكوم بالخضوع لحاكمية قوى أخرى في النهاية، أن تفشي الميوعة والانحلال الثقافي في جنوب كردستان خطير للغاية، وخاصة لو فكرنا في منطقة مثل منطقة الشرق الأوسط التي تحكمها السلطة القومية الشوفينية وتمارس الضغط والظلم على الشعب الكردي بشكل مستمر.

ينبغي أن يتحول جنوب كردستان إلى أرض لتوسيع الثقافة الكردية وحمايتها والتصدي لكافة الهجمات التي تستهدف ابادتها ومركز للنضال ضد الانحلال الثقافي، كذلك ينبغي النضال ضد تغريب الثقافة الكردية وتمييعها وسد كافة الثغرات المعرضة للهجوم وحماية وتجديد خصوصيات الثقافة الكردية الجوهرية، ينبغي تسخير كافة الإمكانيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبناء مراكز ومؤسسات قائمة على خدمة ترفيع الثقافة الكردية وتعظيمها، لنترك تشجيع الثقافة الغربية والفن الآرابيسك وقيمها جانباً. ولنعطي القيمة والأهمية لكافة الفنانين والمثقفين والكتاب الذين يمثلون الثقافة الكردية مقابل هذه الثقافات.

ليس من المهم أن تؤلف الموسيقا باللغة الكردية، بل من الخطورة أن تمثل ثقافة أخرى بهذه اللغة، من الأهمية استخدام الثقافة الكردية ككل متكامل، فلا يمكن القبول بأولئك الذين يستخدمون اللغة الكردية للتغني بالآرابيسك وفكرة ترفيعهم إلى مثابة مفكرين وعلماء المجتمع وتسخير الإمكانات السياسية والاقتصادية في خدمتهم، فلو كان الاقتصاديون والسياسيون ذوي كرامة ويحملون قيم ثقافية عالية عليهم مناهضة فن الآرابيسك وأولئك الفنانون المقلدون للثقافة الغربية والمشجعون للشبيبة الولهانة بالثقافة التركية والفارسية على حساب الاغتراب عن ثقافتهم، وسنعلنهم في حال عدم قيامهم بذلك شركاء لمتبعي سياسة الانحلال الثقافي، وكذلك عملاء ومتواطئين معهم، ولكن إن لم يرغبوا في أن يكونوا عملاء وتابعين لمتبعي سياسة الانحلال الثقافي عليهم وفي الحال التصدي للفنانين الذين يعكسون هجمات الثقافة الغربية وثقافة الدول الاستعمارية القومية ويؤيدون مفاهيمهم الفنية، لا يكفي مناهضتها فقط، بل يجب تأييد الفنانين والفن الذي يحاول احياء الثقافة الكردية وتشكيلها من جديد بنهج ديمقراطي حر.

بالطبع لن تحيا الثقافة الكردية بحماية جوهرها الأصلي فحسب، بل يجب تجديدها وإغنائها في المجتمع الكردي بشكل أكبر، وبناء على هذا الأساس لا يمكنها التصدي لثقافة الغرب في حال عدم ابداعها لنتاجات ثقافية جديدة، ينبغي الاعتماد على جوهر الثقافة الكردية، ولكن من الضروري خلق آثار فنية عظمية لتطوير المستوى الاجتماعي ورفعها، إلى جانب ذلك، الفن يعني الانبعاث، وكذلك تغذيتها بجوهر الثقافة الأصيلة واكسابها غنى أكبر، بقدر ما تخلق الثقافة الكومينالية الديمقراطية الجديد وتنتجها، بإمكانها أن تضعف من تأثير الثقافات الأخرى وتواكب العصر والتحديث، ولكن العصرنة لا تعني تشويق وتشجيع الفردية والقيم الغربية، وكذلك ليس النظر إلى الكردي كإنسان رجعي وليست تلك القيم الثقافية التي خلقها العرب والترك والفرس. فالعصرنة تعني احياء الميراث الثقافي للمجتمع البدائي الكومينالي الديمقراطي الحر للإنسانية. واحياء قيمها الحياتية الأولى المبنية على أسس حماية الحياة الإنسانية، وكذلك احياء النضال الثقافي الديمقراطي الكردي الحر الذي يمارسه الشعب الكردي منذ عشرات السنين، عندما نذكر النهضة الكردية يجب خلق ثقافة كردية قائمة على تجديدها وتحديثها وتجسيد الحياة الديمقراطية الحرة وتحقيق الحياة الحرة والديمقراطية للشعب الكردي، لا يمكن تحقيق ذلك بما يتم ترفيعه من الانتاجات الثقافية في جنوب كردستان اليوم، فالفنانون الموجودون في الجنوب بالأغلب منقطعون عن حقيقتهم ويتلاعبون بعواطف المجتمع وتوسيع الفردية وتعميقها، ولا تساهم في خلق حياة ديمقراطية حرة، بل استبعاد الناس عن جيرانهم وقريتهم وأحيائهم ومجتمعهم.

الثقافة التي تحاول التحكم في شكل الحياة في جنوب كردستان وفي حالة هجوم على الثقافة الكردية، تهاجم المرأة بطبيعة الحال التي طورت المجتمعية، فالمرأة أكثر من أن تكون خالقة للإنسانية والمجتمعية فهم يستغلونها كسلعة جنسية، وبهذا هم في حالة

تصاعد انحطاط المرأة في كردستان، لا يستهدف هذا الهجوم المرأة الكردية التي تحمل الثقافة الديمقراطية العادلة والمساواة ورؤيتها كسلعة جنسية فحسب، بل يستهدف المجتمع بأكمله، ويحاولون نشر نتاجات الثقافة الرأسمالية الغربية وثقافة الآرابيسك في تركيا عن طريق الفنانين الذين يسمون أنفسهم بفنانين كرد والمُساقين من قبل عملاء الابادة العرقية في المجتمع الكردي.

وصل هذا الوضع إلى حد عدم الحاجة إلى دخول عملاء الثقافة ومتبعي سياسة الانحلال الثقافي إلى كردستان، فما يصبو إليه هؤلاء وعملائهم ينفذها أولئك الذين يدعون الكردية بكل طواعية، وحتى السياسيين والاقتصاديين يؤيدونهم، إن الثقافة التي خلقوها هؤلاء هي لإضفاء المشروعية على نهج حياة أولئك السياسيين والاقتصاديين ويظهرونها حياة طبيعية في المجتمع الكردي، حتى يمكننا القول بأن هناك اتفاق مابين هؤلاء السياسيين والاقتصاديين ومتبعي سياسة الانحلال الثقافي، وهناك عمالة متبادلة فيما بينهم، والواحد يواصلٍ الآخر، لا يمكن للمجتمع الكردي الذي بقي وجهاً لوجه أمام الانحلال الثقافي القبول بذلك. فقد قدم تضحيات غالية الثمن في هذا الخصوص منذ عشرات السنين، وقدم الشعب الكردي في جنوب كردستان الآلاف من الشهداء ضد النظام العراقي الاستعماري الظالمٍ والانحرافات والميوعة الثقافية والقيم الغربية حفاظاً على ثقافته وحماية وجوده وإحياء قوميته. واليوم يستخف بالثقافة الكردية ويرفع من شأن الثقافة الغربية وثقافة الآرابيسك تضاداً مع أحلام وأهداف الشهداء تماماً.

لم يكن النضال الموجود منذ عشرات الأعوام في كردستان لأجل السياسيين والاقتصاديين القائلين «اضرب فلينفلق، واعزف ليرقص في الحياة»، أن هذه الجغرافيا بقيمها الموجودة ليست عائدة للسياسيين والاقتصاديين، بل عائد للشعب الذي قاوم بثقافته وضحى بروحه في تلك الحروب، وبالتالي يجب ابداء الاحترام والتقدير لقيم هذا الشعب.

لا أحد يقدم كل هذه الامكانات والتضحيات في كردستان لإحياء الثقافة الغربية وقيم القومية الاستعمارية. إن تجسيد قيم الغرب بكل طواعية في كردستان والتبعية له بهذه الطواعية وإحياء ممثليها في كردستان هو تعبير عن الوقوف ضد مقاومة ونضال وميراث شهداء الشعب الكردي.

إن الاستعمار العربي والفارسي والتركي المنحدرين من جذور الشرق الأوسط يظلمون الكرد، ولكن هذا لا يعني بأن الشعب الكردي ليس بشعب شرق أوسطي ولا يحمل ويجسد قيمها، بالعكس فإن الكرد لا يشكل قيم للإنسانية فحسب، بل يشكل القيم الأم لثقافة الشرق الأوسط أيضاً، في الحقيقة أن ثقافة موزوبوتاميا العليا أثرت على كافة الثقافات الأخرى، مثلما ذكر قائد الشعب الكردي «عبدالله اوجلان» تأتي الثقافة الآرية قبل الثقافة السامية، وأثبت بأن الحضارة السومرية والمصرية متأثرة بثقافة موزبوتاميا العليا تاريخياً. في الأساس أن تكوين الإنسانية والمجتمعية في الشرق الأوسط عائد لهذه الجغرافيا وتمتد إلى جذور المجتمع الكردي، وأن استطاع الكرد حماية خصوصياتهم – في هذه الناحية- واعتمدوا على الأسس التاريخية لها، فبإمكانهم أن يكونوا أصحابٍ دور أكثر فعالية في المستقبل، وبهذا سيضيفون قيماً أخرى إلى قيم الإنسانية والشرق الأوسطية أيضاً.

بإمكان الجميع أن يكونوا مقلدين والحصول على بعض المكتسبات من خلال تجسيدهم لثقافات أخرى في العالم، ولكن الكرد لن يحصل على شيء، ويمتلك الجانب الأقوى من القّيم كونه صاحب أول ثقافة انسانية، وصاحب لأول ثقافة خاصة به، فالكرد هم الممثلين للثقافة الخاصة في الشرق الأوسط، وليس العرب والترك والفارس، بالطبع لا ننكر بأن الشعب العربي والفارسي أصحاب أدوار هامةٍ في تكوين ثقافة الشرق الأوسط، وللشعب التركي أيضاً دور في اضافة القيم الثقافية إلى قيم ثقافة الشرق الأوسط، لكن الكرد أصحاب دور فعال وهام لذا عليهم الوثوق بأنفسهم. لنضع التأثر بالثقافات الأخرى وتقليدها والتشبه بها جانباً، وعلى العكس عليهم أن يبتعدوا عنها ليتعرفوا على حقيقتهم والوصول إلى جوهرهم الكوني ليزيدوا الإنسانية قيم أعظم.

جعلتنا كل من الدول العربية والفارسية والتركية نستخف ونستصغر مجتمعنا. وحاولوا دوماً خداعنا بهذه النظرة وكذلك زرعت اوروبا الغربية في ذهنية المجتمع الشرق الأوسطي مثل هذا الاستخفاف والاستصغار، وهو تفكير خاطئ جداً وعلينا رفضه بكل تأكيد، ورفض كل ما كلفت به كل من الدول القومية العربية والفارسية والتركية من قبل الغربيون في الشرق الأوسط، ويتوجب علينا خلق حياة ديمقراطية حرة في الشرق الأوسط وتطويرها دون أن نتكابر على الشعوب الأخرى أو ننحاز إلى المفاهيم الشوفينية والقومية. ولكي نرى عظمة قيمنا والقيم الموجودة في حياتنا الاجتماعية بشكل صحيح، وهذه هي العظمة بعينها، ولا تكمن العظمة في تقليد وتجسيد والعمالة والتبعية

لثقافة أخرى، فلإبداء الاحترام واكساب الغنى للثقافات الأخرى، في البداية علينا أن نحب ونجسد ونحيا قيمنا ونوحدها مع طرح الثقافات الأخرى لتصبح أكثر غنى. إننا نحترم الثقافات الأخرى في العالم، ولكي تكون صاحبة معاني أكبر، علينا أن نحمي ثقافتنا ونطورها، في الحقيقة بقي الشعب الكردي وجهاً لوجه في بوتقة الانحلال والانصهار الثقافي دائماً لذا ينبغي التقرب بكل حساسية من القيم الثقافية.

قد نتحمل الخسارة في الميدان السياسي والاقتصادي ولكن لن نتحمل خطورة الانحلال الثقافي. لأن التراجع الثقافي وانحلالها قضية الوجود واللاوجود في الشرق الأوسط. إن هذا النضال في الأصل هو نضال ضد الهجمات التي تشن ضد ثقافته وهويته ولغته، فلا يليق بالكردية ما آل إليه جنوب كردستان، رغم ضعف حكم الاستعمار السياسي والعسكري فيها ووجود امكاناتهم للتنظيم الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي بأنفسهم، لذا يجب التحقيق في الميوعة والتبعية المتسربة إلى الثقافة بكل تأكيد، وينبغي خلق سياسة ثقافية جديدة بعد التحقيق في ذلك.

فلو لم يتم ذلك ستكون النتائج على الشكل التالي : ستتقدم المقاومة الدوغمائية الاسلامية حيال هجمات الثقافة الغربية وميوعتها، فكما تقوقع وانكمش مجتمع الشرق الأوسط أمام الهجمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وانغلق أمام كافة التطورات العالمية، فسيحدث مثيلها في كردستان أيضاً، وستضع نتائج التبعية والانحلال الثقافي المجتمع في مواجهة سلبيات كبيرة، علماً بأن سبب تأثير الإسلام السياسي هو تحويل السياسيين والاقتصاديين الموجودين في المجتمع الكردي إلى آلة في يد متبعي سياسة الانحلال الثقافي واغتراب المجتمع الشرق الأوسطي رويداً وتهيئة الأرضية للممارساتهم، لو لم يتم تحرير هؤلاء السياسيين والاقتصاديين من ذلك، فإنهم سيتراجعون أمام دعم دول المنطقة للقوى الإسلامية السياسية، نحن كقوى كردية ديمقراطية وقوة نضالية تحررية ديمقراطية وككتّاب ومثقفين، علينا أن نتصدى لهذين المفهومين السلبيّين، والتصدي ضد التبعية الثقافية الغربية ومحاولات القوى الاستعمارية القومية نشر وتوسيع ثقافتها في المجتمع الكردستاني.

من جانب آخر، إن مواجهة القوى اللاديمقراطية والمستثمرين للقيم الاسلامية في المجتمع الكردي والشرق الأوسطي والتصدي للذين يصبحون آلة للفكر والمفاهيم غير الديمقراطية، تعني الحفاظ واحياء الثقافة الكردية بكل معانيها، ومستثمري الدين في خدمة السياسة ضد الحياة الكومينالية الاجتماعية الديمقراطية للشعوب يعيقونها لمواجهة الهجمات الخارجية التي يتعرضون لها. بالطبع نحن نحترم الثقافة الاسلامية، ونؤمن بأن قيم الثقافة الاسلامية هي قيم للمجتمع الكردستاني في نفس الوقت، ونؤمن بأنها ستكون صاحبة دور ايجابي في الحياة السياسية والثقافية للمجتمع الكردي، ولكننا نناهض استغلال الإسلام في خدمة السياسة، فجعل الإسلام كآلة في خدمة السياسة هو القضاء على الجوانب الجميلة والغنية لشعوب الشرق الأوسط والقضاء على الديناميكيات الموجودة في المجتمع وتحويلها إلى قوالب دوغمائية وإضعاف قوة المجتمع في مواجهة الهجمات الخارجية، نصف الذين يسعون إلى خدمة مصالح فئة حاكمة باستعمارية معتقدات الشعوب ووضعها ضمن قوالب دوغمائية لتسير حكمهم بالمتاجرة بالسياسة، ونسمي أولئك الذين يستثمرون قسم من الثقافة الكردية والشرق الأوسطية، بمعيقي تطور ثقافة الشرق الأوسط، وبهذا تضعف الثقافة الكردية والشرق الأوسطية في مواجهة الثقافة الغربية الاستعمارية وتقضي على ديناميكياتها، فهم يأخذون أماكنهم في جبهة المهاجمين على الثقافة الكردية.

على ضوء هذه الحقائق، على كافة المثقفين والكتّاب والفنانين في الجنوب أن يناهضوا سياسة الانحلال الثقافي والمفهوم الدوغمائي ويحيوا التراث الثقافي الكردي ويناهضوا سياسة الانحلال الثقافي الغربي بشكل جدي، فالذين لا يناهضونهم لا يستطيعون مناهضة القوى الدوغمائية القالبية والمُحافِظة، يمكن للذين يحاربون ويتصدون للتبعية والانحلال الثقافي الغربي أن يقفوا ضد الذين يفرضون الرجعية الثقافية والقوالب على المجتمع، ننادي القوى السياسية والاقتصادية الداعمة للانحلال الثقافي والتبعية الغربية بالتراجع عن ممارساتهم، وكذلك ننادي كل المثقفين والكتّاب والديمقراطيين والإعلاميين بالوقوف ضد كافة الهجمات التي تستهدف انحلال الثقافة الكردية والتصدي للفردية وحماية قيم المجتمع الكردي الكومينالي الديمقراطي. ونأمل منهم اتباع سياسة ثقافية قائمة على حماية القيم الاجتماعية الثقافية الديمقراطية وتحويلها إلى شكل الحياة الاجتماعية وتعظيم قيمها بشكل أكبر.

حلقات من دروس القاها السيد جميل بايك الرئيس المشترك لمنظومة المجتمع الكردستاني KCK في اكاديمية PKK للتدريب الايديولوجي.

تاريخ حركة الحرية الكردستانية بطليعة حزب العمال الكردستاني

الحلقة ١٨

انتهت تحضيرات المؤتمر وبدأنا بالتجمع لعقد المؤتمر في ساحة الوطن. ولعقد هذا المؤتمر اقترح القائد تشكيل لجنة تحضيرية، وذكر أسماء بعض الرفاق للانضمام إلى هذه اللجنة وكان من بين الأسماء التي اقترح القائد انضمامها كل من شمدين صاكك ومحمد شنر. بالتأكيد ابديت موقفي من أن انضمام هذين الشخصين لأنهما لا يصلحان للقيام بهذه المهمة، فوضع كلا الشخصين كان بادياً للعيان. عندما شكلت اللجنة التحضيرية للمؤتمر وانضم كل من شنر وشمدين صاكك إليها، اعترضت على ذلك لأن محمد شنر كان يتلاعب بالمؤتمر وكان من رجال الدولة. فإن كانت الدولة تقوم بالتحضيرات من أجل المؤتمر فأنها تستخدم في ذلك محمد شنر فكيف يمكن وضعه ضمن اللجنة التحضيرية، وبالنسبة إلى وضع شمدين صاكك فكانت له ممارسات عملية يجب محاسبته عليها لهذا السبب لم أقبل ورفضت أن يكون ضمن اللجنة التحضيرية. انتقد القائد تقربي بهذا الصدد، وقال: «بتقربك هذا لا يمكن الكشف عن تقربهم ومواقفهم بشكل سليم وواضح. وقال: «يجب أن تنكشف حقيقتهم وأن كانت الدولة تقوم ببعض التحضيرات عن طريق محمد شنر فمن الواجب علينا أن نفسح له المجال كي نكشف عن تلك التحضيرات وهذا هو التقرب الصائب والصحيح. أي إن لم نقم بإتاحة الفرصة له ربما لن نتمكن من كشف تلك التحضيرات والمساعي التي يسعون إلى تحقيقها». بعدها قبلت باقتراح القائد في انضمام محمد شنر إلى اللجنة التحضيرية. ولكن يجب أن لا نقع في الخطأ وهو الاعتقاد بأن كل الذين دخلوا أو أصبحوا أعضاء ضمن إدارة هذه الحركة هم أشخاص جيدون ومثاليون وأن الذين لم ينضموا إلى الإدارة ليسوا كذلك. بالطبع يتم اختيار الرفاق المثاليين لإدارة هذه الحركة إلى جانب انضمام آخرين ربما لا يليقون بالانضمام إلى الإدارة، فتظهر تحليلات خاطئة وكذلك تقربات مبنية على أسس الصداقة. فكان للقائد أسلوب وأمور يتبعها على الدوام فإن كان يشك بوضع شخص ما ومن أجل أن تتضح شكوكه

وتظهر حقيقة هذا الشخص كان يعطيه مكاناً ضمن الإدارة كي تظهر حقيقته. هذه كانت أحدى الطرق والأساليب لإظهار حقيقة الشخص، وبالمقابل أيضاً لو لاحظ وجود إمكانية التطور لدى أحد الرفاق ومن أجل أن يتقدم هذا الرفيق ويتطور كان يضمه إلى الإدارة مثلاً، كان هناك بعض الرفاق لم تتضح ماهية خبراتهم فكان يقوم بضمهم إلى الإدارة كي تظهر حقيقتهم، وما هي خبراتهم وسوية اكتسابه. كان القائد يقوم بإتباع هذه الطرق والأساليب على الدوام تقريباً. بالطبع كانت للقائد الخبرة في هذا المجال وكان متحكماً من الناحية الايديولوجية وقدرة الحركة، كان يقوم بتوحيد القوة الايديولوجية مع قوة الحركة وبهذا الشكل لم يكن بمقدور أحد خلق العراقيل والوقوف ضده. عندما زار يالجين كوجوك القائد قال له: «الآن أدرك أين تكمن قوتك. إنك تقوم باستخدام القوة الايديولوجية وقوة الحركة بإحكام وتقوم بتوحيدهما مع بعضهما البعض». رد عليه القائد بأنه: «محق».

عند التحرك من أجل الذهاب الى المؤتمر جاء محمد شنر وقال أن هناك رفاق آخرين وانقضت فترة وهم ضمن الفعاليات وهم رفاق جيدون، ومن الصواب أن ينضموا إلى المؤتمر. فهؤلاء الأشخاص الذين حددهم محمد شنر كانوا جميعاً على علاقة مع المخابرات السورية التي تسعى إلى تطوير مخطط ضد القائد آبو. كنا ننوي أن نقوم بسحب كل هؤلاء الأشخاص إلى الوطن، لهذا السبب قبلت وطلبت منه أن يأتوا للذهاب. عند وصولنا إلى حفتانين ووصول هؤلاء الأشخاص إلى تلك المنطقة قمت بتوزيعهم مباشرة أي قمت بإرسال كل واحد منهم إلى منطقة. لأن أحدى مخططات محمد شنر كانت انضمام هؤلاء الأشخاص إلى المؤتمر كي يتمكن من التأثير على المؤتمر عن طريقهم ويصل إلى هدفه. عند قيامي بتوزيعهم على الساحات اعترض محمد شنر على ذلك بشدة. فأجبته من الضروري على هؤلاء الرفاق الاختلاط بالرفاق لأن هذا سيكون مفيداً لهم كونهم قادمين للتو من ساحة القيادة، وثانياً أنت لا تملك تلك الصلاحية التي تجعلك تحدد أعضاء المؤتمر لأن أعضاء المؤتمر تم تحديدهم. بعد هذا لم يتفوه بكلمة واحدة. انتقد القائد الإدارة التي كانت مسؤولة من الناحية العملية والتطبيق أي الإدارة العملية. وعند مجيئنا تم فتح تحقيق معهم حول ممارساتهم وهم كل من بوطان ـ أبو بكر ـ سرحد. كنا نود البدء بالمؤتمر بعد الانتهاء من التحقيق الجاري مع هؤلاء. لأنه أن تم البدء بالمؤتمر من دون التوصل إلى نتيجة من تلك التحقيقات لا يمكن أن يكون لهذا المؤتمر أي معنى. كان يجب ايضاح ممارساتهم العملية بشكل كامل كي نتمكن من الوصول إلى النتيجة في المؤتمر. ففي الفترة التي كانت فيها التحقيقات جارية يقوم محمد شنر بتحريض هؤلاء الأشخاص الذين تم فتح تحقيق بحقهم من خلال مخاطبتهم ببعض الجمل كـ «أن كافة تحليلات القائد التي أجراها بحقكم وكل الانتقادات التي وجهها لكم ليست صحيحة وأن فتح هذا التحقيق بحقكم ليس بالشيء الصائب والصحيح بل أنها تعتبر إهانة لكم بعد قيامكم بهذا القدر من العمل، فهذه الأعمال كان سيقوم بها أي شخص آخر في مكانكم، ولم يكن بمقدورهم انجازه أفضل من هذا الذي انجزتموه. فأنتم لا تستحقون هذا التحقيق». بالطبع كان ذو تأثير على الرفاق وأراد تحريضهم لأنه أن نجح في كسب هؤلاء الأشخاص إلى جانبه بإمكانه الوصول بسهولة إلى النتيجة التي يسعى إلى تحقيقها في هذا المؤتمر. كان له أخ آخر أسميته (فينو) كان قد وضعه في طاقم الحماية لدي وكلفه بمراقبتي كي يقوم بإعطاء كافة المعلومات عني وكي يعرف هل لاحظتُ الأعمال وأفهم ما يقوم بها من أمور كي يتمكن من اتخاذ التدابير اللازمة حيال ذلك ويتجنب الوقوع في وضع خطر. فقد كان يعمل بكل قوته لتحقيق الوصول إلى النتيجة في المؤتمر. وصل الوضع إلى مرحلة لا يمكن تحملها طلبت من محمد شنر أن يقوم بنقل هذا الشخص. عندما كان محمد شنر يأتي إلي يقول عن الرفاق الذين فتح تحقيق بحقهم أنهم قتلة ولا يمكن لهم أن يكونوا ملكاً للحركة ويجب علينا أن نقوم بمحاكمتهم وحتى تنفيذ حكم الإعدام بحقهم، وإلغاء كافة التحضيرات التي قام بها هؤلاء الرفاق. فبهذا الشكل كان يريد تحريضي أيضاً.

تم الانتهاء من تلك التحقيقات وعلى إثرها تم البدء بعقد المؤتمر الرابع في منطقة حفتانين. تزامنت مرحلة عقد المؤتمر مع مرحلة حرب الخليج ولم يكن واضحاً

متى ستقوم الولايات المتحدة الامريكية بالتدخل في المنطقة فهذه المداخلة كانت متوقعة خلال أيام قصيرة، في وضع كهذا عقدنا المؤتمر. بالطبع ذكر القائد في تحليلاته وكذلك شفهيا عند مجيئنا بأنه يتوجب عقد المؤتمر لأن الولايات المتحدة الامريكية ربما تقوم بالمداخلة والتي على إثرها سيخلق وضع جديد في المنطقة وأنه من الواجب علينا اتخاذ التدابير اللازمة في حال تطور وضع بهذا الشكل كي نتمكن من خطو بعض الخطوات في الجنوب أيضاً. إن تلك المداخلة سوف تخلق فرصة كبيرة يجب الاستفادة منها من أجل خدمة الحركة في كلا الجزئين في الشمال وفي الجنوب، يمكننا أن نكثف النضال في الشمال أكثر ونطور نضالنا في الجنوب. ففي تلك الفترة لم تبقى أية حركة على جغرافية كردستان سوى حركتنا. في عام ١٩٨٨ كان كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني قد تركا جنوب كردستان إثر الاتفاق الحاصل بين كل من العراق وايران، عندما تم عقد هذا الاتفاق قامت الحكومة العراقية بالضغط على هذين الحزبين لأنهم كانوا قد استغلوا هذا الفراغ أي أنهم كانوا يبقون في الجنوب بمساعدة من الجمهورية الايرانية ولكن عندما أبرم الاتفاق بين العراق والجمهورية الايرانية قامت هذه الاحزاب مباشرة بترك أراضي الجنوب، يمكن القول أنه وفي تلك الفترة لم يبقَ لديهم أي شخص في الجنوب فحتى نهاية عام التسعين لم يكن هناك حركة تناضل على أرض كردستان غير حركتنا. كذلك الأمر بالنسبة للأحزاب التي كانت موجودة في شرق كردستان فهي الأخرى كانت قد أتت إلى العراق وتخلت عن الحرب. فالحركة الابوجية كانت الحركة الوحيدة التي بقيت صامدة وتناضل من كافة النواحي بما فيها الناحية السياسية والعسكرية أيضاً من أجل الأجزاء الأربعة من كردستان والكرد خارج الوطن أيضاً. لهذا السبب كسبت الحركة الابوجية مكانة كبيرة لدى الشعب الكردي في الأجزاء الأربعة من كردستان، فالجميع كانوا يرون فقط هذه الحركة ويؤمنون بها. كان القائد يقول عندما تقوم الولايات المتحدة الامريكية بمداخلة على العراق ستساهم في خلق فراغ في جنوب كردستان وتخلق في نفس الوقت فرصة كبيرة وتاريخية فمن الواجب الاستفادة من هذا الفراغ وهذه الفرصة بشكل يخدم الجزأين الشمالي والجنوبي من كردستان. فلم يكن هناك أحد في الساحة غير حركتنا، لهذا السبب كان يجب عقد المؤتمر واتخاذ كل هذه القرارات وكذلك اتخاذ التدابير اللازمة.

كنا مشغولين بوضع محمد شنر من ناحية، ومن الناحية الأخرى كانت الإدارة التي فتح بحقها التحقيق تخلق بعض العوائق والعراقيل أمامنا. إلى جانب عدم الانتهاء من تحضيرات المؤتمر التي سعينا إلى تحضيرها من المكان الذي كنا ننوي عقد المؤتمر فيه إلى تأمين المؤن اللازمة وهذه التحضيرات استغرقت فترة من الزمن بالتأكيد. وعندما بدأ الاجتماع من أجل عقد المؤتمر سعينا لإنهائه قبل أن تبدأ الحرب لندخل الحرب بتحضيرات جيدة. إذا بدأت الحرب ولم ننهِ المؤتمر بعد عندها لا يمكننا اكمال المؤتمر أيضاً. وهذا سيشكل خطراً علينا، فلم نكن نعلم بماهية المداخلة التي ستقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية. فقد كنا نعلم أنها ستقوم بالتدخل في المنطقة وستساهم في ظهور بعض النتائج وسنتمكن من الاستفادة منها فقط إذا كنا مستعدين. لهذا السبب كان من الواجب علينا عقد المؤتمر في وقته واتخاذ القرارات الواجبة اتخاذها كي نقوم بتنظيم أنفسنا استناداً إلى تلك القرارات المأخوذة، لنتمكن من إلقاء الخطوات المناسبة في الممارسة العملية في وضع كهذا.

كانت المهمة الأولى والأساسية لهذا المؤتمر هي القضاء على المفهوم الليبرالي والإقطاعي التآمري

وتصفيته. لأن كلا المفهومين ساهما في تقوية مفهوم التصفوية التي ساهمت هي بدورها في تقوية المفهوم الليبرالي ضمن الكريلا والحركة أيضاً، فمن دون الحد من تطور هذا المفهوم الليبرالي والإقطاعي التآمري لا يمكن أن تكسب القرارات التي يتخذها هذا المؤتمر أية أهمية مهما كانت أهمية تلك القرارات. لهذا السبب كانت تحوز على أهمية بالغة. كنا قد قمنا بفتح تحقيق بحق الإدارة العملية. لأنها تضم المفهوم الليبرالي وكذلك المفهوم التصفوي، فقسم منهم كانوا يمثلون النهج الليبرالي والقسم الآخر النهج التصفوي، ويقومون بمساندة وتقوية بعضهم البعض. كما كانوا قد قاموا بتقوية التصفوية في الخارج حتى أنه وأثر هذا التقرب لم يكن بمقدورنا دخول بعض المناطق كمنطقة بوطان وغيرها.

بالطبع كان ثمة وضع سياسي جديد يتطور في المؤتمر الرابع، ومداخلة الولايات المتحدة الأمريكية ساهمت في تقوية هذا الوضع أكثر. لذلك كان يجب تطوير بعض التدابير واتخاذ القرارات الهامة والتي تمحورت حول تقوية الكريلا من حيث العدد والعتاد وتطوير السرهلدانات الحاشدة، وكي نتمكن من تقوية السرهلدانات عن طريق الكريلا والكريلا عن طريق السرهدانات، ليكملا بعضهما البعض، فالتطور الحاصل كان يتطلب ذلك. إن وصول المؤتمر إلى قرار بهذا الشأن أيضاً يعني وصول المؤتمر إلى هدفه. هذه كانت أحدى النقاط الهامة. قام القائد آبو بإجراء تحليلات سياسية وايديولوجية وتنظيمية وعسكرية ضمن المؤتمر وكان من الواجب على المؤتمر اتخاذ قرارات تتوافق مع هذه التحليلات. مثلاً، التحليلات التي طورها القائد في المؤتمر الخامس حول الاشتراكية المشيدة استندت إلى التحليلات التي طورها في المؤتمر الرابع. لهذا كانت ذو أهمية بالغة بالطبع. بالإضافة إلى هذا كان يسعى القائد آبو إلى احلال أو إجراء بعض التغييرات كي نتمكن من تطوير السرهلدانات والتجييش والاستفادة من الوضع

المتطور في العراق، ونيل النتيجة.

تمت محاسبة التصفوية والليبرالية في المؤتمر وألقينا بعض الخطوات بهذا الصدد. أراد محمد شنر تحريض رفيق يدعى شيار (استشهد فيما بعد) ليخلق ردود الفعل لديه ضد الإدارة وبذلك يضعه في فوهة المدفع. قام الرفيق شيار بتوجيه بعض الانتقادات في الحقيقة لم يكن الرفيق شيار تحت تأثير محمد شنر ولكن الأعمال التي كان يقوم بها كانت وبدون ادراك منه تخدم محمد شنر بطريقة غير مباشرة. عندما رأيت هذا الوضع ولأني كنتُ عضواً في الديوان، قمت بالمداخلة وانتقدته حينها أدرك الرفيق شيار الموضوع وتراجع. بعدها أظهر محمد شنر نفسه بالطبع كان يتبع تكتيكات دقيقة حتى أن الكثير من الرفاق لم يكونوا يدركون ذلك، فلم تكن لهم تجربة في هكذا مواضيع.

بعد الانتهاء من هذا الموضوع انتقلنا إلى موضوع آخر ألا وهو كيفية تطوير الكريلا، وكيف يمكن تنظيف المفاهيم الضارة أو الفاسدة والخاطئة ضمن الكريلا، بهذا الشأن أيضاً قام ممد شنر مرة أخرى بخطو خطوة أخرى وبطريقة دقيقة جداً، وذلك من خلال حديثه الذي كان يركز على عدم الحاجة إلى الكريلا نستطيع عوضاً عن الكريلا أن نقوم بتقوية الميليشيات فالدور الذي لعبته الكريلا حتى الآن كان جيداً ولكن من الآن وصاعداً الشيء المهم هو الميليشيات وأن كنا نريد تطوير السرهلدانات فلتتكفل الميليشيات بهذه المهمة. فمن خلال هذا التقرب يتم تقليص دور الكريلا وأن أمكن تصفية الكريلا، بالطبع

كشفنا عن هذه النوايا أيضاً. فجميع الحاضرين في المؤتمر طلبوا أن يقدم محمد شنر تقرير نقد ذاتي في هذا الموضوع أيضاً وإلا لا يمكن قبوله ضمن المؤتمر. أدرك محمد شنر أنه لا يستطيع فعل شيء من الذي فعله. فقد قام بكافة الخطوات في الأمور التي كان يخطط لها إلا أنها انقلبت عليه. وبهذا الشكل تم إنهاء المؤتمر أي أن المشكلة الأساسية التي واجهها المؤتمر الرابع كانت تلك القضايا التي سعى محمد شنر إلى خلقها. بعد الإنتهاء من المؤتمر تم فتح تحقيق بحق محمد شنر أيضاً. كما تم التوصل إلى قرار بفتح تحقيق بحق شمدين صاكك أيضاً. واقترح القائد أن يتوقف هو شخصياً على التحقيق المفتوح بحق شمدين صاكك، وترك لنا مهمة القيام بالأعمال الأخرى. بالطبع فيما بعد تم اعتقال صاري باران وتم فتح تحقيق بحقه أيضاً. ففي الفترة التي فتح التحقيق معهم كنا نسعى لتطبيق القرارات التي تم اتخاذها في المؤتمر ضمن الممارسة العملية. قمنا بإرسال قوتنا الأساسية إلى الشمال، كانت هناك بعض الايالات لم يدخلها رفاقنا كايالة كرزان ـ غوني بات ـ كاب، التي كانت خالية من الرفاق تمركز الرفاق في هذه المناطق وفقاً للقرار المتخذ بأن يقوم الرفاق بالتمركز في كل المناطق والايالات. تم ارسال قوات ذات خبرة ونوعية إلى المناطق التي سندخلها لأول مرة كي لا نتلقى الضربات. أي تم اختيار الرفاق النوعيين من ضمن قواتنا وإرسالهم إلى تلك المناطق. تحقق هذه الخطوة بنجاح ووصلت جميع مجموعاتنا إلى مناطق تمركزها بسلامة ودخلت الكريلا في كل المناطق وكل الايالات في بداية عام ١٩٩١. كانت حساباتنا وتقربنا على أن نقوم بإرسال كل القوة الموجودة هنا إلى الشمال ومن أجل الجنوب طلب قوات مساعدة من القائد، لأن القوات التي كانت بحوزتنا آنذاك بالكاد كانت تكفي لتغطية مناطق الشمال، ففي تلك الفترة لو تركنا قوة كافية من أجل الجنوب ما كان باستطاعتنا أن ننجز الهدف الذي تم اتخاذه من أجل الشمال أي أنها كانت ستساهم في اضعاف الشمال أيضاً. لقد سعينا إلى تقوية قوات الشمال ومن أجل الجنوب قلنا بأننا نستطيع طلب قوات اضافية من ساحة الاكاديمية أي ساحة القيادة. كانت لنا قوات في ساحة الاكاديمية وفي الجنوب أيضاً لأن نضالنا في الجنوب كان قد تطور بشكل ملحوظ بالإضافة إلى أنه كانت هناك عمليات انضمام كبيرة في الجنوب وبإمكاننا تقوية جبهة الجنوب بهذا الشكل. عقدنا حساباتنا على هذا الاساس. وقام القائد بدوره بارسال قوات من أجل التقوية ـ فالقوة التي ارسلها في البداية لم تكن القوة التي كانت متواجدة في الاكاديمية بل كانت يضم الرفاق الذين كانوا يمارسون الفعاليات بين الشعب والمنضمين الجدد. في تلك الفترة قمنا بطلب صادق عمر وتحدثنا معه وقلنا له إن قامت الولايات المتحدة الامريكية بالمداخلة سوف تتاح فرصة كبيرة وجيدة حينها يمكننا التحرك وفقها أي بشكل يتم الاستفادة منها. لهذا السبب سوف نقوم نحن ايضا بإرسال بعض الرفاق من اجل مساعدتكم في هذا العمل، حينها اكتفى صادق عمر بأن نعطيه رفيقاً ذو خبرة من الناحية السياسية وتحليل الأوضاع والمستجدات، وأشار بأنهم يستطيعون القيام بتحضيراتهم في حال قيام الولايات المتحدة الامريكية بالمداخلة حينها يمكنكم ارسال الرفاق من أجل المساعدة. عندما قام صدام بمهاجمة الكويت وبعد مضي عدة أيام بدأ صادق عمر بالتحرك في المنطقة ونحن أيضاً قمنا بإرسال المجموعات إليهم، وخلال فترة قصيرة جداً أي خلال بضعة أيام سيطروا على كل تلك المناطق وحتى سيطروا على منطقة زاخو، عند دخولنا منطقة زاخو لم يكن هناك وجود لأي بيشمركة للحزب الديمقراطي الكردستاني ولا للإتحاد الوطني الكردستاني، لأنهم كانوا خارج المنطقة، بعد مضي عدة أيام أخرى أتى خمسة جنود للحزب الديمقراطي الكردستاني إلى منطقة زاخو. بدأت السرهلدانات من رانيا هذه المنطقة التي كانت تحت سيطرة الاتحاد الوطني الكردستاني والذين بدأوا المظاهرات والسرهلدانات كانوا من مرتزقة الجنوب حيث أنضم حزب الاتحاد الوطني الكردستاني لهم. فهم بدأوا هناك وبعدها بضعة أيام نحن أيضا بدأنا بالسرهلدانات في منطقة زاخو، أي أن تلك المناطق بالكامل وقعت تحت سيطرة صادق عمر خلال ثلاثة أيام تقريباً. حينها سحب صدام كل قواته المتواجدة هناك. حيث كان قد ترك بعض من قواته ولكنه قام بسحبها هي الأخرى من منطقة زاخو بعد أن تعرضت

منطقة دركان وباتوفا للضرب. أبلغنا القائد أن يرسل لنا بعض القوات، وعند وصولها قمنا بتوزيعهم وصولاً إلى دولكان، أي في كل النواحي والقرى والاحياء والمدن وكما قمنا بفتح مقرات خاصة وبهذا الشكل تم البدء ببعض الأعمال، كان كل من الحزبين الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني هم الاخران بدأوا بالوصول إلى هذه المناطق، وكذلك أرسلت الولايات المتحدة الامريكية هي الأخرى قواتها إلى تلك المناطق، عندما لاحظوا ازدياد حاكميتنا على المنطقة قاموا بالتصدي لنا، حيث لم يمض وقت طويل حتى قامت الولايات المتحدة الامريكية بإعطاء الضوء الأخضر لصدام، وعند قيام صدام باستهداف تلك المناطق قام كل من الحزبين الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني بالهروب من تلك المناطق وانسحبوا منها، بالطبع الرفاق كانوا هم آخر من قام بترك تلك المناطق، فالقوة التي قاومت في منطقة زاخو ضد قوات صدام ودخلت الحرب ضده كانت القوة التابعة للرفاق أي مجموعة من الرفاق. كان قد هرب جلال طلباني من منقطة دهوك حينها كان بوطان في تلك المنطقة هو الآخر انسحب واتوا الى منطقة حفتانين بعد ان هرب جلال الطلباني من المنطقة. أي أن الرفاق كانوا آخر من قام بترك تلك المناطق، استعاد صدام سيطرته على تلك المناطق (زاخو ـ باطوفا)، كمان أتوا إلى منطقة دركان ـ دركاري بالدبابات والمدرعات وسعوا إلى إقامة معسكر أو مخفر لهم هناك. ففي تلك الفترة كان قد اجتمع الشعب كله في كل من مركا شيشى وحفتانين وسناحت. قمنا في تلك المناطق بالتصدي لصدام ومنعناه من التقدم أكثر حيث كان ينوي الوصول إلى الحدود التركية، كان يريد أن يفرض سيطرته على تلك المنطقة أيضاً، حيث أن كل البيشمركا الذين كانوا متواجدون هناك هربوا، صدام كان قد وصل إلى مرتفع دركارى فهم لم يخطوا أية خطوة من أجل حماية الشعب. وفي المساء قام الرفاق بالهجوم والسيطرة على تلك المخافر وأسر قرابة ٢٠ شخص أيضاً وكما قمنا باعتقال ضابط صدام وبعض الجنود على طريق باطوفا أيضاً. وقمنا بتسليم كل الأسرى للشعب في سناحت، عندها التف الشعب حول الحركة حتى أن البيشمركة المتواجدين هناك آنذاك لم يستطيعوا بالتفوه بأي كلمة. فالشعب كان يقول وبشكل صريح أن حزب العمال الكردستاني هو الذي يقوم بالدفاع عنا ولولا وجود حزب العمال الكردستاني لكان صدام قد اعتقلنا جميعاً هنا. قمنا بتنظيف تلك المنقطة بالكامل من قوات صدام، واتجهنا نحو منطقة زاخو من جديد في تلك الفترة أتت قوات الولايات المتحدة الامريكية إلى تلك المنطقة، أي أنه بعد مجيء قوات الولايات المتحدة الامريكية لم نستطع الدخول. واتضح من كل ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لإضعاف حاكميتنا وتقوية حاكمية كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني. كنا قد أعلنا في تلك الفترة عن تشكيل حزب PAK حزب حرية كردستان، والذين شكلوا هذا الحزب كان من رفاق جنوب كردستان. ففي عام ١٩٨٨ عندما أُبرم اتفاق ايران والعراق أي في الفترة التي هربت كل أحزاب الجنوب أتى هؤلاء الشباب والذين كانوا مؤيدين للحزب الديمقراطي الكردستاني وطلبوا الانضمام إلينا، ونحن بالطبع قبلنا طلبهم هذا، كانوا برفقتنا حتى عام ١٩٩١ عندما تطور هذا الوضع قلنا لهم بإمكانكم أن تشكلوا حزباً باسم الجنوب وتبدؤوا بالنضال. هكذا تشكل حزب حرية كردستان. لاحظت كل من الولايات المتحدة الامريكية والحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني ولادة حزب حرية كردستان وأنه يتطور بشكل ملحوظ ويفرض سيطرته وحاكميته على المنطقة بشكل ملحوظ، وللحد من هذا التطور قامت بإعطاء الضوء الاخضر لصدام ولما قمنا بالتصدي لصدام ومحاولتنا استعادة زاخو من جديد قامت الولايات المتحدة الامريكية بالتصدي لنا وبدأوا تدريجيا بالتصدي لحزب حرية كردستان وقاموا بتقوية الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني،هكذا سارت الأمور.

بالطبع ارتكبنا بعض الاخطاء والنواقص في تلك المرحلة، فكان بمقدورنا القيام بحملة أو مداخلة بشكل أكثر استعداداً وتحضيراً. فقد كانت تحضيراتنا ضعيفة، سعينا إلى إزالة هذا الضعف ضمن المرحلة ولكن بمداخلة الولايات المتحدة الامريكية لم نستطيع القيام بذلك. بالإضافة إلى ذلك لم نقم بتدريب الرفاق

الذين انضموا إلى الفعاليات في الجنوب بالشكل الجيد، ولم نقم بتوعيتهم على الاسلوب الواجب عليهم اتباعه هناك، حيث سيطرت عليهم نشوة النصر لأننا كنا الوحيدين هناك والحاكمية والسيطرة كانت بيدنا، فكانوا يقولون ما يريدونه بحق كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، وهذا التقرب كان يشكل تهديداً بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية والحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، لهذا السبب جهدوا في البحث من أجل إفشال هذه الحركة. لم ندرك هذا في الوقت المناسب وعندما رأينا ذلك وبدأ استهدافهم لنا كنا قد تأخرنا كثيراً هذا كان خطأنا الأكبر على الإطلاق حينها.

في وسط كهذا كان هناك شخص يدعى فايق وكان قد خرج من السجن وقدم إلى ساحة الاكاديمية وتولى مهمة إدارة الاكاديمية، عندما أتت المجموعات قام القائد بإرساله أيضاً، لأن هذا الشخص كان يصر على المجيء وحتى أن القائد وكله ببعض المهمات. كان القائد قد طلب منه أن يراني واقترح له بالبقاء معي. فعلاً أتى وقال لي بعض الأشياء وأخبرته أن بإمكانه البقاء معي، حيث أن المكان الذي كنت أبقى فيه كان يتم التحقيق مع كل من صاري باران ومحمد شنر كنا قد أعتقلنا محمد شنر ولكن صاري باران لم يكن معتقل آنذاك ولكن تم فرض التجريد عليه. أشار فايق إلى أن القائد طلب منه أن يشارك في اللجنة التي تشرف على التحقيق مع صاري باران ومحمد شنر، لم أمنعه من ذلك وتركته على راحته لأنه كان في السجن وله علم بوضعهم أيضاً. إلا أن فايق كان قد أتى من أجل أن يساعدهم على الهرب كان يقوم بإخفاء حقيقته، كان يخدعنا فإصراره على المجيء كان لهذا الهدف. بالطبع لم يراودنا أي شك بخصوصه حتى قام بمساعدتهم على الهرب والهروب معهم. كانوا قد قاموا بتحديد الوقت بشكل جيد جداً، كان هناك مقاتلين جدد في منطقة ميركا شيشى ذهبت إلى معسكرهم. وعند عودتي من المعسكر فوجئت بأنهم قد هربوا أي كل من فايق وصاري باران ومحمد شنر بالإضافة إلى أخ محمد شنر وفتاة أخرى، كانوا قد ذهبوا إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني حيث أدعى محمد شنر وهو

في حضرت الحزب الديمقراطي الكردستاني أنه سوف يطور تنظيماً جديداً باسم ولادة حزب العمال الكردستاني من جديد فقد كان يدعي أن حزب العمال الكردستاني انحرف عن نهجه وأنه سوف يقوم بإحلال النهج الصحيح له. مع العلم أنه لم يكن له أي علاقة بحزب المعمال الكردستاني ليوكل نفسه بمهمة كهذه. بهذا الشكل سعوا إلى تطوير تنظيم ضد حزب العمال الكردستاني ومن ثم توجه محمد شنر إلى سوريا وكان يسعى إلى القيام ببعض الأمور. تم تطبيق قرارات المؤتمر الرابع ضمن الممارسة العملية في الجنوب والشمال، كنا قد اتخذنا قرارات أخرى في المؤتمر الرابع ألا وهي تحضير بيان اعتذار وتوزيعه على الشعب بصدد التخريبات التي أحدثتها التصفوية وهكذا تقدمنا باعتذارنا من الشعب. وكذلك من أجل مرتزقة «جتاكوب» تم توزيع منشور لهم أيضاً وقمنا بمخاطبتهم ومناداتهم وأخبرناهم أنه صحيح تلك العملية التي حصلت كانت باسم حزب العمال الكردستاني ولكنها لا تمثل نهج هذه الحركة والحزب وأن الحركة لم تتبنى هذه الحادثة وهذا المفهوم على العكس تسعى للقضاء عليهما. هذا البلاغ كان له صدى واسع وتأثير كبير على الشعب وعلى المرتزقة أيضاً. كما أنها ساهمت في فتح أبواب المناطق التي كانت مغلقة أمامنا، لأننا قمنا بالتوقف على نهج التصوفوية بشكل جدي وقمنا بالحد من تطوره أكثر لهذا السبب قمنا بإلقاء بعض الخطوات من ناحية تطوير الكريلا وكذلك الشعب والسرهلدانات.

سياسة الإبادة وحقيقة المرأة

« إلهام أحمد

سياسة الصهر والإبادة متممتان لبعضهما البعض، فإذا كان الصهر يعني الانحلال ضمن بوتقة الثقافات الأخرى بأساليب الترهيب والترغيب، فإن الإبادة تعني الاستهداف الفيزيولوجي للجماعات والقوميات والعقائد وارتكاب المجازر بحقها. فلو ألقينا نظرة خاطفة للتاريخ وبحثنا في صفحاته عن تلك الممارسات نرى بأن الأنظمة الاستبدادية المتسلطة قامت بممارسة كافة أنواع الصهر والإبادة في مواجهة الثقافات المختلفة في تلك البلاد.

أكبر المجازر التي ارتكبت في التاريخ كانت بحق الأرمن الذين تم تمريرهم بمجازر راح ضحيتها مئات الآلاف من الناس على يد الألوية الحميدية التي تشكلت بيد التركاياتية البيضاء، والآشوريين الذين تعرضوا لعملية الصهر والإبادة معاً على يد العديد من القوى السلطوية، واليهود، حيث تم فرض سياسة الصهر القومي عليهم كمجموعة وتم إجبارهم على الترحيل من بلادهم مثل سبي اليهود من اورشليم إلى بلاد العراق وبعدها تم ترحيلهم من بلاد اوروبا إلى بلاد أخرى، حيث تركوا للجوع والبرد وتم قتلهم وإبادتهم جماعات جماعات، كل ذلك في سبيل ترويضهم وضمهم إلى القومية السادية في السلطة. لكن تعامل اليهود مع هذه السياسة كان بأسلوب الدونمة، حيث اعتنقوا الدين المسيحي والاسلامي في سبيل حماية دينهم وقوميتهم تحت ستار تلك الاديان. إلا أن الابادة كانت بالشكل الفيزيولوجي الذي يهدف للقضاء عليهم كوجود كلي، لهذا تم حرقهم وغيرها من أساليب الابادة.

هذا وكما نرى مثال سياسة الصهر والابادة بحق الشعب الكردي أيضاً. ففي القرن التاسع عشر ارتكبت أفظع الجرائم بحق الشعب الكردي، فكانت مجزرة حلبجة من صنيع النظام البعثي الشوفيني بتعاون من المجموعات الكردية، الأنفال أيضاً هي إبادة للشعب الكردي، حيث تم دفن العوائل بشكل جماعي في التراب

وهم على قيد الحياة. وكل العصيانات الكردية التي قامت انتهت بالفشل نتيجة فقدانها للاستراتيجية والرؤية الصحيحة لحل القضية، ونتيجة فشل الانتفاضة تعرض الشعب لأبشع المجازر من قبل النظام التركي. حملات الإعدام بحق القواد والمناصرين أتت معها بفاجعة عظمى. خير مثال على ذلك انتفاضة شيخ سعيد. ورضا بهلوي والقاضي محمد وغيرهم من قواد الانتفاضات الكردية، بعد الفشل كانت المجزرة الكبرى ترتكب عندها. حيث تم جمع الأطفال اليتامى في مراكز خاصة لتمرير عملية الصهر القومي بحقهم، لهذا نشأ جيل كردي في العروق لكنه تركي أكثر من الاتراك أنفسهم بعد عملية الصهر الثقافي القومي.

فعمليتي الصهر والابادة عمليتان متممتان لبعضهما البعض، الجيل الذي ينقذ نفسه من الابادة يتعرض للصهر، بحيث يتم تحويله لعميل خدوم للدولة ضد ملته القومية، لهذا نرى أمثلة ذلك كثيرة جداً في يومنا الراهن، حيث إنكار الذات هي أحد نتائج سياسة الصهر، لأن النظام يفهم الجميع أن الانسانية والتطور والحضارة تكمن في الانتساب للهوية القومية السلطوية لتلك البلاد. فجملة «كم أنا سعيد لأني تركي، واطلاق شعار أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» لهي أحد أساليب الصهر القومي، الكردي الذي يشعر بأن لا قيمة لقوميته وثقافته ولغته الكردية، حتى يعتبرها تخلفاً أن اعترف بأنه كردي أو تحدث لغته الأم أو دافع عن قوميته.

من أساليب الصهر القومي للنظام الرأسمالي القوموي، هو أن يعتبر الرأسمالية قمة التطور واللغة الانكليزية لغة عالمية متطورة متداولة بين كافة القوى العالمية، والذي لا يعرفها يعتبر متخلفاً باقياً من القرون الوسطى، لهذا ولكي يبدو الانسان حضارياً لا بد أن ينكر هويته القومية أولاً ويتجرد منها ومن ثم يساهم في تطوير وتشريع هوية الدولة القومية والتشبث بها إما طوعاً أو تهديداً يتلقاه من النظام الحاكم ومؤسساته القوموية السلطوية. هذا ما تم معايشته على أرض الواقع بصورته العارية، حيث عانى الكرد من سياسة الصهر هذه لعشرات السنين تحت نير النظام البعثي الحاكم. تم حرمانه من الجنسية السورية بالكامل وتم الاستيلاء على كامل ممتلكاتهم وتسليمها لعوائل ذات أصول عربية وتم تغيير ديموغرافية المنطقة بالكامل ضمن مشروع الحزام الأمني العربي الذي طبق في أعوام الستينيات من قبل النظام البعثي. هذا وكما حولت الأحزاب الكردية إلى احزاب تابعة ذيلية ملحقة بالنظام الحاكم، حدث هذا بسياسة الترهيب أولاً ومن ثم سياسة الترغيب، فالذي قاوم في البداية وحاول الحصول على الحقوق الكردية زج به في السجون وتم تمريره من تحقيقات بأساليب التهديد بهدف ابعاده عن نهج المقاومة ومن ثم تحويله إلى عميل خنوع لا يمكنه التعبير عن ذاته إلا عن طريق الاعتماد على الغير والتبعية له، لهذا نرى أغلبية الأحزاب تابعة لا إرادة لها في اتخاذ القرار وغير قادرة على تحمل المسؤولية الوطنية. لهذا وعندما تكون غير قادرة على تقديم الخدمة للوطنية فهي تقف في الصف المضاد للحقوق الوطنية باسم حقوق القومية والهوية وتعادي أي مشروع يخدم حرية الشعب والديمقراطية، باعتباره اقتنع بأن لا يمكنه الوصول للحقوق دون الحصول على السلطة والسلطة بذاتها ستكون إما ضمن إطار النائب أو كرسي وزير، فالحصول على هذه المناصب يعني بالنسبة له أن الكرد حصلوا على حريتهم لأنه يرى الهوية الكردية في شخصه وليس في حرية المجتمع وتحقيق مكاسب للشعب الكردي.

ما حصل في الثورة السورية صورة واضحة عن هذه الحقيقة. الكرد الذين تسابقوا للانضمام لاجتماع جنيف كانوا يهدفون للحصول على بعض الكراسي في الحكومة الجديدة، ولمجرد حضورهم في الاجتماع يعتبرونه مكسباً عظيماً للشعب الكردي علماً بأنه لم يتم ذكر اسم الكرد في الاجتماع. بطبيعة الحال أن حضور تلك الشخصيات في الاجتماع يعني تأييد سياسة الانكار والتوقيع على الاتفاق وتوثيق ذلك في التاريخ لتبدأ مرحلة إنكار وإبادة مرة أخرى. لكن هذه المرة لم تكن الظروف كما السابق حيث هناك الكرد الذين أسسوا نظامهم على أرض الواقع وفرضوا ذلك حتى على اجتماع جنيف. والظروف الدولية أيضا تغيرت ولم يعد بالإمكان على تلك الدول أن تفرض الابادة على شعبنا كما السابق نسبة لوجود قوة محصنة بالجماهير لا يمكن انكارهم وإبادتهم بالأساليب الكلاسيكية القديمة، لكنهم حاولوا بشتى الوسائل والطرق كي يبيدوا الشعب الكردي، الدول الاقليمية المدعومة من قبل القوى الخارجية التي لا تؤيد حل القضية الكردية في الداخل السوري وترغب في ابقائها كحجرة عثرة وحجة للتدخل عن طريقها في المنطقة بشكل دائم.

لذلك الحركات الكردية التي التجأت للسلاح كي تستخدمه في وجه شعبها لهو نتيجة سياسة الصهر القومي.

أما بالنسبة للمرأة فإن سياسة الصهر لم تصل للحد الذي وصله الرجل، حيث يوجد فرق في تلاؤم وتعامل المرأة مع الوسط الخارجي، بحكم بقائها في إطار المنزل بقيت بعيدة عن أساليب الصهر تلك ذلك حتى فترة قبيل تجذر النظام الرأسمالي، بحكم تعامل المرأة مع المجتمع الريفي بقيت محافظة على الروح والثقافة القومية، لهذا اعتبرت المدرسة التي تخرج الاجيال، إلا أن انتشار النظام الرأسمالي وأساليبه التي تخدم الدولة القومية ذات القومية والثقافة الواحدة، تأثرت هي أيضاً بتلك السياسة، فكانت سبل صهر المرأة في بوتقة الثقافة الغربية خاصة جداً. ولتلك الأساليب أمثلة كثيرة في كل من تركيا وايران وسوريا والعراق، حيث تبدأ هذه السياسة منذ عمر مبكرة للطفولة عن طريق تدريبهم في مراكز خاصة، وتعويدهن على ممارسة الجنس من الصغر، في المدارس التركية ظهرت فضيحة المدارس ذات السكن الداخلي حيث كان المدير أو المعلم يتحرش بالفتيات الكرد ويعودهن على ممارسة الجنس ليقول «فالتنشغل الفتيات بالجنس بدلاً من السياسة» وهكذا فالفتاة التي تتعود على هكذا ممارسات كيف لها أن تحافظ على ثقافتها وهويتها القومية، فهذه الممارسات لا تلائم المجتمع الكردي وتعاب الفتاة عليها، وكي تستطيع الاستمرار بحياتها لا بد أن تنفصل عن هويتها وتعمل كعميلة للنظام.

الجانب الآخر من سياسة الصهر والابادة الممارس بحق المرأة هو تنظيم الفتيات ضمن مؤسسات النظام

أما الجانب الآخر من سياسة الصهر والابادة الممارس بحق المرأة هو تنظيم الفتيات ضمن مؤسسات النظام، فإيران شكلت إلى الآن ما يعادل جيشاً استخباراتياً من النساء الكرد بشكل خاص، حيث يتم تجويع المجتمع وايصاله لحد العوز وبيع الاخلاق في سبيل الحصول على لقمة العيش، تصبح المرأة وسيلة وفريسة لهذه السياسة، لكن العمل الاستخباراتي لا يضمن جمع المعلومات فقط إنما يعملن على زرع الفتنة والفساد والفحوش ضمن المجتمع الذي تنتمي له، وتتستر على عيوبها بخلق النزاعات بين العوائل الوطنية المناضلة وتضعف الثقة بنهج المقاومة والمقاومين. وفي سوريا أيضا عندما حاول النظام البعثي تحويل عوائل الشهداء والوطنيين إلى عملاء له عن طريق زجهم في السجون وتعذيبهم وعرض وفرض الاستسلام عليهم كي يتخلوا عن كافة القيم الوطنية وأغلى ما يملكون لديهم إلى أن يخونوا أولادهم الشهداء، لكن يبدو أن حقيقة الشهداء كانت أعظم وأقوى من كل حقيقة هي التي انتصرت وفرضت النهج الوطني على كل مواطن ومواطنة كي تسير على نهج المقاومة تقبل الفقر وتتحمل المصاعب لكنها تقهر كل ذلك بإرادة من الفولاذ بوعي وطني ينبع من روح المسؤولية والواجب تجاه مقدسات الوطن والامة الديمقراطية.

هذا ويبدو أن نهج القومية الكردية وأصحاب هذا النهج يسلكون نفس السياسة في مواجهة الكرد الأحرار في سبيل فرض سيطرتهم على المجتمع، يتم تجميع النساء الكرد من غربي كردستان ووضعهم في مراكز خاصة ويتم تدريبهن على اسلوب جمع الاستخبارات والمعلومات عن المراكز والمؤسسات الوطنية واستهدافها فيما بعد، هذا ويتم تشغيل المرأة كعنصر في نشر الفحوش وتوريط الشباب بمثل هذه الأمراض لإبعادهم عن نهج المقاومة. كل هذا يقال عنها سياسة الحرب الخاصة التي تدخل ضمن إطار الصهر القومي والابادة العرقية.

فكل ما ذكرناه آنفا يمكن أن نتحاشاه عن طريق الاصرار على نشر ثقافة الامة الديمقراطية البعيدة عن روح التسلط والسلطة، التخلص من مفهوم الدولة الواحدة والقومية الواحدة هي المتسبب الأول والأخير في زرع الفتنة بين المجتمعات، وهي التي تفتح الأبواب أمام ارتكاب أفظع الجرائم بحق القوميات وباسم القومية أيضاً. لهذا لا بد من القيام بثورة ذهنية ثقافية تساهم في الارتقاء بالمجتمع إلى المستوى الذي يمكنه وحده الحد من كافة السياسات الاقصائية والانكارية التي يمارسها الانظمة الديكتاتورية القومية.

كما أننا بحاجة لدستور ديمقراطي يضمن حقوق كل المكونات والتخلص من سلطة القومية الواحدة، بحيث يكون ذلك ضماناً للتوجه نحو بناء مجتمع ديمقراطي حر، وللمرأة الدور الأساسي في بناء هذا المجتمع، باعتبارها هي التي بإمكانها تحقق العدالة الاجتماعية قبل الرجل وأكثر منه، وباعتبارها المتضرر الأكبر من تلك السياسات فلا بد وأن تكون الأكثر حرصاً على تحقيق تلك العدالة لتحصل هي على حقوقها كاملة ضمن تحقيق المجتمع الديمقراطي الحر.

لمحة عامة عن إبادة القرن العشرين

« بروار روكن

لمحة قصيرة عن حقيقة الإبادة التاريخية:

الإبادة؛ هي أكثر المصطلحات التي تثير الخجل في تاريخ الانسانية. وهي أشنع المصطلحات التي استضافتها الذاكرة البشرية الممتدة لملايين السنين. وتعبر عن رمز كيفية ابتعاد الانسان عن حقيقته وتحوله إلى عدو لذاته ومحيطه. ورمز يشير إلى كيفية قيام الإنسان بقتل وتحطيم كل القيم التي خلقته. نعم؛ الإبادة هي الحقيقة الصارخة التي تعبر عن تدني الحقيقة إلى أدنى مستوياتها على طول تاريخ البشرية.

يمكننا تعريف تاريخ حضارة الدولة على أنه تاريخ الإبادات. حتى وأن كان ينظر إليها على أنها مرجع لتاريخ الإنسانية إلا أن مصطلح الإبادة تم تداوله فقط منذ خمسة آلاف عام وهو مصطلح وممارسة عائدة لتاريخ حضارة الدولة. من الصواب عند التطرق إلى حقيقة الإبادة تناول حقيقة كل من ظواهر الدولة والسلطة والطبقة والاستعمار والعبودية. فكيف أن الإنسانية عاشت تاريخها بعيدة كل البعد عن هذه الظواهر فهي في نفس الوقت عاشت تاريخها بعيدة عن حقيقة الإبادة ولم تتعرف عليها أيضاً.

تم استخدام مصطلح الإبادة لأول مرة من قبل المحامي البولوني رافيل لامكين يهودي الجنسية. حيث تطرق إلى استخدام هذا المصطلح في كتابه المتعلق بالمجزرة اليهودية التي فقد فيها عائلته. وبهذا الشكل دخل نصوص القوانين الدولية. حيث استخدم genoside والتي تعني الإبادة العرقية من خلال التوحيد بين الكلمتين ”genos“ والتي تعني «القوم- العرق» وكلمة ”cidus“ والتي تعني القتل باليونانية.

إن ارتكاب أي عمل من الأعمال التالية بحق أمة أو أثنية أو عرق أو مجموعة دينية بهدف القضاء على قسم منها أو القضاء عليها بالكامل تشكل جريمة الإبادة الجماعية وفق تعريف الإبادة الجماعية الذي تبنته الأمم المتحدة:

١. قتل أعضاء من الجماعة.

٢. تعرض أعضاء المجموعة من الناحية الذهنية والجسدية لأضرار جدية.

٣. التخطيط لتغيير ظروف الحياة عن دراية بهدف القضاء على مجموعة كاملة أو قسماً منها من الناحية الجسدية.

٤. اتخاذ التدابير لإعاقة عمليات الولادة الجديدة ضمن المجموعة.

٥. نقل اطفال مجموعة بالقوة إلى مجموعة أخرى.

حتى أنه مع تطوير مثل هذه التعاريف يتضح وبشكل واضح بأن تاريخ حضارة الدولة هي تاريخ الإبادة الجماعية. فالإبادات مرتبطة ومتعلقة بالاستعمار بشكل مباشر. لهذا السبب ليس من الصعوبة تعريف سارغون أول أباطرة الامبراطورية الاكادية على أنه أول من قام بهذه الممارسة. إن ممارسة عمليات الإبادة الجماعية بشكل ممنهج تمت لأول مرة وعلى وجه الخصوص في عهد الامبراطورية الاشورية. وبهذا كانت تتباهى الامبراطورية الاشورية بالقلاع التي أنشأتها بالجثث.

الحداثة الرأسمالية والإبادة

إن معظم امبراطوريات العبودية البدائية وامبراطوريات العبودية الاقطاعية التي كانت مهيمنة في العصور الوسطى استطاعت كل واحدة منها الصمود كإمبراطورية للإبادة. فكل الإبادات التي كانت ترتكب حتى ظهور عصر الحداثة الرأسمالية كانت أغلبها على شكل استهداف الوجود الفيزيولوجي. ففي مرحلة الحداثة الرأسمالية تم الاستمرار في الابادات الجسدية الموجودة أضعافاً مضاعفة من ناحية ومن الناحية الأخرى تم وبالإضافة إلى ذلك تفعيل وايجاد أنواع جديدة من الابادات. فممارسات الإبادة الثقافية على وجه الخصوص حققت نتائج أكثر وطأة من الإبادة الجسدية من بين الممارسات التي عرفناها. فالشيء الملفت للانتباه هو أنه مع ولادة الحداثة الرأسمالية تعرفت كل بقعة من العالم على حقيقة الإبادة ونالت نصيبها منها. فكل من القارة الامريكية والقارة الأفريقية بما فيها القسم الشمالي والأوسط وقارة استراليا هي الأخرى تعرفت على حضارة الدولة ووجهها المعبر عن المجازر مع ظهور الحداثة الرأسمالية.

تحول وجه المعمورة مع ولادة الحداثة الرأسمالية خلال الخمسمائة سنة الأخيرة من تاريخ الإنسانية إلى مذبحة للإنسانية. حيث قام المستعمرون الاسبان والبرتغاليون والبريطانيون بإرتكاب مجازر جماعية بحق شعب مايا وأزدك والأنكا وهي شعوب أصلية للقارة الامريكية. كما أن المستعمرين الاوربيين وفي بدايتهم هولندا والبرتغال وفرنسا حولوا القارة الافريقية إلى قارة للإبادة. وكذلك الابادات الجماعية التي ارتكبتها اوروبا بقيادة انكلترا بحق الشعوب المحلية لقارة استراليا، والإبادات الجماعية التي ارتكبتها الامبراطورية العثمانية بحق الشعب الارمني وشعوب الاناضول، كل هذه الأحداث وقعت في صفحات العار لتاريخ البشرية والانسانية. حيث أن ظهور كل من هتلر وفرانكوا وصدام وغيرهم من الشخصيات يعبرون فقط عن حلقة من حقيقة الطابع الإبادي الذي تتحلى بها الرأسمالية.

تسعى القوى المهيمنة التستر على ماضيها وإخفاء سياساتها المتعلقة بالإبادة في يومنا الراهن من خلال إبراز المجازر التي ارتكبت من قبل شخصيات كـ هتلر وصدام. هذا هو النفاق والغش الكبير. تقوم القوى المهيمنة وفي بدايتها امريكا وأوربا بمساعدة المتواطئين معها بإرتكاب مجازر وإبادات جماعية بحق الإنسانية. مازالت تستمر الابادات الجسدية إلى جانب ذلك تتم باستمرار بمرحلة الإبادة الثقافية بحق جميع الشعوب تقريباً بشكل مخيف.

تعتبر الذاكرة الاجتماعية هي السمة المميزة والأساسية للجماعة. فعن طريق الذاكرة الاجتماعية فقط يمكن إظهار التطور المستند إلى الجذور الاساسية

إبادة القرن العشرين : الإبادة الثقافية.

اتخذ اسلوب الإبادة الجماعية الجسدية التي تم استخدامها على مر تاريخ حضارة الدولة شكلا ممنهجاً ومنظماً وعلى وجه الخصوص في القرن العشرين. تم ابتكار اساليب إبادات جماعية جديدة إلى جانب اسلوب الإبادة الجماعية الجسدية. فرغم السعي إلى تطوير سياسة إبادة تستهدف جميع ميادين الحياة إلا أن الإبادة الثقافية هي الاكثر بروزاً إلى جانب الإبادة الجسدية. كما ويمكننا تعريف أو توضيح جميع سياسات الإبادة المتطورة في الميادين الاجتماعية كالدينية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية عن طريق الإبادة الثقافية.

تهدف الإبادة الثقافية إلى تحطيم مجتمع الإنسان من خلال القضاء على كل القيم والمعاني والبنى العائدة للمجتمع. بهذا الشكل أثرت التخريبات التي خلقتها الإبادة الثقافية وبشكل مباشر على غنى معنى كلمة الثقافة. لذا

فالثقافة هي مجموعة من القيم المادية والمعنوية التي خلقها المجتمع البشري ومن ضمنها اللغة أيضاً. وهذا يعني أن الإبادة الثقافية تستهدف القضاء على كافة القيم التاريخية والاجتماعية التي خلقتها الجماعة ومن ضمن اللغة أيضاً.

إن ظاهرة الإبادة الجماعية قامت بخدمة خزينة الإبادة للإمبراطورية العثمانية. حيث قام العثمانيون بارتكاب المجازر الجماعية وحركات الاشغال عن طريق الجيش الانكشاري الذي تم تشكيله من الاطفال الذين تم تدريبهم في المدارس الانكشارية عند احتلالها منطقة البلقان. وهكذا ظهرت أول ممارسة للإبادة الثقافية في تاريخ الانسانية.

الثقافة المستندة إلى القيم المادية والمعنوية التي خلقها تاريخ المجتمع على مر آلاف السنين تقوم بخلق الذاكرة الاجتماعية أيضاً. حيث تعتبر الذاكرة الاجتماعية هي السمة المميزة والأساسية للجماعة. فعن طريق الذاكرة الاجتماعية فقط يمكن إظهار التطور المستند إلى الجذور الاساسية. لهذا السبب يعتبر مسح هذه الذاكرة الاجتماعية من أولى أهداف الإبادة الثقافية. يمكن وبسهولة أن تشبه الجماعة التي عانت الإبادة تلك القوة التي ارتكبت ضدها الإبادة وأن تصبح مثلها. فعند قيامنا بتحليل يومنا الراهن، نرى بأن المقاومة المتطورة ضد كافة هجمات الحداثة الرأسمالية التي تستهدف الحياة المعاشة هي الذاكرة الاجتماعية. فالنظام يقوم بمهاجمة الذاكرة الاجتماعية بشكل مكثف بهدف تحطيم قوة المقاومة هذه. والأصح أنها ومن خلال مهاجمة كل شيء تسعى إلى القضاء على الذاكرة الاجتماعية بشكل كامل.

لهذا السبب تعتبر كل من لغة الشعوب، عاداتها وتقاليدها واغانيها الشعبية، ونكتهم، وملاحمهم وأساطيرهم وحكاياتهم وتراثهم الفلكلوري وحتى اعيادهم المعبرة عن المقاومة ملكاً لها. باختصار؛ أنها تعتبر كل القيم التي اضافتها أو خلقتها الإنسانية أي كل القيم الثقافية ملكاً لها عن طريق عمليات الصهر. وتعتبر نفسها صاحبة لها أو تعتبره ملكا لها. نتيجة كل هذا تقوم بإبعاد المجتمع عن حقيقته من خلال ضمر الذاكرة الاجتماعية. ويعتبر هذا الجوهر الحقيقي لتحطيم المجتمع. فالمجتمع المعرض لهذا النوع من الممارسة، يتحول هذا المجتمع إلى مجتمع يخجل من هويته وحقيقة شعبه عاداته وتقاليده وأسلوب حياته وقيمه الثقافية. ويسعى على الدوام للهروب منها. ولهذا السبب يدخل ضمن مرحلة إنكار الذات لأبعد الحدود.

يلجأ إلى تحقيق هذا الهدف في المناطق التي لم ترضخ لهذه الممارسة بشكل طوعي يتم التطرق إلى تركهم جياع لتربية النفس بالجوع، وفرض التعذيب عليهم، واعتقالهم وارتكاب المجازر الجماعية. يتم استهداف وتصفية كل الشخصيات الساعية إلى إفشال ذلك من خلال تطوير الفكر ضد الإبادة الثقافية والسعي لنشرها ضمن المجتمع، وحث المجتمع وتنبيهه من خلال تنظيمه وبهذا الشكل اتخاذ موقف ضد سياسات الإبادة الثقافية. الهدف الاساسي لسياسة الإبادة الثقافية هو تحويل الشخصيات الاجتماعية المتعرضين للإبادة إلى عبيد طوعيين من خلال ابعادهم عن حقيقتهم.

ممارسات الإبادة الثقافية

إن أكبر ممارسات الإبادة الثقافية هي تلك الممارسات التي تم تطبيقها على اللغة. فمنع اللغة في تاريخ الانسانية أو السعي إلى القضاء على أية لغة هو وضع تطور بنطاق واسع خلال القرن العشرين. فالثقافة من ناحية تعني اللغة. فعن طريق اللغة يمكن تهميش كل الموجودات المادية والمعنوية للمجتمع وخبراته التاريخية. إن القضاء على لغة جماعة أو القضاء عليها تدريجياً تعني في نفس الوقت القضاء على هويتها التاريخية. إن منع التعليم والتدريب باللغة الام في المدارس التي تعمل كبوتقة للصهر من أجل إعاقة تطور لغة الأم تحولت إلى قوانين لتجنب استخدامها في الأماكن العامة ولضمان بقاء الدولة. يتم تنشأة الأطفال مابين السن السادسة والسابعة كعضو ضمن المجتمع المهيمن من خلال استيعابهم ضمن مدارس الدولة الداخلية التي تذكرنا بالثكنات.

القضاء على لغة جماعة أو القضاء عليها تدريجياً تعني في نفس الوقت القضاء علي هويتها التاريخية

الممارسة الأخرى للإبادة الثقافية هي القضاء على الوعي التاريخ للمجتمع المتعرض للإبادة. بمعنى من المعاني التاريخ يعني الذاكرة الاجتماعية. فالوعي والوعي التاريخي هما اللذان يكسبان المجتمع هويته. لهذا السبب يظهر المجتمع المتعرض للإبادة أن القيم المادية والمعنوية التي تم خلقها وكأنه هو الذي من قام بخلقها. وكذلك يهدف إلى القضاء على الأماكن

التاريخية للمجتمع من خلال تغيير اسماء «الجبال، السهول، التلال، القرى». يسعى إلى القضاء على كل المعلومات والوثائق التاريخية وحتى القطع الأثرية من خلال تدميرها. «حيث يسعى في يومنا الراهن إلى غمر كل المواقع الأثرية في كردستان تحت مياه السدود؛ كسد منذر وحسن كيف وغيرها من المواقع الاخرى» الهدف هو خلق احساس لدى المجتمع بأنه لا يملك أي مقومات مادية ومعنوية متعلقة بوجوده واعتبار ذاته منتمياً إلى جماعة تافهة لا فائدة منها. تعتبر هذه الطريقة والأسلوب الأفضل لقيام جماعة بإنكار ذاتها. فقيام المجتمع بإنكار ذاته يعتبر وسيلة مهمة لوصول الإبادة لهدفها. فالقضاء على الوعي التاريخي يخدم هذا الهدف إلى أبعد الحدود.

فمن أجل تحقيق تغيير في اسلوب حياة جماعة ما يجب في البداية اتخاذ قطع علاقته مع منطقته أو الجغرافية التي يعيش عليها أساساً. فكل من السكن الاجباري، والتهجير، والهجرة من أجل الحصول على فرص اقتصادية أفضل تعتبر أحدى الأساليب لقطع الصلة بالمنطقة أو الجغرافية. يعتبر السعي إلى التربية من خلال القضاء على فرص الحياة من خلال تركهم عرضى للجوع، المرض، الازدراء والعنصرية في ضواحي المدن التي تكتظ بالجماعات المهيمنة الاسلوب والممارسة الاساسية للإبادة الثقافية. كما أن ترك فئة الشبيبة التي تعتبر الفئة الأكثر ديناميكية من دون عمل من ناحية ومن الناحية الأخرى افسادها عن طريق الفحوش والمخدرات والرياضة وغيرها من الأمور تتم عن طريق ممارسات الإبادة.

بدلاً عن النتيجة:

الإبادة الثقافية هي مجزرة تعمقت وانتشرت على مر الزمن على نحو متزايد عن طريق كل الممارسات. بلا شك الأعمال التي ينبغي القيام بها لا يمكن لها أن تنحصر ضمن نطاق مجتمع محدد. أي أن جوهر سياسة الإبادة الثقافية والاجتماعية ضد أي مجتمع كان تعني في نفس الوقت تعرض الجماعة كلها للإبادة. لهذا السبب ليس من الصعوبة تسمية الوضع المتطور مهما يكن بالإبادة الاجتماعية.

ففي يومنا الراهن الكرد هم من يعانون حقيقة الإبادة الثقافية بشكلها المكشوف. فلم تتعرض أية بنية اجتماعية لمثل هذه الكوارث الثقافية والاجتماعية والسياسية والاجتماعية على مر القرن العشرين. بدون شك أن إبادة الأرمن واليهود تمت هي الاخرى في هذا القرن. فهذه الإبادات كانت إبادات جسدية تحققت خلال حقبة زمنية محددة. في المقابل الإبادات التي ارتكبت بحق الكرد استمرت على مدى القرن بكامله. ومازالت مستمرة إلى الآن. وبالإضافة إلى أنها لم تكن من الناحية الجسدية فقط. بل خضعت كل من النواحي الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والذهنية والاخلاقية وكل الامور المتعلقة بحياة المجتمع لمرحلة الإبادة.

تصدى الرأي العام العالمي للإبادات التي ارتكبت بحق الشعوب. وسعت بشكل من الأشكال إلى تعويض التخريبات التي خلقتها الإبادة. ولكن بخصوص الإبادات التي ارتكبت بحق الكرد مازالت مستمرة في القرن الحادي والعشرين أيضاً. إلا أن العالم كله بقي مكتوف الأيدي أمام هذه الإبادة كأنه لا يرى ولا يسمع ولا يعلم بها.

كما أن أغلب القوى العالمية لا تكتفي بالبقاء مكتوفة الأيدي أنما تقوم بتقديم مساعدات مختلفة للقوى التي ترتكب هذه المجازر. لهذا السبب عند النظر إلى الشمولية والعمق أو الدقة نرى بأن إبادة الكرد لم تشبه الأمثلة التاريخية. فكردستان منطقة مجزأة إلى أربعة أجزاء. وأن المجتمع الكردي غير معترف به من قبل العالم تقريباً. حيث تقوم كل دولة حاكمة لجزء من كردستان بتسيير سياستها المتعلقة بالإبادة بالاتفاق مع الهيمنة الموجودة في الأجزاء الأخرى.

المؤسف بالنسبة للكرد عدم ادراكهم لمدى شمولية وعمق الإبادة الثقافية التي يتم فرضها عليهم. والخطر الأكبر يكمن هنا. إن السعي إلى التشبه بالمهيمنين بنفسية المضطهدين تعني الانجراف إلى الانقراض. إن إنكار الهوية والقيم الاجتماعية بالنسبة لشعب ما تثبت نجاح الإبادة الثقافية. وتعتبر هذه من أكبر أنواع الإبادات. وهنا يتحقق خسارة الذاكرة الاجتماعية. إلى جانب هذا يمكن تحليلها على أنها إبادة للوعي الذاتي والإرادة الذاتية والأنا الذاتية.

إن المقاومة ضد الإبادة الجماعية ليست فقط مقاومة من أجل البقاء على قيد الحياة. فالمقاومة المعنوية هي الأكثر أهمية. فالمجتمع المفتقد لمعانيه التاريخية والاجتماعية، حتى وأن بقي على قيد الحياة فجسده لا يمكن أن ينفع أو يخدم سوى جلاديه. لهذا السبب يجب أن لا ننسى أن نضالنا في نفس الوقت نضال احياء الثقافة من جديد أيضاً.

في ثالوث الأمة الديمقراطية
(الإرادة-الذهنية-البراديغما)

«زسيهانوك ديبو

ملخص

الافتراض الأساسي الذي يقوم عليه الفكر السياسي الغربي بشأن «مركزية البشرية» أو التمركز حول الإنسان، أي أن البشر هم مركز الوجود، وأن من بين البشر يجب أن تكون فئة منهم هي سيدة النوع «البشري» نفسها وهي الحاكمة بأمورهم، فليس من الغريب- وفق نظرية المركز- أن نسمع كلمة شرطي العالم، القطبين، الشمال والجنوب، الشرق والغرب، النواة والأطراف.... وهو ما دمر وشوّه العلاقة بين الإنسان والبيئة الطبيعية، وبدلا من المحافظة على كوكب الأرض واحترامه واحترام الفصائل المختلفة التي تعيش على سطحه سعى الإنسان - كما وصفه جون لوك- ليصبح «سيدا للطبيعة ومالكها»، ومتملكاً وسلطوياً كما دعا أيضاً، وساعدت الفردية الليبرالية على انطلاق مشروع التراكم الرأسمالي التحديثي بمقاييسه الاقتصادية النقدية بعيدًا عن التكلفة الإنسانية والطبيعية، معطيًا الإنسان الضوء الأخضر للسيطرة على الطبيعة والزعم بالقدرة على معرفة كل أسرارها بالعلم بعد التحرر من الغيب والدين، فتم استنزاف الطبيعة لراحة الإنسان ومصلحته.

إن منطق الذكاء التحليلي في المجتمعات الرأسمالية والذي يُساق وفقه الفرد، هو منطق تسويقي لا أخلاقي، فاعتبار الفرد الأحادي هو مركز المجتمع، وأن كان سعيداً سوف يستطيع اسعاد البشرية وأن كان حزيناً لا يستطيع، وفق هذه التعويذة، تم تشظي المجتمع وتحويله إلى نويّات متخاصمة ومتباعدة، من السهولة أن تنقاد إلى مادة أو عرف يصدر من مؤسسة أو حتى من جمعية، مهما كانت هذه المادة غير أنسية، وخاصة فيما يتعلق بالتوسيمات التي صدرت في حق أمم و أحزاب وأشخاص، وفق هذه الرؤية توجه من توجه إلى الشرق، وفي بدايات القرن العشرين بدأ برسم الخرائط، وتشكيل واقعات اجتماعية، أدخلت هذه التقسيمات في حروب لم تكن حروبها، وبالتالي خلقت نماذج التلويحات المجتمعية، بعد خلق ظاهرة مُصدرة هي ظاهرة الوطنية المفروضة، علما أن الوطنية تشبه التعاقد من الروابط الأولية التي يُتخم منها الروابط فوق الأولية، فيعقد الإنسان فيما بينهم وينحون إلى تشكيل ظاهرة الوطنية، ففي سوريا مثلاً، الجغرافيا، والدولة، والهيكلة، وحتى العدو، تم تصديرها إلى الشعب السوري بالحدود الحالية، فدخل حروبا لم تكن حروبه؛ زُجَّ إليها، وانقاد بلا أدرية، إلى اكمال الجزء الثاني وتأسيس الدولة

المفترضة وفق رؤية ورغبة المستعمر الرسام، الدولة المتسلطة بالنزعة القومية والتي أدت إلى تشكيل وعي سليل الوعي الذي يليه فكان زائفاً غير حقيقي، استبدت الدولة المرسومة بعناصر تكونها فخلقت حالة متطورة من التحاجز الاجتماعي، تشتيت مبدأ الهوية السورية، وهذا الأخير مرده التسلط العامودي، وهذا كله ما أثلج صدر الرسام «المستعمر» متيقناً أنه يستطيع في أية لحظة، أن يكون موجوداً، فكان موجوداً في لبنان وفي العراق وفي مصر وفي تونس، وكان موجوداً مسبقاً «لم يبرح أمكنته» في دول مثل الخليج.

وتعتبر من أبرز معالم التحاجز الاجتماعي وعدم ظهور ظاهرة الوطنية النوعية، تغييب العنصر الكردي، بعد ابتلاع جغرافيته من قبل مهندسي الخرائط والاتفاقيات الدولية ومن قبل الشخصيات الاقليمية، وبغياب نوعي للشخصية الكردية الوطنية عند وضع الخرائط وتنفيذها على أرض الواقع.

الربيع الساكن

تجارب الدولة المفروضة والمطبقة بقوة السلاح ومن ثم بقوة القانون اللامنتمي إلى الشرق كله، جعلت المجتمعات الشرقية المسجونة ضمن الحدود المخطوطة تفقد ما هو متراكم عليها تحت سمة «الوطنية» فتحولت دولها إلى مستبِدة ومستبَدة في الوقت نفسه، مرهونة أمورها بأوامر «الخارجي»، وصوت سياطها على الشعب تطرب لها آذان (السيد العالمي)، وتميزت هذه المجتمعات رغم اختلاف المستعمرين؛ بالآتي:

أولاً، القوة في الرسوم المفروضة استوجبت قوة في الاختيار للعنصر الحامي للحدود، ولكن بعد الزوال الظاهري للقوة الغربية طفت مباشرة النويات المجتمعية، وكانت بغلبها عابرة للحدود الموجودة، فما جمع العربي والكردي والسرياني، وما جمعت الطوائف في سوريا كان المستعمر، لكن الأداء السيروري إلى ما قبل الوطنية ظهر بقوة، بعد قوة التسلط التي فرضتها الدولة القومية الناشئة.

ثانياً، ظهور الدولتية القومية والتي حمت باسم العلمانية، ولم تكن يوماً علمانية، أدى و من خلال ممارساتها إلى ظاهرة التشيؤ الوطني، وكان في حالة املاء مستديمة بقوة وببطش، فحزب البعث؛ فرض أنموذجاً قاهراً للدولتية القومية في سوريا، فعاش على سورية- وبجرة قلم- فقط من هو عربي، المواطن السوري هو فقط العربي، والجمهورية المستحدثة هي الجمهورية العربية السورية، مما أدى إلى ممارسة وتعويم ظاهرة «اقتلاع العناصر الوطنية»، من خلال متمركزات زُمَر الاستبداد إبان مرحلة ما بعد الاستقلال الظاهري غير الملموس وغير المحسوس، مؤدياً وفق المقدمات إلى فشل المجتمعات المحكومة كمن قبل الدولتية إلى نشوء الفعل الوطني المؤدي لظاهرة الوطنية المجتمعية.

ثالثاً، الفشل الوطني يؤدي بالضرورة إلى تشكيل الانقسامات النويّة والمتمثلة في الحالة السورية بالانقسامات الطائفية والعناصر القومية المغيبة بفعل السلطوية، الرغبة في التحول إلى ظاهرة الخروج وتشكيل نموذج جديد يناسبها، وهذا أيضاً أعتبره المرحلة الثالثة التي ترغبها الدول الغربية شرقياً، في ايجاد مداخل تدخلها في الجسم المتخلع اجتماعياً.

المفهوم الذي يربطُ بين الأمـــة والاشـــتـــراك في اللغة والثقافة والسوق والتاريخ، فهو يُعَرِف أمة الدولة القومية

رابعاً، أن الاستبداد وعدم المساواة وغياب قبول الآخر في نموذج الدولتية التسلطية، رأت الحلول التي فرضتها من أجل الحل، إلى نموذج بديل آخر قلق أيضاً هو بديل المحاصصة بعد فشل الانتماء ونشوء ظاهرة الوطنية ، وتسيد ظواهر الأولغيارشية المالية والرأسمالية.

كل هذه المظاهر كانت أسباب نوعية في ظل عدم المساواة والظلم المفروض على غالبية الشعوب الشرقية، كانت أسباب نوعية متقدمة لظهور ظاهرة الربيع، لكن الربيع ظل ساكناً، ولم يؤدي إلى النتائج المرجوة منه، وعلة ذلك، أسباب كثيرة، لكن أهمها، كانت اللعبة العميقة التي أدركتها أنظمة الاستبداد وطبقتها بحذافيرها مرتين؛ مرة على شعوبها: استجلاب الأمن مقابل تسليم الإرادة وكذلك العقل، ومرة على الدولتية العالمية؛ بأنها لا بديل لها سوى مجموعات إرهابية ستخلفها أمكنتها، وهذا هو الجزء المهم في لعبة التدويل والصراع على السلطة، ولعبة التدويل تعاملت بحذر شديد مع القوى الرافضة الناشئة، فتحالفت بالسر مع الأنظمة المتكسرة، وتحالفت بالعلن مع القوى الناشئة، والنتائج أصبحت أكثر وضوحاً في العام الرابع من عمر حركات الربيع لكن الساكنة.

ما العمل؟ ما هو الحل؟

الأمة الديمقراطية... الحل الأخير للشرق الأوسط الجديد

أشير إلى ضرورات الإدارة الذاتية الديمقراطية، كفهم وكنظرية وكممارسة وكجسد يمثل الأيديولوجية التي تختفي فيها ظواهر التفكك؛ وتضمن حالة الانتشاء التمثيلي أو الانتماء الجزئي إلى الكل، فمثلاً الكُرد في الإدارة الذاتية الديمقراطية تكون مضمونة الحقوق وفاعلة في الواجبات، والأسباب التي تؤدي إلى الردة القومويةٍ تختفي فيها الأسباب، وكما يقول أنجلز: أن مجتمعاً تزول فيها أسباب العلة تختفي فيها العلة، والحال ذاته بالنسبة للتعصب القومي والذي يركز واسميه إلى مسألة الحدود فقط والتقسيم فقط، لا يمكن أن يكون هذا هو المدخل المناسب لحل قويم من أجل مشكلة القضية القومية الكردية، بل هو بمثابة الأبواب التي تدخل منها الرياح والأعاصير كلها، والعودة إلى الجذور المؤدية للمشكل الابستيمي للقضية الكردية؛ تتوافق الحلول معها وعلى أساسها، والحل الوطني للقضية الكردية هي في إعادة تفعيل العناصر التي أدت إلى تغييبها وجعلها قضية بحاجة إلى حل قانوني اجتماعي سياسي واقتصادي ضمن الحل القانوني والسياسي الكبير.

لماذا نتبنى مفهوم الإدارة الذاتية الديمقراطية؟

يعكس مفهوم الإدارة الذاتية كمدلول تاريخي جوانب متعددة لحياة بعض المجتمعات الإنسانية – القوميات والمجتمعات العرقية. وهو المدلول نفسه الذي من أجله تحاول الإدارة الذاتية الديمقراطية أن تخلق حالة مجتمعية تضمن وضعاً ونظرة وفعلاً مستقراً ثابتاً في نظام قانوني واحد وموحد.

وتعتبر الإدارة الذاتية ودلالاتها ذي تاريخ طويل في التفكير الإنساني والفلسفي، لا سيما في المجتمعات التي سبقت وجود الدولة القومية أو الدول ذات الصبغة الدينية، وما نقصده تحديداً المجتمعات والحضارات التي قامت على أسس تبتعد عن كل ظهور فرداني أو فئوي أو قومي أو ديني أو أي مظهر سلطوي يعمد على طمس معالم التكوين المجتمعي. هذا الأمر يكسبه شيئاً من السهولة والوضوح والبساطة نتيجة للمعاني والأدوار التاريخية التي مر بها، وللازدواج في مدلولها بين الجانب السياسي كجانب أساسي والجانب القانوني كجانب مبهم، أي ليس حتى اللحظة مدلول قانوني في القانون الدولي ودساتيرها يستفرد على هذا المفهوم الجامع والذي سيحدث لحظة الأخذ به عن طريق إداراته الذاتية الديمقراطية إلى المجتمع الديمقراطي ؛ قطيعة ابستيمية عن الغرب وتقديم قيوده بعد تحطيمها إليه مرة أخرى.

يعتبر مفهوم الإدارة الذاتية الديمقراطية كمفهوم سياسي - فلسفي مُحَددٌ بمنطلقات نظرية أهمها:

١- تمكين نظرية العقد الاجتماعي السوري في أن الإنسان السوري بحاجة مستديمة إلى تفعيل السمة «القوية « والتي يتمتع المجتمع السوري به وبالتحديد التنوع القومي والمذهبي والاثني، مرجع قوي ونمطية أقوى تجعله بحاجة مستمرة أن الإنسان بحاجة قصوى إلى نظيره وبغض النظر عن اللون واللغة والانتماء، فالإنتماء هنا مرتبط بالمرجعية العامة للانتماء وهو الوطن والأمة، فيتخلى الفرد السوري وفق نظرية العقد الاجتماعي السوري عن اللون الواحد واللغة الواحدة. يتخلى لإدارته المتشكلة المعبرة عن كل الألوان.

التعريف الأنسب للأمة الديمقراطية هو التعريف المضموم للعناصر التي تـؤدي إلـى نشوء الأمـة الديمقراطية ذاتها، وهذه العناصر أو ثالوث التطور إلى الأمـة الديمقراطية: الذهنية والوعي والعقيدة

٢- المنطلق النظري الآخر في مفهوم الإدارة الذاتية الديمقراطية هي إعادة التوازن بين عناصر المعادلة السورية (القومية - الوطنية - العالمية)، والتوازن المتحقق في المجتمع الديمقراطي الأعلى يسبب ضبطاً مجتمعياً في الانسياب اليومي والمحقق للذات المتوحدة والمدموجة مع الكل مما يسبب وبشكل أُنسي عدم الانزياح والتفرد والقوقعة.

٣- المنطلق النظري الآخر وهو مأسسة المجتمع الاقتصادي الديمقراطي، بتحويل الفرد المنتمي إلى منتج ضمن تشاركيات اقتصادية من خلال المجتمع الزراعي العضوي، وتحويل ال « GOND» إلى أول خلية فاعلة تحقق للقرية الشرقية «السورية أنموذجا» استقلالية اقتصادية بوجود المزارعين المثاليين والمتخصصين أو من هم بحاجة إلى تخصص ، تحقق هذه الخطوة توازناً ايكولوجياً مرتين: مرة بين المدينة والريف ومرة أخرى الحفاظ على الإيكولوجيا، فالبيئة والطبيعة حتى تكون في خدمة الفرد الذي يعيشها أن يكون خادماً للطبيعة وحامياً بإرادة لهذه الطبيعة. والمدينة باقتصادها المتكون والتي تمتلئ بشركات مجتمعية تشاركية أيضاً: من غير المعقول أن لا تكون

في كل محافظة شركات لتصنيع السكر أو تكرير الزيت أو للرز طالما هناك الإرادة النوعية المستوجبة في إدارة مجتمعية برؤى الاقتصاد التشاركي وخلق الكادر المتخصص وفي كل المجالات.

٤- المرأة وهي العنصر الأكثر فعالية في مجتمع الإدارة الذاتية، فحالات القمع المستديمة بحقها ستخلق لها ردة الفعل الأبرز في تولي مهامها، والدفاع عن حريتها وفاعليتها في المجتمع.

٥- الشباب وهم الحاملون الأساسيين للتغيير، وعلى عواتقهم يتم التغيير المنشود وهم كفئة يكون لهم الاهتمام الأكبر لأنفسهم وللمجتمع الذي يتطلع إليهم كقدرة نوعية ومتمتعة لهذه المهمة أساسا.

٦- المنطلق النظري الآخر هو حق الحماية الذاتية وحق الدفاع المشروع، لن يكون لأي مجتمع قائمة متغيرة وتطور حتى يؤمن جميع أفراده أن الإنسان ومنذ تشكل المجتمع الزراعي الأول أي قبل أكثر من ١٣٠٠٠ سنة، كان أبرز عوامل استمراريتها هو الحاجة و الاقتناع أن الإنسان وفي كل المراحل كفرد وجزء مجتمعي يتوجب عليه ممارسة الحماية الذاتية الطبيعية وحق الدفاع المشروع الوطني.

البشرية في الحاضر تواجه احتمال وقوع كارثة بيئية يعود السبب فيها تحديدًا إلى أن الإنسان في ملاحقته العمياء والمندفعة للثروة المادية أخل «بميزان الطبيعة»

المجتمع الديمقراطي المتشكل من خلال مفهوم و نظرية الإدارة الذاتية الديمقراطية تعتبر حلاً ناجعاً للكرد كمكون أساسي في المجتمع السوري، وكحل لكل سوريا، ومن غير أن نكون مجحفين أن فاعلية «الإدارة الذاتية الديمقراطية تعيد للشرق كله جهته التي افتقدها، وتُبْعِد عنه تبعيته للجهة التي تقابله.

اشكالية المصطلح مرة أخرى
في تعريف الأمة الديمقراطية

يرى المفكر الكردي عبدالله أوجلان في منحى الأمة الديمقراطية باعتبارها الحل القويم لمشاكل الشرق الأوسط، ومن أجل ضمان فك الارتباط العقدي عن الغرب الذي يجعل من الشرق مطية نفايات مجسمة بالمشاكل المعدة انفجاراً موقوتاً في اللحظة التي يريدها الغرب ذاته، فيراها أنه الحل الديمقراطي الذي يدل على كينونة الأمة الديمقراطية، وعلى ظاهرة إنشاء المجتمع لذاته كمجتمع وطنيّ ديمقراطي. أي إنه لا يعني التحول إلى أمة أو الخروج منها على يد الدولة وإنما الادارة الذاتية التي تستند إلى الأفقية المجتمعية. بل يعني انتفاع المجتمع بذات نفسه من حقِّه في إنشاءِ نفسه كأمة ديمقراطية. والحال هذه، يتعين إعادة تعريف الأمة.

يتوجب أولاً الإشارة إلى عدم وجود تعريف واحد فقط للأمة. فلدى إنشائها بِيَدِ الدولة القومية، فإنّ أعمَّ تعريف للأمة هو أنها أمة الدولة. وإذا كان الاقتصاد هو العامل المُوَحِّدُ لصفوفها، فمن الممكن تسميتُها بأمة السوق. في حين إن الأمة التي يَسُود فيها القانون هي أمةُ القانون. كما وبالمستطاع إطلاق تسمياتِ الأمة السياسية والأمة الثقافية أيضاً. أما المجتمعُ الذي يُوحِّدُه الدين، فيُسمى بالأساسِ مِلّة والأمة الاسلامية دليل ذلك، حيث تمددت دون معرفة مسبقة للحدود الجغرافية الاسلامية، فالدين الاسلامي الذي بدأ في شبه الجزيرة العربية لم تضع نصب عينها أنها وبالضرورة ستصل إلى الصين ومشارف السند وعلى تخوب أوربا الغربية ذاتها، وهنا الجواب لمن يسأل وكأنه وجد تفاحة نيوتن: ما هي حدود الجغرافية في الأمة الديمقراطية؟. أما الأمةُ الديمقراطية، فهي مجموع القوميات والمذاهب التي تقوقعت بفعل السلطة الدولتية، تتحرر هذه المجموعات من عناصر ارتباطها الأولية وتشكل وفق عقدهم الاجتماعي المجتمعُ المشتركُ الذي يُكَوِّنُه الأفراد الأحرار والمجموعات الحرةُ بإرادتِهم الذاتية. والقوة اللاحمة والمُوَحِّدة في الأمة الديمقراطية، هي الإرادةُ الحرة والذهنية الثائرة العنصر الأكثر حسماً نحو التطور والانتقال لأفراد ومجموعات المجتمع الذي قررَ الانتماء إلى نفس الأمة.

بينما المفهوم الذي يربطُ بين الأمة والاشتراك في اللغة والثقافة والسوق والتاريخ، فهو يُعَرِف أمةَ الدولة القومية، مثلاً: مفهوم الأمة العربية، ومفهوم الأمة التركية، والمفهوم المغيب بسبب عدم وجود مسند الدولة؛ الأمة الكردية، وكل ما سبق لا يمكن تعميمها، أي طرحُها كمفهوم وحيدٍ ومطلقٍ للأمة. ومفهوم الأمة هذا، والذي يتبنى الاشتراكيةَ المشيدة؛ هو مضاد للأمة الديمقراطية. وإذا ما لاحظنا قول القائد أوجلان: (نخص بالذِّكرِ أنّ هذا التعريفَ الذي صاغَه ستالين بشأنِ روسيا السوفييتية، هو أحدُ أهمِّ الأسبابِ الكامنةِ وراء انهيارِ الاتحادِ السوفييتيّ. وإذ ما لَم يتحققْ تخطي تعريفِ الأمةِ هذا الذي صبغَته الحداثةُ الرأسماليةُ بالطابعِ المطلق،

فإنّ حلَّ القضايا الوطنيةِ سيستمرُّ في المعاناةِ من حالةِ تأزم لا مخرجَ منها بكلِّ معنى الكلمة. وكونُ القضايا الوطَنيةِ لا تنفكُّ مستمرةً حتى الآن وبكلِّ وطأتِها طيلةَ سياقٍ يمتدُّ لأكثر من ثلاثةِ قرونٍ بأكملِها، إنما هو على علاقةٍ كثيبةٍ بهذا التعريفِ الناقصِ والمطلق).

وهذا النمط من المجتمعات الوطنية التي قُدِّرَ لها الخضوع لحدود الدولة القومية الصارمة، والتي تغلغلَت السلطة حتى أدق خلاياها؛ كادت تصبح ساذجةً ومغفلةً بقصفها بالأيديولوجياتِ القوموية والدينوية والجنسوية والوضعية. أي إنّ نموذج الدولة القومية بالنسبة إلى المجتمعات، هو مصيدة أو شبكة قمع واستغلال بكل معنى الكلمة. في حين إن مصطلح الأمة الديمقراطية يَقلب هذ التعريف رأساً على عقب. فتعريف الأمةِ الديمقراطية غيرِ المرسومةِ بحدود سياسية قاطعة، وغيرِ المنحصرةِ بمنظور واحد فقط للُّغة أو الثقافة أو الدين أو التاريخ؛ إنما يعَبِّرُ عن شراكة الحياة التي يَسودها التعاضد والتعاون فيما بين المواطنين والمجموعات على خلفية التعددية والحرية والمساواة. هذا ويستحيل تحقيق المجتمع الديمقراطي، إلا من خلالِ هكذا نموذجٍ للأمة. في حين أن مجتمع الدولة القومية منغلق علىً الديمقراطية بِحُكم طبيعتِه. حيث أن الدولة القومية لا تعبر عن واقع مناَطقي ولا كوني. بل على النقيض، فهي تعني إنكار كل ما هو كوني أو مناطقي محلي. ذلك أن مواطَنة المجتمع النمطي دليل على جعل الانسان الذي يعيش في هذا المجتمع مقيداً بأصفاد صنعت له الدول التي رسمت الحدود قبل مائة عام، و المثير للشفقة أن المطبق بحقهم هذه الحدود انتشلوا هذه القيود وأدخلوا أيديهم وعقولهم فيها. ومقابل ذلك، فالأمة الديمقراطية تمكن من إعادةِ إنشاءِ المناطقيَ والكوني؛ الكُرد مثلا، وتُؤمن للواقع الاجتماعي فرصة التعبير عن نفسه وكيف يعيش، وتَحقيق الممنوعات التي منعته أن يمارس كنه كينونته طيلة سنوات تغييبه، ولعل أبرز معالم التغييب الكُردية كقومية: ابتلاع الجغرافية أولاً وعلى يد الغريب الغربي؛ وثانيا: التحاجز المجتمعي وهذه المرة على الغريب الشرقي.

والتعريف الأنسب للأمة الديمقراطية هو التعريف المضموم للعناصر التي تؤدي إلى نشوء الأمة الديمقراطية ذاتها، وهذه العناصر أو ثالوث التطور إلى الأمة الديمقراطية: الذهنية والوعي والعقيدة، فيعاد صياغة التعريف إلى مجموعة القوميات والمذاهب والعناصر المجتمعية التي تعيش في بوتقة (متحدة) جغرافياً أو سياسياً، واتحدت بذهنية وبوعي وبعقيدة وتشاطروها على أساس تحقيق المساواة والعدل والحرية وعليه، فحدود الدين واللغة والثقافة والسوق والتاريخ والسياسة ليست مُعَيِّنةً في تعريف الأمة هذا، بل تؤدي دوراً مجسِّماً لا أكثر. وتعريف الأمة في الأساس بناء على حالة ذهنية ما، يتسم بطابع ديناميكي.

وفي حل القضية الكردية يقول أوجلان: وفيما يخصُّ حلَّ القضيةِ الكرديةِ أيضاً، فالسبيلُ الأساسيُّ المبدئيُّ والثمينُ والذي لا يستندُ إلى الانفصاليةِ أو العنف، إنما يمرُّ من القبولِ بشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ. وجميعُ الطرقِ عدا هذا السبيلِ تؤدي إلى إرجاءِ القضايا وإمهالِها، وبالتالي إلى توطيدِ الانسدادِ العقيم أكثر، أو تفضي إلى تصعيدِ الاشتَباكاتِ وحصولِ الانفصال. وتاريخُ القضايا الوطنيةِ عامرٌ بالأمثلةِ على هذا الصعيد. ونَعيمُ بلدانِ الاتحادِ الأوروبيِّ بالرفاهِ والغنى ضمن أجواءٍ يعمُّها السلام خلال العقودِ الستةِ الأخيرة، بعدما كانت مهدَ الاشتباكاتِ والنزاعاتِ الوطنية؛ إنما أصبحَ ممكناً بقبولِها لشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ، وبتطويرِها المواقفَ والممارساتِ المرنةَ والخلاّقةَ لحلِّ قضاياها الإقليميةِ والوطنيةِ وقضايا الأقلياتِ لديها. أما في الجمهوريةِ التركية، فالعكسُ هو الذي سرى. فالدولةُ القوميةُ المُرادُ إكمالُها وتتويجُها بسياسةِ الإنكارِ والإبادةِ بحقِّ الكرد، قد زجّت الجمهوريةَ في معمعانِ إشكالياتٍ ضخمةٍ لا تُطاق، وأقحمَتها في أجواءٍ من الأزماتِ المتواصلة، والانقلاباتِ العسكريةِ التي يُلجَأُ لها كلَّ عشرِ سنوات. وعليه، فلن تستطيعَ الدولةُ القوميةُ التركيةُ بلوغَ الرفاهِ والسعادةِ والغنى، أو ترسيخَ أجواءِ السلام الوطيدِ كجمهوريةٍ علمانيةٍ وديمقراطيةٍ طبيعيةٍ قانونيَة؛ إلا تماشياً مع مدى تخليها عن كلِّ ضروبِ سياساتِها الداخليةِ والخارجيةِ تلك، وتراجُعِها عن ممارساتِ نظامِها ذاك، واعترافِها بشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ لجميعِ الثقافاتِ عموماً (بما في ذلك الثقافتان التركمانيةُ والتركية)، وللوجودِ الثقافيِّ الكرديِّ على وجهِ الخصوص.

نحن البشر جزء من العالم الطبيعي ونحن الذي نلحق الضرر من خلال قدراتنا على شعوذة الرمز «طبيعة ثانية».

طريقُ الحلِّ الثاني لشبهِ الاستقلالِ الديمقراطيّ،

هو تطبيقُ مشروعِه بشكلٍ أحاديِّ الجانب ولا يعتمدُ على الوفاقِ مع الدولِ القوميةِ. حيث يطبِّقُ أبعادَ شبهِ الاستقلالِ الديمقراطيِّ على أرضِ الواقع بمعناها العامّ، مُؤَمِّناً بذلك حقَّ الكردِ في التحولِ إلى أمةٍ ديمقراطية. لا جدالَ أنه في هذه الحالةِ ستزدادُ الاشتباكاتُ حِدّةً مع الدولِ القوميةِ الحاكمة، التي لن تعترفَ بطريقِ التحولِ أحاديِّ الجانبِ إلى أمةٍ ديمقراطية. ومقابلَ هجماتِ الدولِ القوميةِ فُرادى أو جَمعاً (إيران – سوريا – تركيا)، فإنّ الكردَ في هذه الحالِ لن يَجِدوا أمامَهم خياراً سوى «الانتقال إلى وضعِ الحربِ والنفيرِ العامِّ بهدفِ صونِ وجودِهم والعيشِ بحرية». ولن يتقاعسوا عن تسخيرِ قواهم الذاتيةِ في تحقيقِ وتطويرِ تحوُّلِهم إلى أمةٍ ديمقراطيةٍ بكلِّ أبعادِها على خلفيةِ الدفاعِ الذاتيّ؛ إلى أنْ تُفرزَ الحربُ وفاقاً ما، أو يتوطَّدَ الاستقلال.

في مفهوم الإيكولوجيا المجتمعية

أول افتراض في المفهوم البيئي أن الأنظمة البيئية ليست «مغلقة»، ولا تكفي نفسها بنفسها بصورة مطلقة، فكل نظام بيئي يتفاعل مع غيره من الأنظمة الأخرى، والعالم الطبيعي يتكون من شبكة من الأنظمة البيئية أكبرها المنظومة البيئية العالمية التي شاعت تسميتها بـ»المجال البيئي»eco-sphere أو «المجال البيولوجي» bio-sphere.

وقد غيّر التطور العلمي لعلم البيئة المفهوم عن العالم الطبيعي، ووضع الإنسان من المفهوم الذي يجعل الإنسان «سيدا» على الطبيعة إلى تصور يرى عكس ذلك، فالبشرية في الحاضر تواجه احتمال وقوع كارثة بيئية يعود السبب فيها تحديدًا إلى أن الإنسان في ملاحقته العمياء والمندفعة للثروة المادية أخل «بميزان الطبيعة»، وهدد الأنظمة البيئية التي لا يمكن للحياة البشرية أن تقوم إلا بها.

وعنصر المرأة أكثر حفاظاً على الطبيعة؛ لأنها الأم حاملة قيم الرعاية والرحمة، وهو ما يؤدي إلى مركزية الأنثى في النهاية. أي أن المرأة ستحرر نفسها من الثقافة البطريركية الأبوية الذكورية إذا تحالفت مع «طبيعتها الأنثوية».

والمفهوم الذي يربط المرأة بالطبيعة ليس بجديد، فطالما صور علماء الاجتماع أن العصر الأمومي صورت الأرض والقوى الطبيعية كإله، وقد أحييت هذه الفكرة من جديد في ممارسات الإيكولوجيين الاجتماعيين ومن بينهم المفكر أوجلان. ومؤيدو الحركة النسائية المحدثون يبرزون القاعدة البيولوجية لقرب المرأة من الطبيعة في حقيقة حملها للأطفال وإرضاعهم، كما يشكل التصاق المرأة بالإيقاعات والعمليات الطبيعية توجهها السياسي والثقافي.

ومن ثم تتمثل القيم «الأنثوية» التقليدية في مبدأ المعاملة بالمثل والمشاركة والتنشئة، وهي قيم «لينة» ذات طابع بيئي، وإذا كانت ثمة رابطة «حتمية» أو «طبيعية» تربط بين المرأة والطبيعة؛ فلأن علاقة الرجل بالبيئة تختلف اختلافًا شديدًا، فبينما المرأة تعتبر كائنا طبيعيا يعد الرجل كائنا ثقافيا، فعالم الرجل صناعي من صنع الإنسان، وهو نتاج الإبداع البشري لا الإبداع الطبيعي؛ إذا يتقدم الفكر في عالم الرجل على الحدس ترتيبا، وتتفوق القيمة المادية على الروحانية، كما يكون الاهتمام بالعلاقات الميكانيكية أكثر من العلاقات الكلية.

لما كان رفض السلوك الأناني والطمع المادي أحد الموضوعات الثابتة في المذهب البيئي، فقد سعى هذا المذهب إلى تقديم فلسفة بديلة تقوم على الرضا الشخصي والتوازن مع الطبيعة. وبالفعل يشيع ربط نمو الاهتمام بالموضوعات البيئية.

وعليه فإن الفلسفة الاجتماعية البيئية تنقسم إلى ثلاثة حقول رئيسية:

١. الأول هو الأخلاق البيئية، التي تركز على الالتزام الأخلاقي والقانوني تجاه الكائنات الأخرى، وتجاه النطاق الحيوي ككل، إلى جانب، وبالتوازي مع، الالتزام الأخلاقي بين البشر تجاه بعضهم بعضًا.

٢. الحقل الثاني هو الإيكولوجيا الجذرية، التي تتضمن، بدورها، جدلاً واسعًا بين الإيكولوجيا العميقة deep ecology، التي تنتقد مفهوم «المركزية البشرية» anthropocentrism وتعتبره أساس الأزمة البيئية، وبين النسوية الإيكولوجية التي تعتبر أن البطريركية والتراتبية، التي ترى النساء والأطفال والطبيعة في منزلة أدنى، مترافقةً مع الهيمنة، هما مسبِّبا هذه الأزمة. يجمع بين هذين الاتجاهين نقدٌ واسع الطيف لمنتجنا الثقافي التاريخي والآني.

٣. الحقل الثالث هو الإصلاحية المتمركزة بشريًا. والمنظِّرون لها يرون إمكانية كبح الممارسات البشرية الجائرة عبر سنِّ تشريعات جديدة وتغيير السياسة العامة وما إلى ذلك، دون الحاجة إلى «ثقافة ثورية» أو إلى تبدلات في النظرية الخلقية المتمركزة بشريًا.

ووفق ما تقدم نستطيع تعريف الإيكولوجيا المجتمعية في الأمة الديمقراطية: أنه نموذج لفك هيمنة الطابع

السلطوي والذكوري وبالتالي اتباعها من سيطرة المجتمع بالدولة. والسلطة التي تنشأ بفعل الدولتية - القومية تلحق الضرر بالمحيط الحيوي أيضاً، وتتعمد على اخضاع البشر للظلم الاجتماعي على نطاق واسع.

*لا يمكن أن تقسيم المحيط الحيوي والذي يشكل الإنسان جزءاً منه وليس سيده إلى طبيعي بشري وطبيعي جامد. ونحن البشر جزء من العالم الطبيعي ونحن الذي نلحق الضرر من خلال قدراتنا على شعوذة الرمز «طبيعة ثانية».

*الرأسمالية والحداثة الرأسمالية تتسلط من خلال مفاهيم التملك فقط، وبالتالي تنظر إلى الطبيعة على أنها الجزء الذي يستطيع تسخيره من أجل الربح فقط، وهذا هو الدمار الذي سينهي البشرية نفسها بعد استنفاذ الطاقة الخلاقة في الطبيعة.

* لا تتمثل أزمة عصرنا بظهور المدن، ولكن الايكولوجيا المجتمعية تستدعي أن يكون التوازن بين المدن والمناطق الريفية على حد سواء.

* مرة بين المرأة و الرجل، أي خلل لا يضمن هذا التوازن يجعل الايكولوجيا الاجتماعية في خطر داهم، على الأقل دوام الذهنية السلطوية.

* مرة بين الشيخ والشباب، التوازن يقتضي أن لا يتحول السلطويون إلى سد في وجه الشباب؛ فهم الحامل المهم من أجل التغيير.

* مرة أخيرة بين البيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعية، فخروج الإنسان من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع الوضعي كان عبر عقد اجتماعي وضعه الإنسان الحر، ووفق هذه العقد الاجتماعي يتوجب الرجوع إلى المجتمع الطبيعي بإرادة وبنوعية.

اسطورة الخلق عند شعب دوغون الأفريقي

مع العلم أنه توجد المئات من التفسيرات التي تخص أساطير الخلق، لكن أغربها وأمتعها كانت عند شعب دوغون (dogon) في أرض مالي الحالية، بدأ الأمر منذ البداية مع اماما (Amma) الذي خلق النجوم من الطين ثم رماهم إلى الأعلى. الشمس كانت كرة طينية ملتهبة تحيط بها حلقات من النحاس. القمر كان أيضاً مثل الشمس ولكن الخالق حماه بالنار فترة اقصر مما فعل مع الشمس. الأرض كانت أيضا قطعة من طين وكانت منطرحة على ظهرها، عندما رآها الله (Amma) قرر أن يضاجعها لتنجب له بشر على شاكلته، نتائج المضاجعة الأولى مع الارض لم يكن توائم كما كان الله يتمنى ولكن ولد لهم ضبع. غير ان الله لم يفقد الأمل، لقد اعاد المحاولة من جديد لتولد له الارض هذه المرة توائم مع بعض اسمهم نومو (Nummo) وكانوا لنصفهم على شكل الحية. لقد اعطوا أمهم العارية تنورة من جلدهم، عليها كان مكتوب الكلمات الأولى من اللغة الأولى.

الله (اماما) فقد الأمل أن يتمكن من خلق بشر على شاكلته من خلال مضاجعة الأرض، فقرر أن يصنع بنفسه زوج من شبهائه من الطين. أولاد هذه المخلوقات كانوا يخلقون ولهم جهتين أحداهما ذكر والأخرى أنثى.

اسطورة الخلق عند شعب دوغون طويلة للغاية ومعقدة وتفاصيلها يعرفها فقط الكهنة، ولكن جوهرها قائم على توضيح صعوبة خلق إنسان كامل وبدون اخطاء.*

مهما تكن هذه الأساطير ومهما تكن منابعها ومهما تكن دلالاتها، المهم الأهم أن إرادة الخلق؛ الإرادة المجتمعية وعبر ذهنيتها الثائرة والتي تشكل الوعي المسئول من خلال البراديغما الثورية. من خلال الثالوث الأيديولوجي يتم التحول إلى الأمة الديمقراطية محدثة ضجة تشبه القيامة البشرية، وهذه المرة في الشرق الأوسط ليكون له مرة أخرى المكانة التي فقدها، والمكانة التي تصبح كرتنا الأرضية أكثر توازناً وأكثر فاعلية وتتحرر فيها كل المكونات القومية والدينية حتى الوصول إلى المجتمع الأخلاقي – الإيكولوجي في الأمة الديمقراطية.

المراجع

١- مايكل زيمرمان (محرِّر)، الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، بترجمة معين شفيق رومية، سلسلة «عالم المعرفة» ٣٣٢-٣٣٣، طبعة ٣، ٢٠٠٦.

٢- معين رومية، «اخضرار الفلسفة»، معابر، شباط، ٢٠٠٧.

٣- عبدالله أوجلان، القضية الكردية و حل الأمة الديمقراطية، ترجمة : زاخو شيار، مطبعة روناهي، نيسان ٢٠١٣

٤* حمدي الراشدي، أسطورة الخلق عند مختلف الأديان، مقالة نشرت في ٩ آذار ٢٠١٤ في موقع الذاكرة الالكتروني.

العلم قبلة المحتارين

« مجيد أبو رقية

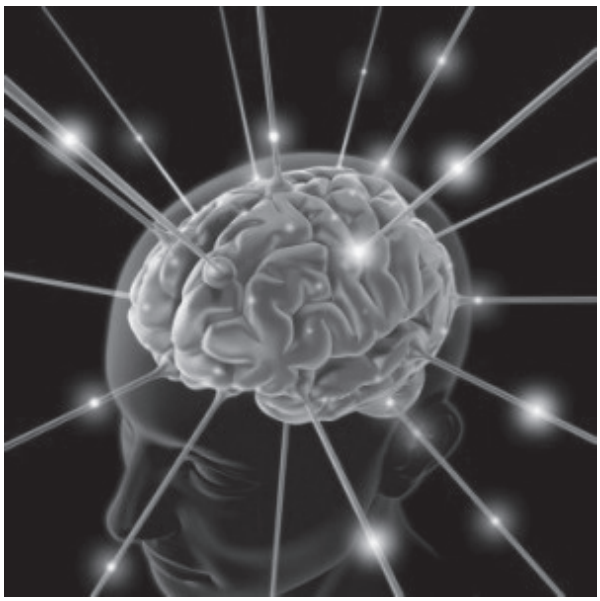

لا شك في أن الرحلة التي قطعتها البشرية عبر تاريخها، أنما هي رحلة انتقال من الجهل والخرافة باتجاه العلم والبحث الموضوعي المرتكز على أدلة مقنعة. ولقد ظلت البشرية تستند إلى رؤية خرافية في تفسير أحداث الكون، إلى أن بدأ الإنسان رحلته الشاقة والطويلة لاستكشاف «العلل» الحقيقية التي تكمن وراء الأحداث. ولكن الغريب أن الإنسان المعاصر الذي قطع أشواطاً بعيدة من هذه الرحلة نحو حضارة وتفكير يقومان على منطق «السببية» الذي يفسر الظواهر الطبيعية والبشرية منطلقاً من أرضية البحث التجريبي، هذا الإنسان لايزال يحمل فوق كاهله طبقات متراكمة من آثار تفكيره الخرافي في الأحقاب السابقة فغدا يقف في مفترق طريقين للتفكير، أحدهما يجذبه إلى إعمال العقل، والآخر يغريه بالنكوص إلى مراحل الطفولة البشرية بما تلازم معها من تفسير عشوائي للظواهر.

ولا غرابة أن نجد كيف يقع الناس بألاف ضحايا الشعوذة ويجري تمثيلها بخداع متقن وقد يدفعون الثمن غالياً ويموتون على أيدي دجالين وصلوا إلى القمة في التمثيل والخداع. وهناك حتى في الغرب المتحضر جمعيات روحية لها إصدارات ونشرات ودوريات ومجلات وكتب تنشر كل ما هو مثير وغريب وهي بطبيعة الحال تتحدث عن العلاج الروحي، والمعجزات الروحية وتتعمق فيها وتدعوا الناس إلى طلب العلاج. ولا شك أن هؤلاء استطاعوا استقطاب مئات المرضى بالرغم من الدجل العلاجي والذي قد أظهر عدم جدواه في حالات كثيرة، والتي أعلن أصحابها أنها قد أحسوا بالشفاء وبعد الفحوص الطبية فأن الأمر لا يخرج عن كونه شعوذة لا تجوز إلا على أصحاب النوايا الطيبة أو العقول الساذجة.

لو طلبت من أحدكم أن يخرج للتو ويستطلع وعلى ساحة الوطن العربي ومناطق كردستان كان الناس ولا يزالون يلجأون إلى العارف بالله أو الشيخ أو إلى سيدنا، لاعتقادهم بكراماته واعترافاً ببركاته التي تنساب من يديه وهو يتمتم ويطلق البخور فيشيع حوله جواً من الطمأنينة والهدوء. وفي تلك الأقوال والأفعال ردود أفعال لا تنكر على حالة المريض المعنوية، وهذا لا ينكره الطب النفسي الحديث... فالإنسان روح وبدن وكلاهما يؤثر بالآخر وقد يشفى المريض اعتقاداً منه في معجزات شيخه أو قديسه.. لأن الثقة والاعتقاد القائم بين المريض وطبيبه أو المريض ووليه من الأسباب الدافعة للشفاء من بعض الاضطرابات النفسية التي قد تنعكس على أمراض وظيفية أو غير عضوية مثل الصداع، والطفح الجلدي والمغص المعدي والقرح وضيق التنفس أو اختلال الدورة الشهرية أو الاكتئاب... وما شابه ذلك، ولكن في أحيان كثيرة يقوم الطب الخرافي على تعاويذ وأحجية، ووضع يد الشيخ المداوي على موقع الجزء المريض مع تمتمة ودعوات قد تكون غير واضحة ولا مفهومة، ولكن ذلك لا يجدي شيئاً في الأمراض العضوية التي يعرفها الطب في أغلب الأحيان، فميكروب السل لا تنفع معه الصلوات والأحجية ولا هي تزيل الحصوات في الكلية ولا تستأصل السرطان، ولا تقدم ولا تؤخر في شلل الأطفال... ومن هنا وجب على كل عقل رزين أن يتبع حديث الرسول الكريم «عباد الله تداوا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلى وضع له دواء، إلا الهرم» أي الشيخوخة.

الرحلة التي قطعتها البشرية عبر تاريخها، أنما هي رحلة انتقال من الجهل والخرافة باتجاه العلم والبحث الموضوعي المرتكز على أدلة مقنعة

إن الذين يؤلفون باسم العلم الخرافات ويقفزون إلى الاستنتاجات قفزاً، فهذا أمر لا يرحب به العلم أبداً، ومن هنا كان صموده العظيم وانجازاته التطبيقية في محاربة أنماط التفكير العصري الخرافي، فالذين تكلموا عن الطاقات الخفية والقوى الخفية الموجودة فينا بنو الإنسان والقوى الروحية الخارقة التي تثني وتفتت المعادن والأحجار، ومعرفة الغيب «أي الحدث قبل وقوعه» وبعضهم وصلوا إلى حد المغالاة في مسألة تجسيد الأرواح واستخدام الصوت المباشر للمتوفي، أو الكلام عن احساس الشجر ورقة النباتات الأرق إحساساً من البشر سيد المخلوقات، وهنا الأمثلة كثيرة، فلو ذبحت ديكاً تحت شجرة فأن الشجرة تنفعل وتستاء أشد الاستياء أو إذا ألقيت سمكة حية بين النار وإلى جانبك نبات فأنه يرتعد ويهتز من هذه الوحشية.... وأن النباتات تقرأ أو تشارك الناس أفكارهم وتعرف أسرارهم وتعرف أرقامهم وهو يمتلك ظاهرة التخاطر... إلا أن تدخل العلماء وقيامهم بالدراسة والبحث ودحض تلك المزاعم كما دحضت مزاعم اهتزاز الحيوانات للموسيقى ورقص الخيول على الأنغام ورقصة الكوبرا ... أن هذه الحيوانات تسمع فعلاً ولكن لا تعرف للموسيقى طعماً ولا للرقص معنى، كل ما هنالك أنه قد درب على ذلك تدريباً حسناً.. «حيوانات السيرك» أو القرد الذي يعجن ويرقص ويؤدي التحية، وتأتي هذه الحيوانات بحركات تثير اعجابنا وتصفيقنا، وهي قطعاً لا تدرك معنى تصفيق واعجاب، ولكن لماذا تقوم أساساً بهذه الحركات لقد تدرب عليها وتعيها في ذاكرتها البدائية، وكلما نجحت في استيعاب حركة شجعها مدربها بما تهواه من طعام أو معاملة حسنة، فلو اتينا بقطيع هائل من الخيول أو القرود أو الحمير أو البط... الخ وعزفنا لها ألحاناً من النوع الذي يثير مشاعرنا ويحرك وجداننا، ويدفعنا إلى تحريك ارجلنا أو أصابعنا مع نغماتها أو قد نقوم لنرقص على إيقاعها، لو أننا عزفنا تلك الموسيقى أمام هذه الحيوانات ليل نهار فلن نشهد حصاناً واحداً يرقص (سامبا) ولا حماراً يؤدي (الرومبا) ولا قرداً يهتز كما تهتز رقصات الكثير من البشر... ولو فعلوا ذلك لكان معنى هذا أنه يدرك معاني الجمال كما يدركها الإنسان.

وللعلماء في معاملهم مع الحيوانات وسلوكها تدريبات كثيرة وشاقة لكنهم لا يفعلون ذلك من أجل تسلية أو إثارة أو بيعها لحلقات السيرك. بل هم في الواقع يبحثون بحثاً جاداً في أسرار المخ والذاكرة والجهاز العصبي عموماً، وكذلك الأمر مع النبات فلم نسمع للنبات جهازاً عصبياً يجعله أكثر استجابة للمؤثرات التي تؤثر في الحيوان هذا برغم أن علم تشريح النبات الذي بدأ منذ مئات السنوات قد عاين صغيرة وكبيرة في خلاياه وانسجته وأعضائه وأنه قد استعان على ذلك بالميكروسكوب الضوئي والالكتروني فلم يكتشف فيه آثار لجهاز دوري أو عصبي أو ليمفاوي أو حسي كما هو الحال في الحيوان.

وهذا يعني أن النبات أبسط بناءً وأيسر تكويناً من الحيوان، ودعك من الإنسان سيد المخلوقات، ولأنه الوحيد الذي يعرف معنى الإدراك. لا ننكر أن هناك

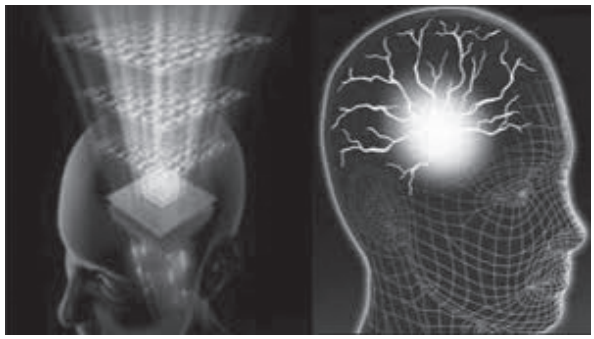

مؤثرات تؤثر في النبات فحركته مع الشمس أو سعي الجذور نحو الجاذبية الأرضية أو تغيير مساره نحو مصدر مائي أو انطوائه على نفسه ليلاً، أو انكماش أوراقه إذا اشتدت الحرارة.... الخ، كل هذا مدروس ومعروفة أسبابه وتتحكم فيه عوامل كثيرة ليسير كل شيء وفق برنامج بديع من لدن حكيم خبير.

لقد دفعني فضولي أن أعرض هنا وبإيجاز موضوع الأطباق الطائرة.. وهل هو حقيقة أم وهم؟ طبعاً القصص كثيرة جداً ويتراوح المشاهدون بين عامة الناس والحاصلون على درجة الدكتوراه في بعض العلوم. وتراكمت الحكايات والأساطير والتعليقات والمبالغات التي تتردد على ألسنة الناس، أو التي انسابت من أقلام الكتاب الذين يؤلفون المقالات والكتب عن الأطباق الطائرة «طبعاً كتب تدر عليهم دخلاً يسيل له لعاب المؤلف»، بل كل همهم أن يعرضوا بضاعتهم المشوقة كما يصورها لهم خيالهم، وبهذا تروج كتبهم ويأكلون خبزهم.

لا شك أن أحداث هذه الظاهرة المحيرة (الأطباق الطائرة) تجمعت في سجلات وتقارير لدى الحكومة الأمريكية بما في ذلك سلاح الجو وأجهزة الدفاع الرادارية وملفات البحرية وإدارة المخابرات المركزية والهيئات العلمية، وفيما لو جمعت لصارت مجلدات من فوق مجلدات تئن بحملها الخيول والجمال وفيها تختلف أراء الناس وتتعدد أوصافهم وتقديراتهم وهذا الاختلاف يشكل عبئاً على العلماء عند بحثها وتعليلها.. لأن تشتت الأقوال عند التحقيق في الحادثة يشتت الجهود ويضلل العقول الباحثة عن الحقيقة. لكن لا يمكن أن يسير العلم في طريق الضلال، وجاء على لسان الدكتور رونالد منيزل أستاذ الفلك والفيزياء الكونية بجامعة هارفارد بقوله: (الاطباق الطائرة أسطورة من الأساطير الحديثة التي توافق العصر الذي نعيش فيه)!

وخاصة بعد حادثة (زوند الرابع... واحد من سلسلة الأقمار الصناعية التي يطلقها الاتحاد السوفيتي لاكتشاف الكون الخارجي) أطلق زوند صبيحة ٣ أذار ١٩٦٨ وتجلى للناس في مساء اليوم نفسه على هيئة مثيرة أرعبت تسع ولايات أمريكية، وسببت للمسؤولين في أجهزة الأمن والدفاع متاعب وهوس لا حدود له، صحيح أن الناس أجمعت على أنها (طبق طائر) لكن الحقيقة أنها كانت زوند، وأنها أطلقت ليتخذ له حول الأرض مداراً وكان من المقرر أن تشغل الصواريخ الحاملة للقمر في فترة ما بعد اطلاقه ولكن خطأ فنياً حل بالتجربة فلم تنجز الهدف الذي أطلق من أجله، ودخل القمر منطقة الجاذبية الأرضية ثانية واندفع خلال الغلاف الجوي الهوائي في طبقات الجو العليا بسرعة رهيبة، ونتج احتكاك جبار بين زوند وجزئيات الهواء وأدى إلى ارتفاع هائل في درجة الحرارة وانطلاق شرار كثيف يشبه النار الموقودة التي تتلون بألوان عدة، وانفصل القمر إلى أجزاء متعددة وسبحت في الفضاء، فهيئت للناس أن الأجزاء المتوهجة ليست إلا نوافذ مضاءة في طبق طائر.!

وعلى هذا المنوال فأن خداع البصر وحالات الناس النفسية، وتهيئوهم ذهنياً للدعايات من غزو الأطباق الطائرة، وطريقة الدعايات الإعلامية الخاصة التي سمت الظواهر الطبيعية بالأطباق الطائرة، ولا هي بطائرة أنما هي نوع من السراب الخادع الذي يظهر نتيجة لظروف جوية خاصة هيأت ظهوره وهذه الظروف يعرفها العلماء باسم الانقلاب أو الانعكاس الحراري، وكثير من هذه الظواهر مسجلة في ملفات القوات الجوية الأمريكية، وكذلك الظروف الجوية السائدة قد لا تخدع العين وحدها، بل تخدع الأجهزة الرادارية أيضاً وملفات الهيئات الحكومية والحربية مليئة بمثل هذه الخدع الجوية والبصرية والرادارية، ولا يعرف حقيقتها إلا كل من عاينها ودرسها وعرف أسرارها وكثيراً ما يبلغ المشرفون على أجهزة الرادار خاصة في بداية استخدامه وتشغيله عن أهداف غريبة. وقد يذهب بعضهم إلى اعتبارها أطباق طائرة جاءت إلى الأرض من أرجاء الكون وطبيعي أن الصحافة الرشيدة تجد في مثل هذه الأمور أخباراً جداً مثيرة، وكثيراً ما تضعها في عناوين عريضة حتى تجذب العامة فيزيد التوزيع تبعاً لذلك. وبعدها تتجلى الحقيقة ويقدم العلماء التفسير العلمي الصحيح لما ظهر وخدع فتغمض الصحافة عيونها إذ ليس من التفسير العلمي ما يثير، أنما المثير هو التفسير الخيالي الذي يقع

تحت دائرة الخزعبلات والاساطير، وهذا ما حدث في خدعة مطاردة طبق طائر «شباط ١٩٤٨» جعلت الخرافة تختمر أكثر وأجهزة الإعلام تدق الطبول «ظهر شيء غريب وبعيد في الهواء» في قاعدة «جودمان» الجوية الأمريكية ووصفوه بقولهم «كان يشبه مخروطاً من الآيس كريم وعلى قمته شيء أحمر» وصدر الأمر إلى ثلاث طيارين بقيادة توماس مانتل لتتبع هذه الحالة ورصدها، وانطلقوا بثلاث طائرات من طراز (ف ٥١ س) وأبلغ مانتل برج المراقبة أنه لايزال يتابع الجسم الغريب، بينما مساعداه قررا في الوقت نفسه أنهم لم يريا شيئاً ذا بال.

اتصل مانتل بالبرج: أنني الآن أتجه إلى الأعلى بسرعة ٣٦٠ ميل /ساعة وارتفاع عشرين الف قدم وإذا لم استطع التقرب من الجسم سألغي المطاردة وأعود، وكان آخر تقرير تلقاه برج المراقبة، وعاد مساعداه سالمين وانقطع الاتصال به بعدها وجدوا حطام الطائرة وبداخلها مانتل ميتاً، وانطلقت الاشاعات والعناوين الكبيرة التي تؤكد الاطباق الطائرة والتي تحمل العداء لأهل الأرض وانهالت آلاف الأخبار تشير إلى رؤية الاطباق الطائرة من كل شكل وحجم ولون وذهب البعض إلى حد التصريح بأنه قد تحدث إلى هذه المخلوقات واستضافهم، لكن الحقيقة كانت غير ذلك، إذ ما ظنه الناس والقاعدة الجوية طبقاً طائراً لم يكن في الواقع إلا بالوناً ضخماً أطلقه بعض العلماء صباح ذلك اليوم لدراسة طبقات الجو العليا، وانعكست عليه أشعة الشمس في المساء وهو على ارتفاع ٦٠ ألف قدم حسبه الناس مركبة قادمة من الفضاء، وعندما حصل الاعتراض من الذين اتهموا العلماء بالغباء، قالوا: من قتل مانتل؟

العلم سلاح أعظم وأرقى وأدق ولا يجوز أن نعيش في هذا العصر التكنولوجي بتناقض بغيض بين الحقيقة والخرافة والانحراف الفكري

الواقع الذي قتله كان تهوره واندفاعه إذ لم تكن الطائرة مزودة بالأوكسجين ولم تكن مهيأة للتحليق على مثل هذا الارتفاع الكبير وعندئذ فقد وعيه وعدم تحكمه بالطائرة فهوت به وهو ميت بداخلها رغم الاشاعات الكاذبة التي انتشرت عن اختطافه من طائرته عن طريق من كانوا في طبقهم الطائر.

والحقيقة أن بؤرة هذا الصدى تقع أساساً في الولايات المتحدة، وهناك جمعيات ونواد ومجلات (غير علمية) كرست جهودها لتسجيل هذه الظاهرة والبحث عنها وتقديم التقارير للجهات المسؤولة لتتخذ منها أمراً، وطبيعي إدارة المخابرات المركزية والمخابرات الحربية، ودوائر البنتاغون لم تغمض عيونها عما يتردد على ألسنة الناس وهم يفكرون بالاتجاه الآخر، ليس مستبعداً أن تكون بعض هذه الظواهر الطبيعية أو الجوية أو الأرضية وسائل تجسسية من الروس ولابد من الحذر حتى يمكن تجنب الخطر! على كل حال أن المراصد الفلكية الجبارة تنتشر على هذا الكوكب في كل مكان وهي تمسح الفضاء من حولها ليل نهار، كما أن عيون هذه المراصد أقوى وأكفأ من العين البشرية مئات الألاف من المرات وبعضها قادرة على رؤية ضوء شمعة تبعد عنه في الفضاء ما يقرب من أربعين ألف ميل، أليس كل ذلك كفيلاً برصد طائر واحد من الألوف التي تزعم الناس أنها تهبط على الأرض والتي يؤكدون رؤيتها والتحدث مع مخلوقاتها، والحق أنه فيما يدعي هؤلاء تناقض واضح لكن ذلك يرجع إلى جنوح العقل إلى الخيال وولعه بالاساطير برغم التقدم العلمي الجبار الذي وضع بين أيدينا انجازات علمية ضخمة لا نستطيع لها حصراً. «والعاقبة لمن استنارت عقولهم»

ويبدو أن بعض العقول البشرية سوف تبقى على طفولتها مهما تقدم بها العمر، أو تطور العصر... مثلها في ذلك كمثل المجتمعات البدائية التي لا تزال تؤمن بالسحر والشعوذة والاشباح والأرواح وما شابه ذلك، ولكن مع اختلاف جوهري، فهذه العقول تحاول أن تزاوج في أفكارها بين العلم والخرافة، فتبدو الخرافة للرجل العادي أو حتى المتعلم وكأنما علم يقوم

على أساس أو كأنما نواميس الكون الراسخة تسيرها الاساطير وتتحكم فيها قوى يقف العلم على حد زعمهم ـ أمامها عاجزاً ـ وما هو بعاجز ولكن العجز هو الذي يسيطر على بعض العقول!

للأسف هذه الكتب الاسطورية تغلف نفسها بضلالة كاذبة من علم وتنتشر بالألاف في الأسواق وتجد إقبالاً من الذين يميلون إلى الولوج في عالم غامض تسيطر عليها الخرافات. كما خرج علينا الكاتب الأمريكي (تشالز بيرلتز) بكتابه (مثلث برمودا) ووزعت منه في شهور قليلة أكثر من خمسة ملايين نسخة وسبب ذلك الإقبال المنقطع النظير أن الكتاب يحتوي على حكاية غريبة، لو صحت هذه الحكاية لوضعت العلماء في متاهة علمية وعندئذ لن تسعفهم كل قوانينهم ومعادلاتهم ونظرياتهم وبحوثهم في تقديم تعليل مقنع عما يجري من أحداث في هذا المثلث المرعب الذي تتحكم فيه كائنات غير منظورة، فتشيع في أرجائه الدمار والموت! واختفاء الطائرات دون أثر وابتلاع السفن بقوى خفية وتوقف الزمن على مياه برمودا أو في سماء المثلث المسكين. ومثلث الرعب بريء مما يدعون.

الواقع أن ما أثير حول هذا المثلث المرعب فيه مبالغات ومغالطات كثيرة لو أنصفناه لظهر لنا أن العالم كله أكثر رعباً من مثلث الرعب، وهناك احصائيات دقيقة تشير إلى عدد الحوادث التي تتم في قطاعات مختلفة من هذا العالم، ومن هذه الاحصاءات يتضح أن مثلث برمودا بريء من حوادث الموت والتدمير والقوى الخفية التي تتسلط على مائه وأرضه وهوائه، وأن ما يحدث فيه رغم شدة الحركة فيه اقل مما يحدث في أماكن كثيرة مماثلة في العالم.

وحسب تقارير حرس السواحل الأمريكية وهي جهات موثوقة بها تشير إلى عدد الحوادث عام ١٩٧٥ هي أربعة سفن لا غير، من مجموع ما فقد حول السواحل الأمريكية جميعها ويقدر عددها «٢١ سفينة» أي نصيب برمودا أقل من ٢٠٪ وفي ١٩٧٦ ستة سفن من أصل «٢٨سفينة» مفقودة علماً أن مثلث برمودا يعتبر من أكثر مناطق العالم حركة وازدحاماً وينطلق على سطح مياهه أكثر من (١٥٠ألف) سفينة من كل الأحجام وعدد التي تغرق سنوياً ما بين ٤ ـ ٦ في برمودا حسب آخر احصاء، أضف إلى ذلك أنه لم تسجل حالة سقوط أو تدمير أي طائرة مدنية أو تجارية في السنوات العشرين الأخيرة فوق مثلث برمودا، كما أن المثلث أكثر أماناً من أي مساحة مماثلة فوق أرض الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها، وقد يذهب التضليل إلى غايته عندما ينسب إلى مثلث برمودا اتهامات هو بريء منها ومما يدعي المؤلفون، فالسفينة البريطانية (بريتش يورك) غرقت مقابل سواحل ايرلندا والألمانية (فريبا) قد نسب غرقها ظلماً إلى ذلك المثلث كونها غرقت في المحيط الهادئ البعيد جداً عن برمودا، ولكن المؤلفون نقلوا هذه الأحداث بقدرة قادر وأرجعوها إلى هذا المثلث المسكين، وكذا شاط خيال المؤلفين وفي كتب كثيرة وبعناوين مختلفة ولكتاب مهرة يعللون ويشرحون ويضللون بنسج قصص واساطير وحكايات خيالية كأنما حقائق علمية لأنها تتمسح بلغة العلم وهذا الأسلوب قد يمس هوى في عقول الناس الذين يميلون إلى كل ما هو غيبي ومحجوب من الإدراك والحواس، ولا شك في أن لذلك جاذبية عند العامة والخاصة.

ويظل الأمر مثيراً مادام غامضاً فإذا عرفنا غموضه انتهت إثارته وتقلصت جاذبيته لأن قافلة العلم تسير نحو البحث بهدوء وتأن وعقل مفتوح لإظهار الخدعة من الحقيقة وهم لا يفتحون عقولهم إلا على كل ما هو موضوعي ومنطقي وطبيعي وخاضع لحدود العقل ولا يجوز إفساح المجال أمام الجاهل أو الهمجي أو المتوحش أن يسيطر على هذا الكون العظيم أو يفرزه لأن العلم سلاح أعظم وأرقى وأدق ولا يجوز أن نعيش في هذا العصر التكنولوجي بتناقض بغيض بين الحقيقة والخرافة والانحراف الفكري عن شرائع الله من كونه وتوجيه العقول وجهة لا عقلانية فبدل الأوهام المريضة يجب أن نسلك طريق الصواب والاسترشاد إلى البحث عن الحقيقة فقط لأنه نشاط إنساني أصيل. يكفي هذه الأساطير والشعوذات السقيمة «رفعت الأقلام ـ وطويت الصحف».

الإدارة الذاتية الديمقراطية والحياة الحرة

« دلزار ديلوك

تحقيق المجتمع الديمقراطي هو الشرط الأساسي لتحقيق الإدارة الذاتية، فالمجتمع الديمقراطي هو المجتمع الأخلاقي والسياسي، ولا يمكن بناء الفرد والمجتمع بدون الأخلاق والسياسة، لأن الأخلاق تعني وعي العدالة والحرية المجتمعية، وهي وجدان المجتمع، وتقوم ببناء وحدة المجتمع على أساس حماية الأثنيات المختلفة داخل المجتمع. وهي قوة العمل واتخاذ القرارات الأساسية التي تبني كل دعائم المجتمع. أما السياسة فهي عقل المجتمع المشترك، ونضال المجتمع من أجل تحقيق الحرية، والأسلوب الأساسي للتحرر. فالسياسة الديمقراطية، ترفض سياسة الأصناف والبنية الفوقية ضمن المجتمع. وتهزم ديمقراطية النواب التي تجعل إرادة المجتمع عن طريق ممثليه تنحصر ضمن نطاق مجموعة ضيقة، وتقسم المسؤولية والإرادة السياسية بين جميع أعضاء المجتمع، وتبني وجودها على مبادئ الأخلاق والوجدان التي تستمر عن طريقهم. وتعد انضمام المرأة بإرادتها الحرة وبشكل حر إلى سياسة المجتمع مبدأ أساسيا لها، لأن دور المرأة في الإدارة الذاتية يشكل القوة الأساسية في السياسة الديمقراطية، حيث تهدف إلى انقاذ السياسة من تأثير هيمنة الدولة والذهنية الذكورية، بالإضافة إلى أنها تناضل من أجل أن لا تتحول إلى أسلوب أساسي في إبادة المجتمع. لأنها تعد خلق المستقبل الحر للمجتمع في السياسة الديمقراطية موضوع الحياة والموت.

خلق المجتمع

بدون تطور السياسة الديمقراطية لا يمكن خلق المجتمع والشخصية الديمقراطية، السياسة الديمقراطية هي تجسيد للسياسة الاجتماعية، تستطيع المجتمعات إخراج قوتها الخلاقة إلى الوسط وذلك عن طريق السياسة، وكذلك بمقدورها إيجاد الحلول المناسبة لكافة المشكلات، وإيجاد سبل تلبية احتياجاتها وبالتالي يمكنها الوصول إلى الحرية عبر هذه المفاهيم.

يمكن تأكيد هذه السياسات التي تعد موضوع الحديث عبر تحقيق السياسة الديمقراطية. والسياسة الديمقراطية لا تفسح المجال أمام غصب المكاسب الكثيرة، وعدم بذل المؤسسات والأشخاص الجهود، وضعف المسؤولية، وتنظر إلى الاتحادات السياسية والاقتصادية على أنها عوائق أمام خلق والتعبير عن الديمقراطية بالنسبة للمجتمع.

مفهوم الديمقراطية

إنَّ مفهوم السياسة الديمقراطية لا يعني تمتع أعضاء المجتمع بحق إبداء رأيهم في الانتخابات فقط، وإنما في الوقت نفسه يحق لكل عضو في المجتمع أن يعطي رأيه وقراره ويستطيع أن يعبر عن وضعه ويطبق قراراته ومن ثم يراقب نتائج التطبيق. وبناء الكومونات أيضاً يصب في بوتقة الهدف نفسه ألا وهو تطبيق ونشر مفاهيم السياسة الديمقراطية في كافة ساحات المنطقة، وتنظيم حتى أصغر خلية في المجتمع على مفاهيم الديمقراطية، وهذا هو الهدف الأساسي

للميدان السياسي في الإدارة الذاتية، حيث يقوم جميع أعضاء المجتمع عن طريق التنظيمات السياسية في مجالس الشعب وعن طريق مؤسسات التدريب في الأكاديميات السياسية ببناء مؤسساتهم بأنفسهم والانضمام إليها، وهكذا يحققون انضمامهم إلى السياسة الديمقراطية. هذا الوضع يفسح المجال أمام كل شخص ليكون صاحب قوت لاتخاذ القرار في حياة المجتمع والمستقبل الحر للمجتمع، وبهذا يضيفون المعاني الكبيرة على وجودهم الحر عن طريق مجتمعيتهم.

الشروط الأساسية

يعد تطوير التنظيمات اعتباراً من الإداريين المحليين وحتى مجلس الشعب، شرطاً ضرورياً من أجل بناء إرادة ديمقراطية، وحل المشكلات، أن نموذج التنظيم الجديد الذي يهدف من كل خطوة يخطوها تقليص مساحة هيمنة الدولة، يستقبل حقيقة العصر بشكل أصح، لأنه يجعل مهمات الإدارة بيد المجتمع وذلك عن طريق المؤسسات المحلية الديمقراطية. وتعد كردستان الأرضية الأكثر قوة للشرق الأوسط في بناء هذا النظام الديمقراطي، لأن تاريخ المجتمع الكردستاني قد طبع بخصائص الحياة الجماعية المشتركة. لذلك تعتبر كردستان ساحة مباركة لأجل الحياة الجماعية، هذه الساحة التي شهدت منذ البداية نشوء المجتمعية، سوف تصبح في هذا العصر الذي وصلت فيها مشكلات الإنسانية إلى ذروتها، ساحة الانفتاحات الجديدة للمجتمعية الديمقراطية الأولى.

الإدارة الذاتية الديمقراطية

يثبت تاريخ مجتمع كردستان أن الشعوب الأرمينية، الأشورية، العربية ....الخ قد عاشت مع بعضهما البعض بشكل مشترك وضمن وفاق وسلام على مدى آلاف الأعوام. كما أنه يشير إلى انضمام التركمان إلى الحياة الجماعية المشتركة في بعض مناطق كردستان إلى أنه في هذه الجغرافيا تم بناء مبدأ التعايش المشترك للأثنيات والقوميات على أساس متين وقوي لا رجعة فيه. فتاريخ كردستان قد طبع بسمات هذا المبدأ. بالإضافة إلى ذلك يدل تعايش الكرد مع الشعوب الأرمينية، السريانية، العربية، التركمانية إلى أنه يتصف بتطبيق مشروع الإدارة الذاتية في جغرافية كردستان بقوة تطبيقية وفرص حقيقية.

لم تنتصر العنصرية في وطن الشمس، فوطن الشمس يعطي الفرص الكبيرة للشعوب والمجموعات والاعتقادات المختلفة للتعبير عن نفسها بشكل حر على هذه الجغرافية.

في راهننا يتم استخدام اللغة السريانية والعربية بقدر استخدام اللغة الكردية في بعض مناطق كردستان، لأنه يتطلب أن تستقبل كل لغة حاجات المجتمع في مستوى رسمي. وهذا الأمر يشكل التأمين المناسب لحماية ثقافات الشعوب وغنى هذه الجغرافية، حيث تظهر حياة التكلم بلغتين أو حتى التكلم بثلاث لغات في كردستان حقيقة المجتمعات التي تعيش فيها.

تجد مجموعات الاعتقادات المختلفة التي تعيش في كردستان كالايزيديين والعلويين فرصة الحياة الحرة بما يتناسب مع حقيقتها وجوهرها في مشروع الإدارة الذاتية الديمقراطية. توفر الإدارة الذاتية الفرص التي تفسح المجال أمام الايزيديين والعلويين الذين عاشوا لمئات السنين تحت سلطة الأديان الحاكمة والمتسلطة، ليستطيعوا بناء مراكز المعتقدات والثقافات الأكاديمية والبحث والتنقيب في تاريخ الأثنيات التي تتعرض للقمع والاضطهاد، وليستطيعوا بهذه المعرفة أيضاً العيش بلونهم الحر، فهذه المجموعات التي تتسم بطابع الثقافة الجماعية تستطيع عن طريق مشروع الإدارة الذاتية إجراء البحوث العميقة في تاريخها، وإجراء النقاشات العميقة حولها دون البقاء تحت تأثير المتسلطين. ليتمكنوا من العيش بشكل صحيح بما يتناسب مع العصر، والتعريف عن أنفسهم والعيش بحرية. لذلك تعتبر الإدارة الذاتية فرصة تاريخية، لأنه عندما يتحقق ذلك ستكون الأكاديميات التي ستبنى على هذه المفاهيم، في الوقت نفسه ساحة إحياء الثقافات المختلفة، وساحة لتعبر عن إرادتها ضد جميع أشكال الصهر، القمع، الابادة، وكافة أنواع وأشكال الصهر التي تمارس من قبل المجموعات المتسلطة، ببناء الكومونات في جميع الساحات، مراكز الثقافة والاقتصاد والمعتقدات والتطوير، وعلى هذا الأساس يتم الانضمام إلى هيئات ومجالس المدن والنواحي وهكذا يتم تطبيق مفهوم السياسة الديمقراطية التي تعتبر من اجل أشخاص المجتمع مهمة وحياتية.

إنَّ ضمان تطوير المجتمع الديمقراطي في كردستان، هو بناء الأسس المرتبطة بها وذلك عن طريق جميع التنظيمات بالإضافة إلى الشعب والمعتقدات المختلفة، الميراث الاجتماعي، الاختلافات. لذلك ستصبح الحياة المستقلة والحرة عن طريق تنظيم تلك المجموعات الظاهرة الأساسية للديمقراطية. بالإضافة إلى المعتقدات المختلفة أيضاً ولكن بشرط أن تستند على مفهوم الإدارة الذاتية وخلق مجتمعيتهم عن طريق هذا المفهوم وبناء المجتمع السياسي.

الإرادة الحرة ضد الاضطهاد

في وقتنا الراهن، نستطيع أن نرى حتى وأن كانت بنسبة قليلة أنه تم المحافظة على الخصائص الجماعية ضد جميع انواع الظلم والتسلط، ومن هذه النقطة فصاعداً يعد شرط الوجود أيضاً أساساً، يعد تطبيق الخيال الأعظم لمستقبل حر بين نظام الإدارة الديمقراطية مهمة الإنسانية المشرفة وذلك عن طريق خلق الإرادة الحرة.

إنَّ تطبيق الإدارة الذاتية في الميدان السياسي يتحقق بشكل أكيد عن طريق مفهوم السياسة الديمقراطية. يعتبر تعريف جميع أعضاء المجتمع بمبادئ السياسة الديمقراطية، والعيش حسب احتياجات المجتمع السياسي الأخلاقي، الشرط الأساسي لتحقيق حياة حرة ومستقبل مشرق.

الظاهرة الكردية
الشعب الذي كون النيولوتيك

« شيار كوجكري

العلم الأكثر تعرضاً للانحراف من قبل الحكام والمستبدين هو التاريخ. أما أكثر المواضيع التي تم تحريفها ضمن علم التاريخ فهي الظاهرة الكردية. إذ تم ترك الظاهرة الكردية عادةً بدون تعريف ضمن علم التاريخ. حرم الشعب الكردي من جامعاته ومؤسساته التاريخية الذاتية. قامت الدولة بإعلان هذه المنطقة كمنطقة حظر وخطرٍ، لدرجة لم يُترك فيها للكرد أية إمكانية ليبحثوا وينقبوا في تاريخيهم. ولكن هذا لا يعني بأن الكرد بدون تاريخٍ وتعريف.

يمكننا البحث عن الكرد في بداية التاريخ، أي في المكان والزمان الذي بدأ فيه التاريخ. قيام جغرافية كردستان المسماة بالهلال الذهبي بدور المهد للإنسانية والحضارة هي حقيقة لا نقاش عليها. والبحوث والاكتشافات الجديدة تقوي هذه الحقيقة، وكأنه يتم إثبات هذه الحقيقة في كل يوم من جديد.

فقد كان يتم القبول بأن اليونان هي منبع الحضارة الأم حتى أواخر أعوام القرن التاسع عشر بحيث كانت تعرف بـ «معجزة اليونان». ولدى اكتشاف الحضارة المصرية أواخر أعوام القرن التاسع عشر، تم الإشارة هذه المرة إلى أن مصر هي المكان الأول الذي تطورت فيه الحضارة. ومن ثم اكتشفت الحضارة السومرية، وعلى أساسه تم التبيان بأن مزوبوتاميا السفلى وسومر هما منبع التاريخ وبداية تطور الحضارة. وبعد ذلك تحقق اكتشاف جوردون كليدا (Gordon Childe) المؤرخ والأركولوجي الإنكليزي للثورة النيوليتيكية. وبذلك يمكننا القول بأنه قد بقيت الأطروحة الداعية بأن سومر هي المنبع الأول مرة أخرى. أدارت المعلومات والاكتشافات الناتجة عن البحوث الجارية في الخمسين السنة الأخيرة الأنظار إلى كردستان يومنا الراهن إلى مزوبوتاميا العليا. بحيث تم تعريف وطن الكرد، المنطقة المسماة بالهلال الذهبي أو الهلال الخصيب كمهد الحضارة.

يعرف بأنه مع الثورة النيوليتيكية- بحيث يمكن تعريفها بالثورة الزراعية أيضاً- والثورة القروية قامت الإنسانية بخطو الخطوة الاولى من الصيد والجمع نحو الزراعة وتربية الحيوان، وانتقلت من الحياة المستندة على الهجرة إلى الحياة المستقرة وإنشاء القرى. هذه هي التطورات التي يتم قبولها كبداية التاريخ. فقد

تأكد للجميع بأن المناطق التي عاشت فيها المجموعات الكردية والكرد الأوائل هي نظام جبال زاغروس و طوروس التي تشكل الجبال نصفها والسهول نصفها الآخر. ويتم القبول من قبل فئات واسعة بأن الشعب الكردي هو الشعب الخالق للنيوليتك. إذ يأتي دور الشعب الكردي التاريخي في الأساس من كونه الشعب الخالق للنيوليتك. بحيث تصبح هذه ميزة وخاصية هامة وتعني القيام بدور المهد للتاريخ. ما تزال الخصائص الأساسية للثقافة النيوليتية تدوم وتؤثر في الحياة حتى يومنا الراهن. الشعب الكردي هو من الشعوب الأصلية المكونة للثقافة النيوليتيكة في بداية الزمان. إذ أن تكوّن الهوية الكردية وتكوّن الثقافة النيوليتيكية هو متداخل. وبشكل طبيعي تطغى خصائص الثقافة النيوليتكية على النسيج الثقافي الكردي.

تعبر الثقافة في حياة المجتمع عن الإنتاج المادي والمعنوي. تقوم المجتمعات الإنسانية بإنتاجياتها الحياتية على جغرافية معينة. ذهنية الحياة وإنتاجها بالمعنى الضيق هي الثقافة. لا يمكن تناول ثقافة مجتمع ما بشكل منفصل عن ذهنيتها وإنتاجها الحياتي والجغرافية التي تحقق عليه هذا الإنتاج. مثلما أنه لا يمكن تخيل حياة بدون جغرافية، وذهنية بلا حياة، وبالتالي لا يمكن لنا أن نتخيل وجود الثقافة أيضاً.

فإن بدأ مجتمع ما بالإنتاج على الجغرافية التي يعيش فيها، إلى جانب تطور اللغة وتكوّن الذهنية بشكل متواز مع ذلك يخلق مميزات دائمة وجذرية في ذلك المجتمع. بحيث تصبح هذه المميزات هوية ذلك المجتمع. الهويات الاجتماعية أصلية وطبيعية. فهي لا تفقد بسهولة المميزات التي تكتسبها في بداية تشكلها.

يمكنكم رؤية الكرد لدى تفحصكم للتاريخ المكتوب اعتباراً من السومريين. بحيث يُفهم من ملفات التاريخ الأولى هذه بأنه تم تعريف الكرد في أزمنة مختلفة ومناطق مختلفة من وطنهم بأسماء عديدة منها اللولو، كوتي، كودا، كاسيت، هوري، ميتاني، نائيري، ميديين وكوماغانا وغيرها من الأسماء الأخرى المختلفة التي لقبت من قبل الشعوب المجاورة للشعب الكردي.

أما اسم « كردستان» فيستخدم لأول مرة في الآثار المكتوبة في العهد السلجوقي. هذا ويستخدم هذا الاسم في كتاب ماكرو بولو (Marco Polo) « السياحات « الذي كتبه عام ١٢٩٤ أيضاً. كما ذكر اسم كردستان في كتاب « Nuzhat el Qulb «» نزاهة القولب « الذي ألفه حمد الله مصطو في عام ١٣٤٠، و في كتاب الجغرافية المعنون بـ « سبعة إقليم» «Heft İqlim» المكتوب عام ١٣٤٧. ويستخدم كافة السلاطين العثمانيين بدءاً من السلطان سليم وحتى السلطان عبد الحميد اسم كردستان أيضاً. بحيث تمر المصطلحات من قبيل « إيالات كردستان « و « حكومات كردستان» بشكل مكثف في الملفات العثمانية المكتوبة. وتؤسس إيالة كردستان بشكل رسمي في بيان قانون الأراضي لعام ١٨٤٨ و ١٨٦٧. ويتم تعيين عدد من مندوبي المجلس وأصواته لأجل كردستان في مرحلة المشروطية. ويستخدم مصطفى كمال أيضاً مصطلح «كردستان» كتابةً وتلَفظاً مراتٍ كثيرة، وعرَّفَ النُّوَّابُ الأوائلُ الآتون من المناطقِ إلى البرلمانِ التركيِّ أنفسَهم بـ»مندوبي كردستان». أما حظر مصطلح الكرد وكردستان وإنكار كل ما يتعلق بالكرد وكردستان والكردياتية، فيتم أو يطبق اعتباراً من عام ١٩٢٥ وما بعده وذلك على أساس سياسة الإنكار والإمحاء المبينة بحق الكرد.

القيام ببدء تاريخ الشعب الكردي بدولة أو تناول الظاهرة الكردية مع الدولة أمرٌ غير ممكن وليس له أي معنىً. لغة وثقافة الكرد الذين يعيشون على هذه الأراضي منذ عشرين ألف عام هي المبينة لحدود كردستان. لأن الشعب الكردي لم يقم بفتح كردستان وتشكيل حدودها بوضع الأسلاك حولها. بل إنهم ولدوا وعاشوا على هذه الأراضي واتخذوها وطناً بتحولهم إلى ثقافة. أي أن كردستان وطنهم الأصلي التي تطورت وتشكلت فيها ثقافتهم. لذلك فإن عدم وجود حدود أو

موقع أو مكانة سياسية يتم قبولها فيما بين الدول، لا يغير من حقيقة كون كردستان هي وطن الكرد.

فكردستان هي وطن الكرد. ومثلما أنها قد أخذت أصالتها وأصلها وطبيعتها من الثقافة التي خلقها الكرد، فإنها أضفت بجمالها على هذه الثقافة أيضاً. لا يمكن التفكير بكردستان من دون الكرد، ولا بالكرد من دون كردستان. تغيير نسيج جغرافية ما ليس بأمرٍ هين وسهل كتغيير اسمها. إذ لا معنى لذلك، و لا مجال لتحقيقه بأي شكل من الأشكال. علماً بأن الشعب الكردي مستعد لمشاركة وتقاسم وطنهم مع كافة الشعوب على أساس الأخوة والحرية والمساواة والديمقراطية واحترام الفوارق.

الأكراد أقدم من الدولة

لا مكان للعنف والشدة والضغط في ثقافة الشعب الكردي. دخل وانتشر العنف والشدة ضمن المجتمعية الكردية فيما بعد وأصيبت بها من الخارج. إذ أن القضايا الاجتماعية تبدأ بالظهور مع استثمار النظام الأموي و ظهور سلطة و حاكمية الدولة. وبظهور سلطة الدولة المنشأة على خصب ونهب قيم المجتمع المادية يتم إعاقة تطور المجتمع المعنوي والمادي.

القضية المجتمعية تبدأ مع الدولة التي تعني العنف والضغط المتمأسس. لم يخضع و يقبل أي تجمع كومينالي والذي ندعوه بالمجتمع السياسي والأخلاقي العبودية بسهولة. وقد قاوم ضد الاستعباد حتى الموت. المقاومة ضد العنف والظلم كأقدس حق ووظيفة يشكل أساس حق الدفاع المشروع.

تعرّف الكرد على العنف والشدة مع التقاءهم بالدولة والقوى السلطوية المتحكمة بالدولة. فتاريخ الكرد هو أقدم من تاريخ التدول. ويمكننا القول بأن الشعب الكردي من أوائل الشعوب المتعرضة لعنف واضطهاد الدولة. وقد استمر هذا الاشتباك والتضاد منذ ولادة الدولة وحتى يومنا هذا نتيجة خاصية وميزة جغرافية الكرد. ويمكن القول بأن جميع القوى الحاكمة والمتسلطة في التاريخ مارست صراع السلطة على هذه الجغرافية. وشنت هجمات لا تحصى لأجل نهب ثروات وغنى هذه الجغرافية والاستفادة من موقعها الاستراتيجي.

يستهدف صراع السلطة الممارس على هذه الجغرافية نهب القيم المادية والمعنوية للشعب الكردي الذي يحيا على هذه الجغرافية. بحيث تفرض سيطرتها وتستولي على منابع الغذاء والأدوات اللازمة لأجل تلبية حاجة استمرار الوجود الاجتماعي عنوةً. لذا يتم ممارسة العنف والاضطهاد، يتم تخريب المجتمع بحيث تصل الحياة إلى وضع لا يمكن فيها أن تعاش. حماية المجتمع ذاته مقابل ذلك الاضطهاد، وخوضه لمعارك طاحنة لأجل ذلك هو من أكثر المواقف إنسانية. فإن لم يقم مجتمع ما بالمقاومة في مثل هذه الأوضاع، ولم يقم بحماية ذاته بكافة الأشكال فهذا يعني بأن ذلك المجتمع قد فقد الكثير من قيمه ووصل لحد الانتهاء.

يمكننا القول بأن الشعب الكردي قد عاش بعض التجارب التي لم تطل كثيراً، إلا أنه مع ذلك لم يقبل الدولة ويتبناها بشكل جدي. فمثلما أنهم لم يقوموا ويطوروا حركات نهب تجاه الشعوب الأخرى وأراضيهم، فإنهم لم يصبحوا أصحاب مواقف تأخذ من الحكم والحاكمية أساساً. ولكنهم تعرضوا لمثل هذا النوع من الهجمات دائماً. تُعرف الإمبراطورية الأشورية كأكثر وأبرز البنى الحاملة والمتضمنة للعنف والشدة في التاريخ. فقد طبق عنف وشدة أشور على جغرافية كردستان أكثر من أي مكان أخر.

القضية المجتمعية تبدأ مع الدولة التي تعني العنف والضغط المتمأسس

استمرت الإمبريالية المدنية المبتدئة مع سومر والمستمرة على شكل تقليد آشور من مقدونيا حتى إمبراطورية روما، ومنها حتى إمبراطورية إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية في يومنا الراهن بأكثر الأشكال إراقة للدماء. إذ أن أرشيف التاريخ وذاكرة الإنسانية مليئة بهذه التسجيلات. أما التاريخ المكتوب فإنه يعمل على تحريف هذه الحقائق لصالح المدنية الدولتية. ويسعى من خلال تهجير وقطع المجتمعات عن جغرافيتها القيام بإخفاء النهب الثقافي والجور الإنساني. ما يفعلونه هو جعل الظلم مال للمظلومين.

سير التاريخ ليس كما هو مكتوب. المرآة الحقيقية للتاريخ هي الحياة. لا يفنى شيء أبداً، أهم ميزة للنسيج الثقافي هو حمله وحفاظه على التراكم والزخم الثقافي الذي قام بإنشائه ضمن الزمن. إذ أن الظاهرة والأحداث الاجتماعية المعاشة في الراهن تتحقق على أرضية هذه الثقافة وتستند على أساس وبنية هذه الثقافة. فكيفما تتكون الثقافة التاريخية فإنها تعاش بالشكل ذاته في يومنا أيضاً. لا يمكن لأي كلام رسمي أن يغير من هذه

الحقيقة.

الخصائص التي أكتسبها الكرد في مرحلة التطور التاريخي ما زالت تديم ذاتها ضمن حياتهم الراهنة. كيفما أنه لا يوجد العنف والشدة في ثقافة الشعب الكردي في بداية التاريخ فإنه لا مكان للعنف والشدة ضمن ثقافة الشعب الكردي في راهننا أيضاً. فالشعب الكردي هو الشعب المتعرض بشكل مكثف للعنف والشدة مذ بداية تاريخ الحضارة الدولتية وحتى يومنا. لقد أخذ حماية وجوده ضد عنف وشدة الدول أساساً لذاته كمجتمع غير متدول أو كمجتمع بلا دولة.

يستند جوهر ثقافة وذهنية الشعب الكردي على المجتمع الطبيعي وحياته التحررية الذي لا يعرف العنف والضغط. لم يهاجم الشعب الكردي أية هوية مجتمعية عاشت معه بشكل متداخل على مر التاريخ. لم يقم بمراجعة أسلوب العنف والشدة أبداً. فقد عاش مع الشعوب الأخرى كالعرب، العجم، والترك... وغيرهم ضمن سلام ووئام. ترجيحه كان دائماً إلى جانب السلام. هذا وتبنى بنية المجتمع المتعدد الثقافات. لم يفرض في علاقاته الصهر الثقافي، ولم يقبل ويخضع لمثل هذه الضغوطات أيضاً.

منبع القضايا الاجتماعية ليس وجود الثقافات بل هو السلطويين والحكام الدوليين الذين يقومون بإنكار هذه الثقافات وتحريفها ونهب قيمها. فإن لم يتم رؤية هذه الحقيقة لدى تناول الظاهرة الكردية كقضية اجتماعية فإنه لن يتم الوصول إلى النتائج الصائبة.

القيام بحماية وجودك وثقافتك والمقاومة لأجلها هو من أكثر المواقف المتطورة ضد العنف الخارجي قداسةً. لا يمكن للعنف الخارجي ترسيخ نفسه وتحقيق ديمومته وتجزئة الديناميكية الاجتماعية في الداخل دون تشكيل زمرة تقوم له بالعمالة في الداخل. لذا، لدى تناولنا لأسباب العنف في كردستان فإن الحقيقة الهامة الأخرى التي يجب رؤيتها أيضاً هي: قيام الدول الاستعمارية لأجل جعل الشدة والاضطهاد المفروض من قبلها مؤثراً ودائماً بجعل فئة صغيرة من بين الكرد عملاء لها وإشراكهم في استبدادها وجرائمها.

هذا ولم تكتفِ الدول الاستعمارية الفاشية بتطبيق العنف على الشعب الكردي فقط، بل إنهم قاموا بتحكيم ونشر وترسيخ العنف في جميع ساحات المجتمع. وأكثر من الدول فإن العنف والاضطهاد الذي كانت تطبقه هذه الفئات العميلة هو ما كان يخل ويفسخ وينخر في بنية المجتمع ويلعب دوراً تخريبياً أكثر. مع العلم بأن استناد هذه الفئات على العنف والشدة جعلهم يصلون إلى وضع لا يستطيعون فيه العيش دون العنف.

لدى السعي لتعريف مكان العنف بشكل صائب في القضية الكردية، علينا رؤية دور هذه الفئات العميلة التي أوصلت بالقضية الكردية إلى وضع متأزم لا يمكن الخروج منه بشكل جيد. تأبى هذه الفئات العميلة المبتعدة والمغتربة عن هويتها وثقافتها حل القضية الكردية. إذ أن دور هذه الفئات العميلة في تعميق وتجذير وتحريف القضية الكردية هام للغاية.

فإن رغبة الدولة التي يقوم وكلاء الكرد العاملون ضمن البنى السياسية والأحزاب الاستعمارية على خدمتها بتطوير كردها (الكردي العميل) لدى نقاش القضية الكردية في راهننا ليست بصدفة. ففي الوقت الذي يقوم الشعب الكردي بالإصرار على الحل السلمي والديمقراطي، فإن هذه الفئة تقوم بتحويل شراكتها المعتمدة أو القادمة من الماضي مع سلطة الدولة إلى سوق لمصالحها وبذلك تلعب دور الحائل والمعيق للحل. أي أنها تبذل كل ما في وسعها لكي تبقى الشدة والحرب سائرة في كردستان. على هذا الأساس فإن وضع هذه الفئة العميلة من الكرد يمثل أهم منبع يغذي العنف ويتغذى منه.

لهذا السبب فإن تعريف القضية الكردية بشكل صائب، وعلى أساسه يتم تطور وتحقق الحل مرتبط بإسقاط أقنعة مثل هذه الفئات والشخصيات العميلة وإظهار أوجهها الحقيقية للعيان.

اللغة الكردية

جذورها - تطورها - تكاملها

« عبد الله شكاكي

تعريف اللغة:

اللغة إبداع إنساني ميزه عن الحيوان، فعند التقاء البشر لإنجاز عمل ما يتكلمون مع بعضهم عن طريق إشارات أو رموز أو أصوات معينة، وهذا ما أدى إلى نشوء المجتمعات واللغات.

واللغة حسب تعريف هنري سويت: «تعبير للأفكار عن طريق استعمال أصوات الكلام وتتجمع ضمن كلمات، والكلمات تشكل جملاً، وهذه الأفكار تعبر عن بنية ذهنية محددة». وآخرون قالوا: «أن اللغة هي طريقة تنظيم الأصوات الاعتباطية لتسهيل فهمها من قبل أفراد المجتمع» وعليه يمكن بواسطة اللغة سبر أغوار الإنسان للتعرف على جوهره وطريقة تفكيره، وتعتبر اللغة المكون الأساسي لثقافة المجتمعات. واللغة مثلها مثل أي كائن حي إذا لم تتم رعايتها والمحافظة عليها وتأمين متطلبات الحياة لها فإنها تضمحل رويداً رويداً ثم تنقرض وتزول، حيث تفيد أبحاث عالم لغوي هولندي بأنه توجد ستة آلاف لغة في أنحاء العالم، وبسبب التقدم التكنولوجي في الأربعمائة سنة الأخيرة تعرضت ألف لغة للذوبان، وفي المائة سنة القادمة ستبقى فقط أربعمائة لغة في العالم إذا لم يتم تحصين اللغة وحمايتها.

وكما ينحدر من الكائن الحي (الأب- الأم) الأولاد والأحفاد ن فإن اللغة تنحدر منها عدداً لا حصر له من اللهجات بدءاً من لهجة الأسرة والعشيرة أو الحي ولهجة المدينة والريف والبدو، ولهجة السهول والوديان والجبال والمناطق الحارة والباردة والمعتدلة، وكذلك للغة أقارب مثل اللغات التي تمتلك قواعد نحوية وصرفية ومفردات متشابهة كالمجموعات الهندو أوروبية والسامية.

اللغة الكردية:

تشكلت جذور اللغة الكردية من لهجات الأقوام الزاغروسية وأقوام سوبارتو (سكان كردستان القدماء)، خصوصاً بعد أن أنشأت تلك الأقوام كيانات سياسية مستقلة لأن الكيان السياسي يساعد على تطوير وتكامل اللغة، فقد أسس الكوتيون دولة عظمى في جنوب ميزوبوتاميا بعد قضائهم على الدولة الأكادية، وفي ظل الكوتيين تأسست دولة خمازي اللوللوبية ودولة أوركيش الخورية في الألف الثالث قبل الميلاد، وفي بداية الألف الثاني قبل الميلاد شكلت الموجات الآرية الوافدة مع الكاشيين دولة

كاردونياش في بابل، والقبائل الميتانية الآرية شكلت مع الخوريين دولة ميتاني عاصمتها واشوكاني، وفي الألف الأول قبل الميلاد تشكلت الامبراطورية الميدية العظمى بعد القضاء على الدولة الآشورية وإنهاء الكيانات الصغيرة التابعة مثل دولة المانا وميتانيا وأورارتو.

فقد أخذت اللغة الكردية من لغات تلك الأقوام عدداً من المفردات والمصطلحات وخصوصاً ما يتعلق بالأساطير والمعتقدات الدينية ونظام الحكم والزراعة، واستوعبت اللغات الخورية والمهرانية (الكوتية واللوللوبية) والكاشية والميدية والأورارتية بعد طغيان اللهجات الهندو آرية عليهم، ودعيت اللغة الكردية بالكورمانجية لدى ابناء الأمة الكردية في العقود الأخيرة من الألف الأول قبل الميلاد بعد تأسيس تحالف العشائر الكورتية بتأثير اللغة البهلوية (الفيلية) التي طورت أيضا اللغتين البارثية والساسانية، وبدورها تطورت اللغة الكردية ضمن إطار اللغة الميدية.

لغات الشرق الادنى القديم:

هي مجموعة اللغات التي نطقت بها شعوب ميزوبوتاميا وجبال كردستان وأهمها:

١- السومرية: التي تحدثت بها شعوب جنوب ميزوبوتاميا وخلقت تراثاً غنياً من النصوص المدونة بالخط المسماري، واستمرت حتى مطلع العصر الميلادي.

٢- المهرانية: لغة الشعوب الزاغروسية من اللولوبيين والكوتيين، تركت وراءها بعض الأسماء الجغرافية وأسماء الأشخاص وألقاب الملوك وبعض المفردات، لكنها بقيت شفهية حتى النصف الأخير من الألف الأول قبل الميلاد.

٣- الخورية: لغة الشعوب السوبارية (كردستان)، خلفت وراءها تراثاً هائلاً من النصوص الدينية والأدبية وجدت في كركوك وأوغاريت وخاتوشا, وقد استوعبت المفردات السومرية من خلال اللغات الزاغروسية، وكانت المقدمة الأولى لظهور اللغة الكردية إضافة إلى اللغة الهندو آرية.

وإضافة إلى اللغات القديمة الثلاثة أعلاه هناك مجموعتين لغويتين أساسيتين هما:

١-المجموعة السامية: وتقسم إلى قسمين شمالي وجنوبي

أ- القسم الشمالي بدوره إلى فرعين:

شرقي: وتضم الأكادية التي شملت الآشورية والبابلية (الكلدانية) .

غربي: وتضم الفينيقية, العبرية, الآرامية والأوغاريتية.

ب- القسم الجنوبي: ويضم اللغة العربية وبعض لغات أهل الحبشة.

٢-اللغات الهندو أوروبية:

أسرة لغوية شهيرة نطقت بلغاتها أمم قديمة كالطبقة الأرستقراطية الكاشية والميتانية والشعوب الإيرانية واليونان والرومان وأمم معاصرة مثل الكرد والفرس والأرمن وغيرهم..... وكانت عبارة عن لهجات منحدرة من اللغة الأم, تكلمت بها مجموعات من البدو الرحل كانوا يتجولون في جنوب روسيا ومنها انتشروا في البلاد الواقعة بين الهند وأوروبا, وانقسمت إلى شعبتين غربية وشرقية.

الشعبة الغربية: تحركت حول البحر الأسود من الشمال وعمت القارة الأوربية والبلقان وعبرت فرعاً منهم مضيق البوسفور إلى آسيا الصغرى وشكلت شعوبها اللغات التالية:

١- الأناضولية التي خرجت منها الحثية ومجموعة لهجات خلفت مجموعها اللغة الليدية.

٢- اليونانية.

٣- اللاتينية وتفرعت منها الإيطالية والفرنسية والإسبانية.

٤- الجرمانية وتفرعت منها الألمانية والهولندية والإنكليزية.

٥- السلتية وتفرعت منها الإيرلندية والويلزية.

٥- البلطيقية وتفرعت منها اللاتفية واللتوانية .

٧- السلافية وتفرعت منها الروسية والتشيكية والبولونية والأوكرانية والصربية والكرواتية والبلغارية.

٨- الأرمنية.

٩- الألبانية.

ب- الشعبة الشرقية: أقدم فروعها هي الهندو آرية التي مرت بثلاث مراحل تاريخية:

١- القديمة: تعود إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد وتضم اللغة الميتانية، ولغة الطبقة الحاكمة الكاشية.

٢- الوسطى: تعود إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد وتضم اللغات: السنسكريتية والآفستية والميدية والهخامنشية والسكيتية والفهلوية (الساسانية والفرثية) ومن آثارها كتاب آفيستا المقدس وكتابات بهستون وبرسبوليس، وكذلك اللغة السنسكريتية (لغة الهندوس القديمة) التي خلفت (الفيدات) وهي الأناشيد الدينية القديمة.

٣- الحديثة: من الفهلوية والميدية تمخضت عنهما الكردية, وكذلك الفارسية والطاليشية والبلوشية والبشتونية (الأفغانية) والطاجيكية والأوستية. وخلفت السنسكريتية في جنوب الهند اللغة الهندية (الهند الرسمية) والأوردية (باكستان الرسمية)

والسنهالية (سيريلانكا الرسمية) إضافة إلى الكوجاراتية (اقليم في الهند تقيم فيها طائفة زرادشتية) والمارتية والكونكانية...وفي شرق الهند اللغة البنجابية والبهارية والهندية والسندية والداردیكية. وقد قسم بعض اللغويين المجموعات الهندو أوربية على أساس الفارق بين حرفي S ,K مثل ساتيم و كنتوم بمعنى (١٠٠)، في السنسكريتية ساتام، والآفستية ساتيم والهندية الآرية سات، والسلافية ستو وفي الكردية سات، وكذلك الفارق بين حرفي S , H مثل deh(كردي) ، das(أرمني) بمعنى عشرة، زرانيا (آفستية) تصبح هرانيا (سنسكريتية) وفي الكردية (زير) بمعنى الذهب، ماسي (كردية) تصبح ماهي (فارسية).

جذور اللغة الكرديــة

١- اللغة السومرية:

تطورت السومرية من لهجات المستوطنات الزراعية في شمال ميزوبوتاميا من العصر النيوليتي (تل حلف- تل عبيد) وانتشرت في جنوب ميزوبوتاميا منذ الألف الخامسة قبل الميلاد، ولا تنتمي إلى أية أسرة لغوية معروفة، حيث تطورت لهجاتها من لسان العشيرة إلى لسان الأشراف ورجال الدين والبحارة، ثم أثرت على ألسنة جيرانها من الأكاديين والعيلاميين والخوريين، واستوعبت مفرداتها، ومن ثم دخلت مفرداتها إلى اللغات الزاغروسية والهندو أوربية، وأخيراً تركت مفرداتها في الكردية والفارسية والعربية.

وفي التدوين بدأت بالكتابة التصويرية حيث كل رسم تعبر عن كلمة واحدة، ثم تطورت إلى رموز لتغدو كل رمز تعبر عن مقطع واحد مثل: gu السومرية أصبحت got في الكردية وguft في الفارسية بمعنى (القول)، و(a) السومرية أصبحت av-aw في الكردية و ab في الفارسية بمعنى الماء. ثم أصبحت الكلمة تتشكل من مقطعين مثل: ga-mês وفي الكردية ga-mêş (جاموس)، ومن ثلاث مقاطع مثل: pa-bil-ga وفي الكردية ba-pî-ra بمعنى الجد.

ومع تطور اللغة أصبحت عدة مقاطع تتشكل منها معنى جديداً ولا يجوز تجزئة المقاطع مثل:

Dumo-sag طفل + رأس تعني الطفل البكر

Kal-zu كبير + معرفة تعني حكيم حيث zu جذر كلمة المعرفة ومنها zanîn

Dumo-nêta طفل + ذكر تعني ولد وفي الكردية nêr ذكر

Dumo-mî طفل + أنثى تعني بنت وفي الكردية mê أنثى

علامة الجمع السومرية تتم بتكرار الكلمة مثل:lu رجل تصبح lulu رجال، kur جبل تصبح kurkur جبال، ونجد نفسها في الكردية بعض الأحيان مثل: pir كثير تصبح pirpir كثير جدا.

٢- اللغة الخوريــة:

انتشرت الخورية مع بداية عصر التدوين في الألف الثاني قبل الميلاد في عموم كردستان وأطرافها ومستوطناتها المنتشرة من جبال زاغروس حتى بلاد الشام والبحر المتوسط اعتبارا من عهد الملك تيش اتل ٢٠٤٥-٢٠٣٧ق.م، وبشكل خاص في نوزي (كركوك)، مثلث الخابور، قرقميش، حلب، كيزوفتنا (أضنة)، خاتوشا (بوغازكوي)، أوغاريت وتل العمارنة بمصر، حيث تركت نصوصا قيمة في أرشيفات تلك المدن.

الخورية لغة متكاملة ذو بناء قاعدي مستقل من خلال السابقات واللاحقات مثل:

Orkêş --- Êş (يعتقد أصلها خوركيش كنية الخوريين القومية)، Tugrêş (مقاطعة خورية).

Şîn --- بمعن الأخ يرد في ألقاب الملوك: أتل شين، آري شين، آكيب شين، بوهي شين.

Arî --- Arrepxa-arî (أربخيٌ- من أربخا)، وترد في الكردية بنفس الشكل:

Koçew-arî (انتماء للكرد)، Kurdew-arî (انتماء للبداوة).

Kardoxî (كردي) --- Xe,Xî (إنتساب لقوم)، Xurroxe (خوري).

Lullob-atî (اللولوبية) --- Atî (إنتساب إثني)، Kurd-atî (الكردية).

Ate من (الأم)، All-ay (الأب)، Ay --- Att-ay أب، Ale أم.

ونشير إلى أن الجملة في الخورية تبدأ بالفاعل كما في الكردية.

٣- اللغة الميتانيــة:

لغة الشعب الميتاني (الفرسان) التي تنتمي إلى المجموعات الهندو آرية التي دخلت كردستان منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد وشكلت دولة كاردونياش في بابل، والإمبراطورية الميتا- خورية التي شملت كردستان وبلاد الشام وجزءاً من آسيا الصغرى، وكانت عاصمتها

واشوكاني، وقد عثر علماء الآثار على وثائق ونصوص تخص اللغة الميتانية في كل من نوزي (كركوك)، خاتوشّا (بوغازكوي- قرب أنقره)، أوغاريت (رأس شمرا- سوريا)، ألالاخ (تل العطشانة- على نهر العاصي) وتل العمارنة بمصر، في خاتوشا عثر الآثاري التشيكي هروزني عل نص ميتاني طويل وغني بالمفردات دونه مربي الخيول الميتاني كيككولي تخص ترويض وتدريب وتنظيف وتعليف الخيول نورد منها:

Eyka wertanna (دورة أولى)، في الكردية Yek werdan، Têra (ثالثة)، Penza (خامسة)، Sewtta (سابعة)، Na (تاسعة)، Aswa> Aspa (حصان) ومنها Aswa-sanî في الكردية Aspa zan (مربي الخيول)، Meytan (الكنية الإثنية وتعني ساحة الحرب أو السباق) تصبح في الكردية Meydan ، و Mişte في الكردية Mijde> Mizgîn (بشرى).

وفي نصوص نوزي عثر على أسماء من قبيل Kurtî waje تقابلها في الكردية Gorde waje وتعني (الكلمة المجيدة)، كما عثر على لاحقات مثل: Maryattî ((attî في الكردية Piyawattî (رجولة) و (Maryanî (Nî تصبح Mêranî (شهم) و Mêr التي أخذ منها العرب كلمة الأمير، وكذلك Asowanî وتصبح Aspawanî (حياة الفروسية).

٤- اللغة الخلديــة:

دعيت بالخلدية والشعب الخلدي نسبة إلى الإله (خلدي) الذي اعتنقه شعب كردستان الوسطى والشمالية في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، كما دعيت وطنهم باسم (بياينيا) ونائيري في حين سماهم الآشوريون (أورارتو) ولم يرد مصطلح أورارتو في أي نص خلدي، لكن المستشرقين تعمدوا استعمال مصطلح أورارتو لأسباب سياسية، وكانت تقع بين البحيرات الأربع (وان، جيلدر، سيفان وأورميا) عاصمتها توشبا (قرب وان)، انضمت إلى المملكة الميدية عام ٥٨٥ق.م، واللغة الخلدية لهجة متطورة عن الخورية، وأن أكثر من ٢٥٪ من المفردات والمصطلحات خورية، وكذلك البناء القاعدي والسابقات واللاحقات متشابهة، وقد سبقت الخلدية ظهور اللغة الكردية.

ونعرض بعض المفردات خلدية المنحدرة عن الخورية مثل:

Marî- manu- pişuşe- haş- ate- aş- ar .

وفي الخورية: maryanî-mann-pis-haj-attay-ass-ar.

وتعني في العربية (رجولة- بقاء- فرح- سماع- أب- جلوس- عطاء).

وكذلك Ardîşe (قوة)، du (عمل)، Îştî (هاجم)، Ge (مكان)، Patar (مدينة)، Pili (قنال)، Şali (سنة)، Şerî (تفرع).

٥- اللغة الميديــة:

تضم لهجات مجموعة من القبائل انتشرت في الجنوب والغرب من بحر قزوين، كان أهمها لهجة قبيلة الزاغورتيين (قاطعي الصخور) وسميت جبال زاغروس باسمهم، ومع تأسيس الدولة المادية على يد خشتريت بدأت اللغة المادية بالتكامل في مركزها إكبتانا ويعتقد أنها اكتملت مع سقوط نينوى ونشوء الإمبراطورية المادية، ولكننا لا نملك الأدلة الكافية، ومع انقلاب كورش وانتقال السلطة إلى الأخمينيين أورثت المادية عدد هائلا من المفردات والمصطلحات التي تخص التنظيم الإداري والعسكري في الحكومة الجديدة، كما شوهدت مفردات مادية في الكتب اليونانية ومنها كتاب تاريخ هيرودوت، ونورد بعضا منها:

Dehyawko (صاحب القرية)، Ganzabara (التنظيم الإداري)، Prozana (مؤن)، Xeşterît (ملك)، Azate (طبقة الأحرار)، Sore (القوة)، Vîspotre (الرئاسة)، Sata-Patî (قائد مائة جندي)، Martiya (رجولة من مرد، مردانة)، Tîgran (سهم مع علامة الجمع ,(an Dayna (دين)، Pîrdos (فردوس).

كما اكتشف نقش كتابي عام ١٩٣٦م مدون على جدار كنيسة أرّانية بلغة الماد مع ترجمتها الفارسية واليونانية والسريانية والجيورجية والعربية والتركية تعود إلى القرون المسيحية الأولى

«Paqij xwedê Paqij zehm Paqij vê merg ku hate xaçe Şukurme Rehmete me».

«قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الذي لا يموت، لقد جاءنا الصليب، إرحمنا»

٦- اللغة الآفستية:

سميت بالآفستية نسبة إلى آفستا المقدس، وهي لغة إيرانية ولهجة قبيلة الموكَ الميدية التي ينتمي إليها النبي زرادشت ودون بلغتها أقواله وأناشيده كما دون القرآن الكريم بلهجة قريش التي ينتمي إليها محمد (ص)، وانتشرت الآفستية مع انتشار الزرادشتية في بكتيريا (بخارى) ثم عمت بلاد الماد وأغلب بلدان آسيا الوسطى وخاصة في عهد الدولة الأخمينية ووصلت أيضا إلى اقليم كوجارات الهندية لوجود طائفة من معتنقيها هناك إلى اليوم، لكنها تحجمت مع قدوم

حملة الإسكندر المكدوني الذي جمع نسخ الآفستا وحرقها، ونشر اللغة والثقافة الهللينية، ومع قيام الدولة الساسانية أمر أردشير بجمع النصوص الآفستية وترجمتها إلى البهلوية باستثناء قسم الكاثات التي بقيت آفستية لأنها من أقوال زرادشت نفسه، ونعرض بعض المفردات الآفستية للدلالة على قربها من اللغات التي تعتبر منابع اللغة الكردية.

Pitar, Matar, Bratar,Sarah, Pade,Zast, (Buze, Ap, zraye, Bar, Dar, Das

(أب، أم، أخ، رأس، قدم، يد، عنزة، ماء، بحر، حمل، صاحب، عشرة).

ونشير أن اللغة السنسكريتية أصل اللغات الهندية، وهي توأم الآفستية وبها دونت الأناشيد الفيدية (ريكفيدا) وبنهما تشابه كبير.

٧- اللغة الفهلويــة:

تعتبر الفهلوية (البهلوية، البهلية) من أغنى اللغات الإيرانية والأوسع انتشارا اعتبارا من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى ظهور العصر الإسلامي، وخلفت عددا كبيرا من المصادر الكتابية القيمة شكلت مكتبة نفيسة ومرجعية ثقافية ولغوية للغة الكردية والمجتمع الكردستاني، بدءاً من زند آفيستا (وتعني ترجمة آفستا حيث كانت البهلوية اللغة الرسمية للدولة الساسانية وبعد قضاء أردشير على خصمه أردوان الخامس الفرثي عام ٢٢٦م أمر بجمع النصوص المتبقية من آفستا بعد تعرضها للحرق من قبل الإسكندر المكدوني)، ونصوص وأقوال النبي ماني، ومخطوطات تحوي أشعار غزلية مانوية لها قيمة أدبية وتاريخية، إضافة إلى: ألف ليلة وليلة، كليلة ودمنة، السندباد البحري، الشترنجنامة، آيينامة، خداينامة، كارنامة (سيرة أعمال أردشير).

وإلى جانب الكتب النفيسة خلفت البهلوية مخطوطات ذات قيمة تراثية في منطقة هورامان داخل كهف في جبل كوهي سالان عام ١٩٠٩م دعيت (وثائق هورامان) ضاعت أغلبها وصلت ثلاثة منها فقط إلى أيدي العلماء، تعتبر أقدم الوثائق في تاريخ تدوين اللغة الكردية، تعود إحداها إلى عام ٨٨ق.م والثانية عام ٢٢ق.م والثالثة لعام ١١ق.م، كتبت بالألفباء الآرامي المربع الذي استعمله يهود بابل يتضمن مفردات كردية بحتة إلى جانب بعض المفردات الآرامية، حيث كانت الآرامية وقتئذ لغة دبلوماسية منتشرة، وتحتوي الوثائق على عقود تجارية تخص البيع والشراء، دونت على مادة الرق مثل مخطوطات آفيستا، ويستشف فيها على تأثيرات الثقافة اليونانية والبهلوية الفرثية على اللغة الكردية في مراحله المبكرة.

ونشير إلى ما كتبه يوسف هامر سكرتير السفارة البريطانية في استانبول في القرن التاسع عشر الميلادي والكاتب العثماني المشهور حاجي خليفة المعروف بالجلبي حول الكتاب القيم الذي كتبه أحمد بن أبوبكر بن وحشية النبطي الكلداني تحت اسم «شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام» والذي كان كاتبا للخليفة الأموي عبدالملك بن مروان الذي ولد من أم كردية، ومن أشهر المترجمين لدى الخليفة, وكونه كلداني والكلدان أحد شرائح المجتمع الكردستاني المسيحي فمن المؤكد أنه كان يجيد الكردية، يذكر ابن وحشية في كتابه أن «الكرد يدعون بأنهم يمتلكون كتاب آدم في علم الزراعة ويمتلكون الكتب السبعة التي نزلت من السماء قبل الطوفان، وهم أصحاب فن السحر والطلاسم، وأنهم أحفاد بينو شاد وماسي السوراتي اللذان وضعا الألفباء والخطوط الكتابية الكردية، ودونا بهما جميع العلوم والفنون الكردية» ويضيف بأنه رأى في بغداد ثلاثين كتابا من ذاك الخط، وانه يمتلك في مكتبته بالشام كتابين، أحدهما في زراعة الكرمة والثاني في علل المياه وكيفية استخراجها، «وترجمتها من لسان الأكراد إلى لسان العرب لينتفع به أبناء البشر» ، وأن الكرد كانوا ينافسون الكلدان في جميع العلوم ويتفوقون عليهم في الزراعة وعلى حد قول رجال الدين بأنه ورد في حديث نبوي: «لو تعلق العلم بأبواب السماء لناله شعب من فارس» ويفسر بأنهم «الشعب الكردي»، وكان يعتقد حتى وقت قريب بأن رباعيات بابا طاهر الهمذاني التي تعود إلى القرن العاشر الميلادي أقدم القصائد الكردية وأقدم نص تراثي كردي، لكن مكتشفات هورامان والدعاء الكنسي في أرّان وكتابات ابن وحشية تفيد بأن اللغة الكردية تكاملت مع حلول العصر الميلادي.

وأخيرا يمكن أن نقول بأن اللغة الكردية تطورت عل أرضية اللغات الزاغروسية والسومرية والسوبارية وفي محيط اللغات الهندو آرية خاصة الميدية ومن ثم استوعبت البهلية، وبها تكاملت الكردية مع حلول العصر الميلادي وقد خلفت البهلية اللهجة الفيلية التي تقوقعت بسبب الضغط السياسي والمذهبي وغدت في الوقت الحاضر لهجة من اللهجات الكردية.

في تاريخنا الفن والأدب

« هركول كوجر

«الفن إبداع معنوي، تجديد وإنشاء، بناء وانبعاث.... خلق وروعة وجمال. الفن معرفة لا نهاية له، تنوير إلهي وكشف للأسرار، حل لفك رموز الحقيقة»

الإنسان كائن اجتماعي في حالة البحث والتعمق المستمر طوال حياته. عندما ارتبط الفكر بالكد (العمل الهادف) وحتى قبل ذلك وحتى يومنا هذا، الحياة المعنوية أو الجانب المعنوي للحياة له أهمية بقدر الجانب المادي منه. لأن الإنسان كان دائماً يحتاج إلى قوة روحية تساعده في تقوية صموده المعنوي أمام المصاعب. ولهذا السبب دخل الإنسان في أعماقه من خلال الخيال المكثف وطار في آفاق روحه لكي يبحث عن الأجوبة حول نفسه وحول محيطه. وهكذا استطاع الغوص في عالمه الداخلي دون أن يفقد بوصلته وبدون يأس وانهيار.

في البداية رأى الإنسان نفسه ضعيفاً أمام قوى الطبيعة، لذا لجأ إلى روحه (عالمه الداخلي) بحثاً عن قوة تساعده في الصمود أمام قوى الطبيعة الجبارة. بعد هذه المرحلة، بحث أو فتش عن طرق الحل للمصاعب التي واجهته بسبب التناقضات والمشاكل التي ظهرت في حياة المجتمع والتي سببت له أزمات لا حدود لها! ظاهرة الفن في جميع الأزمنة تشكلت أو ظهرت على بنية هذا البحث والتفتيش المتغير للإنسان وجاءت كنتيجة لهذا الجهد الإنساني المعنوي الهادف إلى خلق ميدان يتنفس فيه الإنسان المتأزم من شدة التناقضات الاجتماعية والكوارث الطبيعية. إذاً، الإنسان رأى نفسه منجذباً نحو الفن بسبب ضعفه أمام المصاعب الطبيعية والاجتماعية (من القوى الطبيعية والقوى الاجتماعية المتحكمة بحياته) ومحاولته في معرفة روحه وعالمه الداخلي الذي لجأ إليه بحثاً عن طريق للحل. ويمكن القول بأن الفن كظاهرة معنوية ـ روحية وجمالية نشأ وتطور على هذا الأساس الإنساني والتاريخي. ويقول المفكر ع . أ في إحدى مقابلاته ما يلي حول

هذا الموضوع: «بسبب عدم تمكن الإنسان من حل تقربه أمام الطبيعة عن طريق العلم والسياسة بشكل تام، وعدم الاشباع أو إغناء روحه بالأدوات المادية، اتجه نحو شكل آخر من الإغناء، أي اتجه أو انجر نحو الفن». وكما يقول المفكر الألماني فيشر بصدد هذه المسألة: «من أجل أن يتمكن الإنسان تذليل المصاعب وكوارث الطبيعة، اكتشف الفن».

الفرد والمجتمع هما في حالة تغيير مستمر كظواهر اجتماعية حيّة لا ثبات في وضعها أبداً! عندما ينتقلون من مرحلة إلى أخرى من التطور فأن الفن أيضاً يرافقهم ويشترك معهم في هذا التغيير والتطور وكما لعب دور الموجه والمساعد في هذه المعملية. لذا فأن نوعية الفن في هذا التحول الاجتماعي هي الظاهرة التي تغيرت وغيرت في نفس الوقت. في هذه الحالة يقوم الفن بتنوير الطريق أمام الإنسان ويوجهه ويلعب دور حيوي في تغيير نمط حياته نحو الأفضل. يقول أ. كاموس «E.CAMUS» ما يلي في هذا المجال: «لو كان العلم في حالة من التنوير والوضوح لما ظهر الفن». إذاً يؤكد كاموس بأن «الفن يلعب دوراً ذا أهمية كبرى في عملية تنوير وتوضيح الظواهر في عالمنا».

يقوم الفن بتنوير الطريق أمـام الإنـسـان ويوجهه ويلعب دور حـيـوي في تغيير نمط حياته نحو الأفضل

هذه الظاهرة المرتبطة بحياة الفرد والمجتمع بهذه الدرجة العميقة من الارتباط الحيوي، تفسيرها وتعريفها من الناحية الفلسفية والاجتماعية والمصطلحية سوف يفيد موضوعنا كثيراً. الفن كمصطلح يعني الخلق والإبداع. الخلق يعني ايجاد شيء جديد مميز أو مختلف عن المألوف، وكما يعني إعطاء الروح لشيء ما. والإبداع أيضاً قريب من الخلق، لأن الإبداع يعني القيام بخلق شيء له قيمة جمالية واجتماعية ـ إنسانية، وكل شيء بديع، جميل وجذاب وقريب من عواطف الإنسان وروحه. إذاً الفن هو عمل بناء وتجديدي. أما من الناحية الفلسفية والاجتماعية، يمكن تعريف الفن من هاتين الناحيتين بمعاني متعددة أو اعطاء تعاريف متعددة لها، لأن «الفن هو عملية الخلق والإبداع عن الإنسان» كما ذكرنا أعلاه، ولهذا فأن الفن هو الحياة بذاتها. بهذا المعنى فأن الفن هو لغة التاريخ. الفن هو التجديد والتنوير والحب والتكثيف في ظاهرة الخيال والفكر هو القراءة والفهم والنجاح. الفن هو ترميز الخيال والفكر بأسلوب جمالي، لأنه قراءة جدية للحياة وفهم عميق لها وانتصار لا رجعة فيها على كل ما هو شيء! وبنفس الوقت هو تحليل لدقائق الأمور وتوضيح مكثف لتعقيداتها. لذا الفن هو نظرة عميقة جداً إلى الحياة الإنسانية بكل تفاصيلها. «الفن يشبه النهر، لأن النهر ينبع من المنبع (المصدر) ويجري بحرية ثم يصب في البحر، الفن أيضاً ينبع من الإنسان، يظهر إلى الوجود بحرية ويتحول إلى قيمة للمجتمع كله، لذا له صفة كونية».

هكذا إذاً نرى بأن الفن هو حياة الإنسان بعينها. ويرى تمثيله أو تجسيده في الظواهر الحاصلة في البيئة الطبيعية والحياة الاجتماعية والتأثير الذي تتركه هذه الظواهر في عالم الإنسان الروحي ـ الداخلي. حيث يتحول هذا التأثير أو الانعكاس (الفكري ـ العاطفي) إلى نتاجات فنية بيد الإنسان نفسه، هذا التأثير المباشر يتحول إلى صوت موزون جميل ودقات موسيقية منظمة وحديث مؤثر وكتابة لها قواعد معينة ومنظر خلاب وجميل وهيكل حي أو إلى حركة لها معاني جمالية وفنية. هكذا يرى الفن تجسيده في الإنتاج الجمالي ـ المعنوي للإنسان. وما عدا هذا كله، فأن الفن يرى تجسيده في الأفكار والخيالات والمقترحات الهادفة إلى تصوير مستقبل ما للإنسان. إذاً الفن هو ممارسة الحياة بشكل دقيق وذو معنى وفهم الطبيعة والمجتمع والإحساس بها. يقول المفكر ع. أ ما يلي بهذا الصدد: «إنني أدخل في الهيجان برائحة التراب وبضباب يحمل المطر وبصوت العصافير وظهور قوس قزح وبضربات البرق والرعد». أي أن الذي لا يتأثر بكل هذه الظواهر لا يستطيع أن يبدع في الفن، لأنه يفقد الهيجان والعاطفة والإحساس العميق بالطبيعة والإنسان والمجتمع.

لاشك أن الإنسانية ترى حقيقتها العارية وجوانبها المعقدة وغير المعروفة في مواضع الفن. بهذا المعنى، الفن هو مرآة حقيقية تعكس حياة الإنسان. يمكن أن نشعر بما يدور في أعماق الإنسان من أحاسيس ومشاعر من خلال فروع الفن المتعددة فالرسم والسينما

والمسرح والموسيقى والغناء الشعبي التراثي كلها نتاجات معبرة عن أحاسيس الإنسان وأشواقه وبحاره الداخلية العميقة. وكما أن الفن يرى تجسيده الكتابي في الأدب بكل فروعه. ولذا، فالأدب هو فن الكتابة الجميلة المبدعة، وهو (أي الأدب) أوسع مجال في الفن الكتابي. والأدب كمصطلح قريب إلى الفن بشكل كبير جداً ويكاد لا ينفصل عنه. ومن حيث التعريف لا يوجد فروق جوهرية فيما بين الأدب والفن. والمصطلحين يستعملان معاً. حيث نرى في أغلب الحالات هاتين الكلمتين إلى جانب بعضهما البعض. ولكن كما هو معروف، الأدب يمتاز بالاسلوب الكتابي للفن على الأغلب. أما من الناحية الإنسانية، كلاهما يحاولان إعطاء جوهر جديد وشكل جديد لحياة الناس بينما يختلفان بعض الشيء في اسلوب التعبير فقط. فالفن كما هو معروف يعطي الأهمية لما هو مسموع بالأذن ومشاهدة بالعين (الغناء، الرسم...)، بينما الأدب (على الرغم من اسلوبه الكتابي في التعبير) يعطي الأهمية لجميع أجهزة الحواس عند الإنسان.

الأدب بشكل عام هو «ربط الكتابة والحديث بموازين وقواعد معينة أو إيصال الكتابة والحديث إلى مستوى تتمتع فيه بالموازين والقواعد». ولكن كل نتاج كتابي له قواعد وموازين معينة لا يعني أنه نتاج أدبي! النتاج الأدبي يتمتع بالرموز والتشبيهات والتصويرات المؤثرة، ضمن سياق كتابي أو كلامي منظم وفي إطار مرتبط ببعضه البعض بشكل كلي. مثل هذا النتاج دون شك له صبغة وصفة أدبية تامة. وكل هذا يرى تجسيده في الأعمال الروائية والقصصية والشعرية والنثرية والخطابية إلى جانب نتاجات مثل المذكرات واليوميات والتجارب الأدبية والرسائل والملاحم والسيناريوهات (السينمائية والمسرحية) وما شابه ذلك من أعمال. أما أهم عمل أدبي في يومنا (عصرنا الحالي) يرى تجسيده على الأكثر في الرواية. لأن الرواية هي عمل واسع ومفصل أكثر من الأعمال الأدبية الأخرى.

الأدب كمصطلح من الناحية المعنوية يشتق منها مفاهيم مثل التربية والتقيد بالجميل في مسألة التصرف والتعامل اليومي، أي التصرف بلباقة وتهذيب وبمعايير اخلاقية حسنة. إذاً من الوهلة الأولى نرى بأن هذا المصطلح له علاقة كبيرة بحياة الإنسان الطبيعية والاجتماعية. معروف لدى مجتمعاتنا الشرقية، إذا قام أحد ما بتصرف غير مألوف لدى الجميع، يتهمونه بـ «قلة الأدب والتربية». ولكن هذا المصطلح له استعمال أوسع من هذا بكثير، فإلى جانب تربية الإنسان، هناك تربية الجسد وتربية العواطف والأحاسيس وحتى هناك تربية القلم والكتابة أيضاً. طبعاً كلمة التربية لا تعني فقط الوصول إلى الجميل والتمسك بما هو أفضل وأجود. وبشكل مختصر ومفيد يمكن القول بأن التربية (الأدب) تعني الوصول إلى الموازيين في كل شيء، واعطاء النكهة الجمالية لكل شيء هام. مثلاً الذي يريد أن يصل إلى مستوى الإنتاج الأدبي، لا بد أن يتمتع بعواطف وأحاسيس مؤثرة وبمشاهدة جمالية غير عادية وبعيون نافذة تستطيع رؤية ماهو موجود وراء الستار. بدون هذه المميزات كيف يمكن كتابة شعر مؤثر أو رواية أدبية؟ كما أن الفنان السينمائي لا يستطيع أن يقوم بدوره بشكل جيد، دون أن يعطي توجيهاً تربوياً لحركته وصوته وملامحه المتعددة أثناء التمثيل. والمغني أيضاً مجبر على ترويض صوته وتربيته بشكل جيد حتى يصل إلى مستوى صوت فني له نكهة جمالية معينة ومؤثرة. إذاً الفن والأدب يستندان إلى ظاهرة واحدة هي التربية (الترويض).

الفن يرى تجسيده في الأفكار والخيالات والمقترحات الهادفة إلى تصوير مستقبل ما للإنسان

إن الهدف من هذا كله دون شك، هو إغناء حياة

الإنسان أي جعل الفرد يعيش بسلام مع نفسه ومحيطه، وكما يتصرف مع الطبيعة على أساس إنساني بعيد عن الأنانية والهمجية. الغاية الأسمى للفن والأدب هي الإنسان نفسه. فعندما يصل الإنسان إلى مستوى يستطيع فيه فتح علاقة ناضجة ومتوازنة وصحيحة مع أخيه الإنسان وبنفس الوقت يستطيع فيه أن يتعامل مع الأشجار والأزهار والعصافير بأسلوب راقي ومهذب، فأنه حقاً سوف يتمكن من العيش مع نفسه (مع عالمه الداخلي) أيضاً بسلامٍ ووئام.

كلمة الأدب أيضاً لها أساس تاريخي. هذه الكلمة أقدم بكثير مما يتصوره البعض حسب إطلاع المفكرين وملاحظاتهم. فهي بالأصل كلمة سومرية وقد انتقلت إلى الاكاديين ومنهم إلى البابليين والآشوريين وبعد ذلك وصلت إلى يومنا هذا. هذه الكلمة تأتي من كلمة أدوبا، أدوبا هي اسم مدينة سومرية لها أهمية خاصة في مرحلة الدولة السومرية (٤٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق م) فقد كانت أدوبا مركزاً أكاديمياً لدراسة الأدب السومري (الأساطير، الحكايات، حكايات الآلهة...) وتدوينها هناك على اللوحات. لذا جاءت كلمة الأدب من هذه المدينة التي امتازت بتدوين نتاجات الإنسان على اللوحات لأول مرة في تاريخ الإنسانية. ومع مرور الزمن تحولت كلمة «أدوبا» إلى الأدب. ومعروف بأن الرهبان السومريين، الذين كانوا يقومون بعملية التدوين هذه في أكاديمية أدوبا المركزية، كانوا يتمتعون بثقافة مزدوجة، نصفها آرية ونصفها الآخر سامية بالإضافة إلى ثقافتهم المحلية الأصلية.

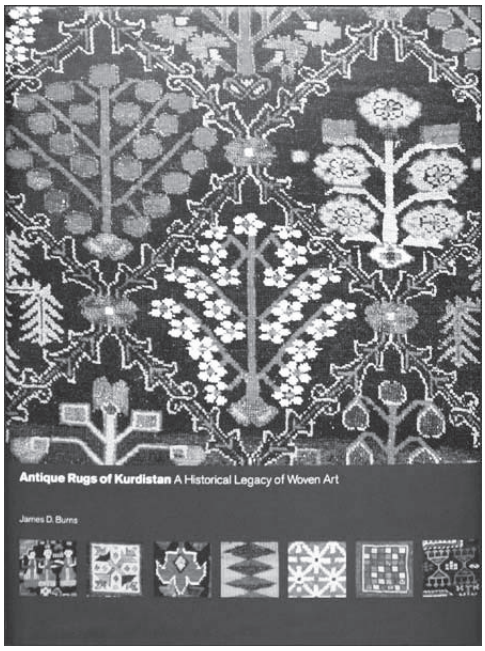

العلاقة بين الأدب والسياسة، الفن والأدب مرتبطة بالسياسة بعلاقة متينة على الدوام. ولم تتطورا بشكل مستقل عن السياسة في أي وقت كان. ودخلتا في خدمة السياسة بشكل أو آخر في كل الأزمنة تقريباً. «وخاصة عندما لم يتمكن الإنسان أن يحلل موقفه بشكل علمي تماماً تجاه الطبيعة والسياسة، وأيضاً عندما لم يفلح في اشباع روحه بالماديات، دخل في البحث عن شكل مختلف من الإشباع أي دخل في مجال الفن» (ع . أ حول الفن والأدب).

الأفكار والايديولوجيات تحاول إلقاء الضوء على مصالح المجتمعات أو الطبقات في مراحل معينة وهي تمثل مصالحها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العامة. بينما الفن والأدب تعبر عن معنوياتها وروحها الثقافية ونفسيتها وعالمها الداخلي. فالفن والأدب يلعبان دور العامل المساعد للفكر والايديولوجيات والسياسات الناتجة عنها. لأنهما يقويان المعنويات والإرادة والحالة الروحية للمجتمع. لأن الإنسان عندما يواجه العقبات ولا يرى لها حلولاً فكرية وايديولوجية ـ سياسية فأنه يدق باب الفن والأدب ويبحث عن الحلول في هذا المجال. دون شك مثلما يؤثر الفن والأدب على الايديولوجيات والسياسة، فأن الايديولوجيات والسياسة أيضاً تؤثران على الفن والأدب ويتركان بصماتهما على الأثنين معاً. لم يشهد التاريخ فناً وأدباً لم يتأثر بالفكر والسياسة، كما لم يشهد في نفس الوقت فكراً أو سياسة غير متأثرتين بالفن أو الأدب. الفن والأدب يفتحان الطريق أمام انتشار الفكر والايديولوجيات بطرق واساليب سهلة وسريعة.

في العهود الأولى من تاريخ نشوء الدولة والمجتمع الطبقي، كانت النتاجات الأدبية تشكل نفس الوقت الاطار الايديولوجي والفكري للنظام الحاكم في تلك المرحلة. الميثولوجية «الأسطورة» الكتابية الأولى في التاريخ الإنساني هي ملحمة كلكامش السومرية. وهي تعبر عن نشوء نظام الدولة والطبقة والمدينة لأول مرة في تاريخ البشرية. «الاسطورة السومرية تشكل البنية الأساسية للهوية الأيديولوجية للمجتمعات الطبقية في جميع مراحلها، هذه الاسطورة هي المصدر الذي لا يجف ولا ينتهي لجميع الكتب المقدسة والتي تلعب دورها كمصدر في تطوير الفلسفة والأدب». (ع . أ حول الأدب والفن)

على الرغم من هذا التداخل الكثيف بين الايديولوجيات والفن (طبعاً الأدب أيضاً)، علينا أن نذكر الفروقات بينهما ونميزها عن بعضهما البعض. الفكر والايديولوجيات والسياسة متعلقة على الأكثر

بذهن الإنسان وعقله، وتخاطب العقل والذهن والمنطق. بينما الفن يخاطب عواطف الإنسان وأحاسيسه وعالمه الداخلي. الإنسان الايديولوجي أو السياسي مجبر على أن ينظر إلى التطورات من ناحية علمية ـ موضوعية ومنطقية. بينما الفنان أو الأديب مجبر على أن ينظر إلى التطورات من الناحية العاطفية ـ الرومانسية إلى جانب النظرة الموضوعية الواقعية، ولكن كلاهما ينظران إلى الحياة بعمق ودقة فائقة.

الأدب أو الفن يأخذ مجراه على الأكثر في المراحل الساخنة أو المراحل التي تحصل فيها الصراعات (العنيف أو السياسي) بين القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة. أي عندما يدخل ديناميك (محرك) التطور الاجتماعي في حركة ساخنة وسريعة، يفتح الطريق أمام تطور الأدب والفن أيضاً بنفس الدرجة من السخونة والسرعة. هناك مسألة أخرى يجب الإشارة عليها، في كل انفجار اجتماعي يأخذ الفن أو الأدب مجراه بعد الانفجار أو خلال مرحلة الانفجار نفسها، ولكن في كل انفجار اجتماعي ـ سياسي تنتصر بعض الفئات أو الطبقات أو الجماعات الاجتماعية والسياسية على الأغلب بينما تنهزم بعض القوى الأخرى ونتيجة ذلك تطبع القوة المنتصرة المرحلة والتطورات الحاصلة بطابعها ورؤيتها السياسية ـ الفكرية والثقافية. لذا تطبع هذه القوى النتاج الفني والأدبي أيضاً بطابعها. وعلى هذا الأساس يمكن القول بسهولة، أن لكل طبقة أو قوة اجتماعية نظرتها الخاصة بها في مجال الفن والأدب، أي لكل ايديولوجيا أو فكرة سياسية نظرة واسلوب خاص بها.

النتاج الأدبي والفني كما ذكرنا أعلاه، يظهر بشكل مكثف في مراحل انتقال المجتمع من تشكيلة اجتماعية معينة إلى تشكيلة اجتماعية أخرى. وبسبب الميزة الإبداعية والتجديدية للأدب والفن، تنتقد السياسية القديمة المعيقة للتطور وتقف إلى جانب التغيير بشكل عام وتخدم سياسات القوى الاجتماعية الجديدة. في مراحل ظهور النظام العبودي تطور الأدب والفن حسب خصوصيات المرحلة الجديدة من تاريخ البشرية، لذا ظهرت آثار فنية في مصر القديمة واليونان ومزوبوتاميا وروما وما زالت هذه النتاجات الفنية تشكل عجائب الدنيا في هذه المرحلة. في مصر هيكل أبو الهول والإلهة ايزيس وهيكل أبو سنبل (هيكل رعمسيس الثاني) وفي أكروبول أثينا هيكل الإلهة أثينا والإله بوسيدون وفي مزبوتاميا هياكل الإلهة عشتار والإله ماردوخ ..... الخ. كل هذه التماثيل الفنية تلفت أنظار الإنسانية بحيرة وإعجاب في يومنا هذا. إلى جانب ذلك هناك النتاج الأدبي الأول في مزوبوتاميا على شكل أساطير مثل كلكامش وعشتار والتي تحوي الجانب الروحي والعاطفي والمعنوي والذهني والخيالي للبشرية وبشكل يُضرب له المثل في أيامنا. وكما أن البشرية خلفت ورائها نتاجات فنية وأدبية راقية وقيمة في مرحلة التطور نحو النظام الرأسمالي في عصر النهضة الأوربية (مثل الآثار الفنية لليونارد دافنشي ورفائيل) وعصر التنوير الأوربي فيما بعد وكما حصل نفس التطور في مرحلة تهيئة روسيا للثورة الاشتراكية وخصوصاً في مجال الرواية الأدبية والشعر والمسرح.

طائر الحرية

الاسم والكنية: رشيد عباس

الاسم الحركي: قهرمان

تاريخ الالتحاق: ١٩٩٥\٢\٥

تاريخ الاستشهاد:

٢٠٠٠\٦\٢٢ كاري

الحياة وبكل ما تملؤها من أحاسيس، خيالات وهواجس كانت تأبى أن تكون طيف تساير تلك الأيام التي كنا نعيش فيها معا وبين جوانح الرفاقية التي تفتح عيناها بين ضحاها ولياليها المقمرة. وهي تأبى أن تشاهد جمال وروعة تلك الآمال والأماني التي كانت تولد من جديد وهي تأبى أن تتدفق مثل ينبوع يحفر طريقه بين الجبال، الصخور والدروب التي تطال كل الأصقاع. تلك الشخصية التي كانت وللوهلة الأولى تسعى الوقوف على قدميها لتواجه مصاعب العيش بين مسالك الحياة التي غدت ناراً تحترق وتلتهب رويداً – رويداً في عالم لا نهاية له ولا بداية. فكل الحقائق والشواهد الحية كانت تتطلب مواجهة ومقاومة بإرادة صلبة وروح لا تهاب الصعاب والمستحيل وهي تمثل حقيقة الإنسان الذي يحتل بوجوده مكانا مميز لا يوازيه شيء في هذا الكون الفسيح والواسع.

والرفيق قهرمان كان أحد هؤلاء الأناس الذين كانوا يأبون ومنذ الصغر إن يكتنف السلام والآمان تلك الولادة والشباب، لكي يكتبوا وكما يشتهون في كتاب حياتهم أجمل الأيام واللحظات التي تمرح بين ربوع الوطن وهم ينخرطون بين دروب الحياة بكل جوانحها والتي توهب الإنسان كل شيء جديد ومغاير. وهو يأبى أن يعيش بين أحضان وطن الشمس، مسالما ومطمئن البال والقلب. تلك الحياة التي ستنبعث من جديد وسوف تقوم ببناء نفسها بالاستناد على المبادئ والأخلاق والأسس التي يساند فيه الإنسان أخاه الإنسان ولا تطأها أقدام الاحتلال، الاستبداد والطغيان.

الرفيق قهرمان لم يكن مثل جميع الشباب الذين كانوا يفكرون فقط بحياتهم الشخصية وحياة عوائلهم. بل كان يمتلك أفكار وهواجس كانت توهبه المزيد من التفكير الواسع، النضوج والمعرفة التي كانت السبب في ترجيحه طريق الثورة والعمل الدؤوب لخدمة شعبه وتحقيق أهدافه في الحرية. لذا كانت حركة حزب العمال الكردستاني وفكر القائد آبو خير دليل له ولتخيلاته التي رأت النور، الصرامة، المصداقية الحرية بين أحضانها. تلك الفلسفة التي تجابه الموت وتخلق الإنسان الحر القادر على مصارعة المجهول، مجابهة المستحيل والسمو بالشخصية القادرة على تمثيل جوهر الشخصية الناجحة والتي لا تهاب العدوان وتقتل الموت في كل زمان ومكان.

كلما كان الرفيق قهرمان يتعرف على حقيقة الثورة والقيادة كان ينخرط أكثر فأكثر بين صفوف النضال وهو يسعى من خلال ذلك اتمام الجوانب الناقصة في شخصيته، لأنه كان يعي تماما أنه وبهذه الشخصية التي بناها النظام والتي ترسبت فيها شوائب وذهنية المستبد لن يستطيع المقاومة أمام كل سياسات العدوان ومساعيه التي تأبى التأثير على الشعب الكردي وجعله عبيداً لا يمتلك هوية، إرادة، تاريخ وكيان سياسي مستقل في الحياة.

ليحلق فيها عاليا بعشقه الحر وهو يمتطي صهوة تلك الجبال التي كانت وما تزال معقل النسور الشجعان، مهد الحضارة وموطن الإباء والأجداد وقلعة المقاومة على مر التاريخ.

مدرسة الحزب التي كانت بالنسبة له منبع الثقة، الأيمان والإرادة وهو يبني فيها شخصيته ويعي حقيقة كل شيء يتعلق بهذا العالم الذي بات ينكشف له خفاياها يوم بعد يوم وبكل وضوح. تلك الشخصية التي كانت تمثل الشخصية الحرة والقيادية في كل مكان يخط بقدميه فيه، ابتداء من القرية ومرورا بحياة المدينة ومن ثم حياة الكريلا وتسلق جبال الحرية والالتحاق بصفوف الثورة والثوار. كل هذه الجوانب الايجابية التي كانت تجتمع وتتدفق من أفكاره وهواجسه الحية، لم تكن تعرف السكون والتخاذل، بل كانت توهبه شخصية مقاومة وقادرة على تمثيل وتجسيد روح الشبيبة ومساندة كل الرفاق، الرفيقات والأصدقاء من حوله. وهو يعمل ليل نهار ومن دون ملل وكلل ويلعب دور المدرس والطالب في نفس الوقت، يعطي ويوهب لمن حوله من أفكاره ويستفيد من رفاقه ما يزيد من قوته ويكسبه كثافة في الأفكار. دونما يأس من العمل والعطاء الذي كان بمثابة ينبوع يتدفق وهو يسقي كل شيء من حوله ويوهب الجمال، الأمل والثقة للجميع.

فبدون التضحية وبذل الكدح، المثابرة، سكب الدماء والنضال المستمر ومن دون هوادة، لا يمكن بناء تلك الحياة التي نسعى إليها والعيش الرغيد فيها بحرية وسلام دائم وبدون كل هذا لن يصبح للحياة لون وطعم. لأن الحياة بمثابة الربيع الذي لا يحل علينا بوردة واحدة وهي تتطلب الأمطار، الدفء والأرض المعطاء التي توهب المرء الحنان، الجمال والأمل بكل ما تحتويه من روعة، عطور ورونق تذكي النفوس وتبرد الصدور.

لذا كانت جبال كردستان بكل عظمتها وجبروتها بالنسبة له تمثل كل شيء في هذه الحياة والتي كانت بمثابة الطريق الوحيد لتحقيق كل مساعيه، طموحاته وأمانيه. لأنها كانت بالنسبة له تمثل الحياة والإنسانية وعش لكل عشاق الحرية.

وكلما كان يتجول على قمم تلك الجبال الشاهقة والعالية ويستنشق من هواء تلك الأرض الوافية والمعطاء للبشر، كان يزداد عشقه، تعلقه وارتباطه بها أكثر فأكثر وهي تسكره بخلابة مناظرها التي تخضر رويداً- رويداً في قلبه. كالطفل الذي يسكر بين أحضان أمه ليتأمل في عيناها ويشاهد فيهما معنى وجوهر المحبة، الأمان وهو لا يأبى أن يهجرها ولو للحظة واحدة.

حبه للوطن كردستان ومنذ الصغر وبكل ما يحتويه من جبال، وديان، ينابيع، أشجار وحيوانات، كانت تسهل وتجعل كل الصعوبات التي تعترض طريقه تزول من دون أن يحسب لها أية حساب. حينها كان يتصدى لها بصدر رحب ومن دون أن ييأس من المهمات والواجبات التي كانت توكل إليه، بروح مضحية لا تبخل ما تمتلكه في سبيل نصرة الحياة والثورة.

وقد كانت حقيقة القيادة التي ولدت في واقع كردستان والتي جعلت كل إنسان يعشق الحياة الحرة ويناضل في سبيل الوصول إليها وهو يقوم بحماية الشعب والوطن من الزوال، الضياع وإيصال الإنسانية لبر السلام والأمان في أقرب وقت ممكن. ذلك الإنسان الذي ولد حر لكي يعيش حراً على سطح هذه الأرض بمثابة المرآة التي كانت تعكس له حقيقة المجتمع الكردي وسبيل بناء الشخصية الناجحة القادرة على تحقيق المستحيل. لذا تيقن الرفيق قهرمان الطفل الكردي الذي فتح عيناه على النور في هذه الحياة، بأن الطريق الوحيد لأجل الوصول لتحقيق كل مساعيه وأحلامه في الحياة يمر عبر النضال، التضحية والفداء بالذات وليس هنالك طريق سوى ذلك.

لذا كانت مسيرته البطولية بمثابة الانطلاقة التي توهب الإرادة وتحرر الإنسان من كل القيود والأفكار البالية والسياسات التي لا تخلق سوى الإنسان العبيد والذي لا وجود له في هذه الحياة ولا معنى لوجوده مثل الإنسان المدفون في القبر وهو ما يزال على قيد الحياة.

وصل الرفيق قهرمان لتحقيق آماله، تخيلاته وأحلامه في الوصول للحرية واعتناقها من الجذور بكل كبريائه الحي، بعدما غدا روح وصوت للطبيعة والأرض وذلك في العشرين من حزيران عام ٢٠٠٠. حينما سافر برفقة موكب الحرية كرحالة يجوب العمر لتحط به الرحال في وطن الشمس التي وهبته صدراً رحباً وجنة تفتح له جناحيها لكي يطير فيها مع رفاقه وهو يجوب عالم الخلود الذي يظل يخلده أسطورة وتاريخ في سماء القلوب والعيون التي تعشق الحرية. كرفيق وممثل للشبيبة الكردية وكل الشباب الثائرين على طريق الحرية. وهو يسقي بدمه الطاهر تراب الوطن الخالد وهو يدون بذلك أعظم ملحمة وأسطورة للشهادة بين صفحات التاريخ التي تملؤها قصص الأبطال، نداء الأرواح ومكتوب الشهادة التي يسطرها ..بإرادة طفل يعشق الحرية والسلام.

الشهيد مظلوم

الشهيد سيدار

الشهيد زنار

الشهيد تيريج

الشهيد دوزدار

الشهيد سرهد

الشهيد سوزي

الشهيد شيار

الشهيد روجهات

الشهيد روجان

الشهيد ريزان

الشهيد كمال

الشهيد كادار

الشهيد هوزان

الشهيد كبار

الشهيد دلبرين

AZADI NAYE AVDAN NE BI XWINA PAKREWANA BE,
U BILINDAHIYA SELA JI PAKREWANE LEHING Û BUHANE
GORISTANA ŞEHÎD DELÎL SARÛXAN
مقبرة الشهيد دليل ساروخان
ROJAVANÊ KURDISTAN